سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى
عبدا فان قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الثانية | العدد (78) | 17 آذار 2013
أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

اليونيسف: جيل كامل من الأطفال السوريين في خطر مع دخول الثورة عامها الثالث

أكثر من مليوني طفل متضرر في مختلف أنحاء سوريا

نشرت اليونيسف تقريراً عن الأضرار التي لحقت بأطفال سوريا منذ آذار 2011 وحتى آذار 2013.

وأعلنت اليونيسف في التقرير الصادر أن تواصل العنف، والنزوح المتزايد للسكان وتدمير البنية التحتية والخدمات الأساسية نتيجة النزاع في سوريا، يهدد جيلاً كاملاً من الأطفال ويصيبهم بجراح جسدية ونفسية قد تؤثر عليهم مدى الحياة.

وقال المدير التنفيذي لليونيسف، أنتوني ليك: "بينما يشهد ملايين الأطفال داخل سوريا والمنطقة ضياع ماضيهم ومستقبلهم وسط الركام والدمار في هذا النزاع الذي طال أمده، تتزايد كل يوم مخاطر أن يضيع جيل بأكمله".

ويذكر التقرير – الذي يصدر بعد مرور عامين على الثورة السورية – انخفاض الحصول على المياه بنسبة الثلثين في المناطق التي يشتد فيها النزاع، مما يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بالأمراض الجلدية وأمراض الجهاز التنفسي، في حين أن واحدة من كل خمس مدارس قد دمرت أو تضررت أو يتم استخدامها كمأوى للأسر النازحة. ففي حلب، على سبيل المثال، يذهب 6 في المائة فقط من الأطفال إلى المدرسة. وفي بعض الأحيان، يفوق عدد الطلاب في الصف الواحد المئة (100) طفل.

كما دمرت بعض المستشفيات والمراكز الصحية وغادر البلاد قسم كبير من الطواقم الطبية.

وأضاف ليك: "نحث جميع الأطراف على السماح للوصول إلى الأطفال المتضررين من العنف بدون أي عائق."

وقدمت اليونيسف منذ بداية الأزمة مجموعة من الخدمات ركزت على توفير المياه الصالحة للشرب ومرافق الصرف الصحي وخدمات الصحة والتعليم وتقديم الدعم المعنوي والصحي إلى العائلات التي نزحت داخل سوريا وإلى اللاجئين في الدول المجاورة.

فقد تم تزويد 4 ملايين شخص داخل البلاد بالمياه الصالحة للشرب، في حين تقوم فرق صحية متنقلة بالمساعدة في تقديم اللقاحات ضد الحصبة وشلل الأطفال إلى 1.5 مليون طفل. وهناك حوالي 75.000 طفل متضرر التحقوا بالمدارس والنوادي المدرسية حيث يمكنهم تعويض ما فاتهم من تعليم وإعادة اكتشاف ما يشبه الطفولة الطبيعية.

أما في الأردن ولبنان والعراق وتركيا، فتقدم اليونيسف إلى أكثر من 300، 000 طفل لاجئ خدمات عديدة مثل المياه الصالحة للشرب ومرافق الصرف الصحي والتعليم والرعاية المتخصصة والحماية من الاستغلال وسوء المعاملة.

إلا أن هذه الجهود مهددة بسبب النقص الحاد في التمويل. ففي كانون الأول /ديسمبر 2012، ناشدت اليونيسف المجتمع الدولي للحصول على مبلغ 195 مليون دولار أمريكي لإنقاذ أرواح الأطفال السوريين وأسرهم ومساعدتهم حتى حزيران / يونيو 2013. وحتى الآن، تم فقط تمويل أقل من 20 في المائة من هذا النداء.

مدرسة تحت الأرض في دير الزور لمساعدة الأطفال على نسيان جحيم القصف

عشرات الأدراج تفصل جحيم القصف اليومي عن "واحة سلام" متمثلة بملجأ تحت الأرض انشأ فيه متطوعون مدرسة هي الوحيدة التي تقوم بالتدريس على حد قولهم في مدينة دير الزور شرق سوريا.

وهذه المدينة النفطية في شرق سوريا الواقعة على ضفاف الفرات، في حالة خراب إذ تبدو آثار القصف على المنازل فيما الشوارع مليئة بالحطام والزجاج، بعد تسعة أشهر من المعارك القوية بين قوات النظام السوري والجيش السوري الحر.

وكانت المدينة تعد حوالي 750 ألف نسمة قبل الحرب لكن المعارك والقصف دفعا نصف مليون شخص إلى الرحيل.

ويقول ياسر طارق أحد مؤسسي هذه المدرسة في حي الأمل والتي تؤمن الدروس ستة أيام في الأسبوع لحوالي 50 طفلاً يأتون من كل أنحاء المدينة "غالبية المعلمين نزحوا، وقلة من الناس تطوعت لمساعدتنا بسبب الخوف".

ويضيف طارق الذي كان يعمل قبل النزاع مسؤولاً أمنياً في المنشآت النفطية في المنطقة، أن "الدروس تعطى في المساء لان الوضع أكثر خطرا بكثير خلال النهار". وفي المساء "تخف حدة القصف كثيرا".

وتابع انه عند انتهاء الدروس وبعد تناول الأولاد العشاء "نجعلهم يغادرون الواحد تلو الآخر لتجنب أن تصيبهم قنبلة كمجموعة أو رصاص قناص".

ويقول الناشط هيكل أن القسم الأكبر من محافظة دير الزور تم تحريره لكن قوات النظام لا تزال تسيطر على عدة أحياء في المدينة.

وتقول مديرة المدرسة بيدا الحسن: "حين يبدأ القصف، يصاب الأطفال بالخوف". وأضافت: "نبدأ حينئذ بالغناء معهم أو التصفيق على وقع الأنغام. نحرص بالتالي على أن يركزوا على الموسيقى وان ينسوا القنابل".

وتتابع: "هذه ليست حياة جيدة بالنسبة للأطفال. ليسوا مسؤولين عن أي شيء من كل هذه الأمور، لكنهم هم الذين يعانون أكثر من غيرهم".

ويقول طارق أن هدف هذه المدرسة هو "مساعدة الأطفال على نسيان ما يحصل للحظات، لكي يروا أن هناك أمورا أخرى غير القصف والحرب".

ويؤكد التلميذ سلطان موسى (12 عاما): "آتي كل يوم إلى المدرسة لأنني أحب الدراسة. يمكنني القيام بشيء ما مختلف هنا". وقبل افتتاح المدرسة في أيلول/سبتمبر "كنت امضي نهاري في المنزل لأن والدي لا يسمحان لي بالخروج خوفا من القصف" كما يضيف.

أما سيدرا (10 أعوام) فتقول أنها تحب المجيء إلى المدرسة لأنه يمكنها اللعب هناك. وتضيف: "لقد تعرض منزلي للقصف وخسرت كل ألعابي".

وتقول أنها فقدت خمسة أشخاص من أقاربها حين أصيب منزلهم بقذيفة هاون. وتضيف: "بعد هذا الأمر، لم يعد والدي يسمحان لي بالخروج، إلى أن اكتشفا أن أولاداً آخرين من الحي يأتون إلى المدرسة. ومنذ ذلك الحين آتي كل يوم مع شقيقتي الاثنتين".

والدروس من رياضيات وانكليزية وعربية ودين مهمة، لكن أيضا وقت الاستراحة مهم أيضا. ويقول طارق مازحاً: "أنها ليست مدرسة فعلياً وإنما ملعب للاستراحة".

ولأسباب أمنية: "أقيم الملعب" تحت الأرض في مبنى آخر في الحي حيث يمكنهم ممارسة لعبة كرة الطاولة والشطرنج ووضع جهاز فيديو أيضاً لمشاهدة الرسوم المتحركة من سلسلة "توم أند جيري".

ويعبر ياسر طارق عن فخره بواحة السلام هذه التي تمكن من إقامتها مع متطوعين آخرين قائلاً "هذا المكان كان من غير الممكن إقامته قبل بضعة أشهر بسبب حدة القصف". وفي الوقت الحاضر: "تمكنا من جعلهم ينسون، على الأقل لفترة قصيرة" جحيم الخارج.

منظمة الصحة العالمية:
مرض التيفوئيد ينتشر في شرق سوريا بسبب المياه الملوثة

قالت منظمة الصحة العالمية إن مرض التيفوئيد تفشى في منطقة يسيطر عليها الجيش السوري الحر شرق البلاد؛ بسبب تناول مياه شرب ملوثة من نهر الفرات.

وقالت المنظمة التابعة للأمم المتحدة أن عددا يقدر بنحو 2500 شخص في محافظة دير الزور شرق سوريا أصيبوا بالمرض المعدي الذي يسبب الإسهال ويمكن أن يصبح قاتلا.

وقالت ممثلة منظمة الصحة العالمية في سوريا إليزابيث هوف: "لا يوجد ما يكفي من الوقود أو الكهرباء لتشغيل المضخات ولذلك يشرب الناس المياه من نهر الفرات الذي أصبح ملوثا ربما بمياه الصرف الصحي".

ولم تؤكد منظمة الصحة العالمية تقارير عن حدوث وفيات حتى الآن جراء الإصابة بالتيفوئيد.

وحمى التيفوئيد عدوى تصيب الأمعاء ومجرى الدم وتسببها بكتريا السالمونيلا. ويصاب الناس بالمرض بعد تناول أطعمة أو مشروبات خاصة بشخص مصاب أو شرب مياه ملوثة.

وينتشر مرض الالتهاب الكبدي الوبائي (أ) وهو مرض آخر تنقله المياه الملوثة ويمكن أن يصبح وبائيا في مناطق مثل حلب وإدلب وفي المناطق المزدحمة التي تؤوي النازحين في دمشق.

وقالت هوف: "يحدث هذا عندما ترى شبكات المياه والصرف الصحي منهارة تماما. يشترك عدد يتراوح بين 50 و70 شخصا في المراحيض في العديد من أماكن الإيواء في دمشق".

وأضافت هوف انه بعد سيطرة الجيش الحر على دير الزور قطعت عنها الإمدادات الصحية، لكن منظمة الصحة العالمية اعتمدت على منظمات المساعدات المحلية في جلب الإمدادات الطبية.

وأضافت: "الأشخاص المسؤولون (المعارضة) يحتاجون إلى البدء في اتخاذ إجراء ما في المناطق التي يسيطرون عليها".

وينتشر طفيل الليشمانيا، وهو من مسببات أمراض المناطق الحارة وينتقل بواسطة ذبابة الرمال ويسبب تقرحات بالجلد تشبه الجذام، في سوريا وتوجد الآن 14 ألف حالة إصابة في محافظة الحسكة في شمال شرق البلاد وفقا لمنظمة الصحة العالمية.

وقالت هوف: "انه عدد كبير للغاية وينتشر مع تحركات الأشخاص. وجلبه النازحون محليا من حلب إلى طرطوس".

وتستضيف الأمم المتحدة المنتدى الإنساني بشأن سوريا في جنيف الذي يحضره مسؤولو مساعدات كبار من وكالات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ومنظمات إنسانية أخرى.

وقال المتحدث باسم الأمم المتحدة ينس لركه في إفادة صحفية أن النظام السوري وافق على نشر ثلاث منظمات دولية أخرى للمساعدات. وسمح لثماني منظمات غير حكومية دولية بالعمل حتى الآن.

ويحضر سفير النظام السوري لدى الأمم المتحدة في جنيف المحادثات عادة لكن ممثلي المعارضة لا توجه لهم الدعوة.

وقال ليركه أن فاليري آموس منسقة الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية التي تستضيف المنتدى اجتمعت مع أعضاء من الائتلاف الوطني السوري المعارض في المدينة السويسرية.

وقال: "إننا نجتمع معهم مثل أي شريك آخر ينخرط في العمل الإنساني في سوريا. أنهم يبحثون قضايا مختلفة تتعلق بالعمل الإنساني في سوريا".

أوجاع وطن

أمهات مخيم الزعتري

■ اليونسيف – مخيم الزعتري

لم تكن أم أحمد تريد مغادرة دارها، ولكن القنابل أجبرتها. فقد اضطرت هي وزوجها وأطفالهما الأربعة إلى ترك منزلهم الواقع في قرية في جنوبل جمهورية العربية السورية. وساروا لعدة ساعات في الصحراء إلى الحدود الأردنية. وساعدهم قرويون آخرون في حمل أمتعتهم القليلة.

كانت أم أحمد تحمل ثقلاً هاماً. فقد كانت حاملا في شهرها السابع عندما سلكت الطريق وأصبحت لاجئة.

الولادة في مخيم اللاجئين

عندما وصلت أم أحمد إلى الأردن، كانت مجهدة وضعيفة وكانت هي وطفلها معرضين للمخاطر. فتمت إحالتها إلى المستشفى في أقرب بلدة وهي المفرق للتعافي من محنة لا أحد يريد أن يمر بها، ولا سيما امرأة حامل وأوشكت من الوضع.

وفي 26 ديسمبر/كانون الأول، بعد أن أعيد لم شملها مع عائلتها في مخيم الزعتري، وضعت أم أحمد في مستشفى ميداني يديره أطباء من الجيش المغربي. وعند استقبالنا في خيمتها، تذكرت وقالت: «عندما وضعت طفلي، سأل زوجي الطبيب:» هل هو صبي أو فتاة؟». «فأجاب أنه «صقر «! صبي قوي! وهكذا أسميناه».

وفي كل يوم، يولد في المتوسط ثمانية أطفال لاجئين في الزعتري، أكبر مخيم للأزمة السورية، والذي يقع على بعد نحو 12 كم من الحدود. ويضم عشرات الآلاف من السوريين.

وعلى الرغم من محنة الفرار من دارها وحياتها الجديدة كلاجئة، فإن أم أحمد تتذكر ولادة صقر بأفضل طريقة ممكنة. وتقول: «لدي الآن خمسة أطفال، وأستطيع أن أقول لكم أنها كانت أفضل ولادة لي حتى الآن. فقد كان الأطباء لطفاء جداً. وقاموا برعايتي لمدة ثلاثة أيام، وسألوا عن أحوالي، ودعموني طوال الوقت».

ومنذ الوضع، تتلقى أم أحمد زيارات أسبوعية في خيمتها من مستشارين من برنامج تغذية الرضع والأطفال الصغار الذي تنفذه اليونيسيف بالشراكة مع مؤسسة إنقاذ الطفولة في الأردن. للتأكد مما إذا كانت الرضع تتم تغذيتهم بشكل جيد ولتشجيع الأمهات على الرضاعة الطبيعية الحصرية حتى يبلغ أطفالهن 6 أشهر من العمر. وإذا ظهرت مشكلة طبية، فإنهم ينصحون الأم بمراجعة طبيب الأطفال.

الاستجابة للضغوط المتزايدة

للأسف، لا تتوافر الإمكانات الكافية لتوفير المتابعة من خيمة إلى خيمة لجميع النساء. ووفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة، فقد وصل عدد سكان مخيم الزعتري إلى 59940 بحلول 1 فبراير/شباط، وتتزايد الضغوط على الاستجابة التي تستطيع اليونيسف والوكالات الأخرى تقديمها لأمهات الزعتري وأطفالهن الصغار.

وتقول ممثلة اليونيسف في الأردن، دومينيك هايد: «هناك زيادة هائلة في أعداد اللاجئين الذين يحصلون على خدمات صحية في المخيم، بما في ذلك النساء الحوامل والأمهات الصغيرات. واجبنا هو أن نلبي هذه المطالب. ونستهدف حالياً 90 في المائة من النساء الحوامل والمرضعات في المخيم، ونحن نخطط لتوسيع نطاق أنشطتنا خارج الزعتري، لشمل المجتمعات المضيفة».

المستشفى الفرنسي الموجود عند مدخل المخيم يعمل بكامل طاقته، مع مركز التطعيم وعيادة الطوارئ. كما تم تصميم خيمة كبيرة يديرها أطباء نساء وولادة بلا حدود لتكون مركزاً لرعاية الأمومة. وقبل مغادرة المستشفى، تتلقى الأمهات الجديدات مجموعات تبرعت بها اليونيسف تحتوي على ملابس أطفال وصابون وحفاضات وحتى سرير أطفال.

القلق بشأن الأمهات المراهقات

يشعر العاملون الصحيون بقلق كبير بشأن العدد الكبير من الفتيات السوريات المراهقات، اللائي لا تزيد أعمارهن عن 14 عاماً، واللائي يصلن حوامل ويلدن في المخيم. ويمكن للزواج المبكر التقليدي - والولادة في سن مبكرة - أن يتسببا في مشاكل صحية طويلة الأجل للأمهات الصغار.

وتقول أخصائية الصحة والتغذية في اليونيسف الأردن، د. كارين بويس: «لدينا وضع خطير، لأن هؤلاء الفتيات لم يكتمل نموهن بعد. وبصرف النظر عن الجانب النفسي الواضح، فإنهن في كثير من الأحيان لا يكون لديهن احتياطي الغذاء الذي يتطلبه الحمل. وتستنفد الأجنة مخزونات الفتيات، مما يعرضهن لخطر الإصابة بفقر الدم. وفي كثير من الأحيان، يولد الأطفال الرضع، أنفسهم، قبل الأوان ويكونون ناقصي الوزن».

أمل في العودة للوطن

وفي خيمة أم أحمد، ينظر الطفل صقر بهدوء إلى شقيقه وشقيقته، اللذين تتراوح أعمارهم بين سنتين وثلاث سنوات، واللذين يحملانه على أرجلهما. ويقدم زوج أم أحمد القهوة للزوار.

وتقول، مع ابتسامة مقتضبة: «كما تعرف، قال المستشار الذي يزورني أنني أقل عرضة لحدوث الحمل خلال فترة إرضاع طفلي. إن زوجي على ما يرام معي. ويمكننا الانتظار عامين آخرين قبل إنجاب طفل آخر. وآمل أن نكون في الوطن بحلول ذلك الوقت!».

داريا المحاصرة بعيون دمشقية

لا يمكن لأهالي دمشق أن يبعدوا تفكيرهم للحظة عما يحصل في مدينة داريا.

فليست الأصوات وحدها من تذكرهم بها كل دقيقة، لكن اهتزاز أبنية المدينة مع كل قذيفة تخرج من دبابات النظام الأسدي وراجماته، وكل صاروخ يهبط عليها من السماء عبر الطائرات التي تقطع دمشق من جنوبها لشمالها ومن شرقها لغربها طيلة النهار، كفيلة بأن تجعلها الحدث الأبرز على الإطلاق.

فمنذ ما يقارب ال 115 يوم، وداريا تقبع تحت حصار شديد من قوات الأسد، ولا تزال الأرتال العسكرية تروح وتغدو إليها حتى أصبحت كالوظيفة اليومية التي تمارسها عصابات الأسد، فتذهب صباحاً إليها لتحاول التوغل لمكان جديد، وتشتبك مع من في المدينة من مقاتلين من الجيش الحر ويعود من يعود منهم مساءً قبل حلول الظلام خوفاً من عمليات تستهدفهم ليلاً لا تحمد عقباها بالنسبة لهم.

وترد الأخبار يومياً من المدينة، ولا تخلوا دوماً من أنباء ومشاهد عن آليات عسكرية معطوبة أو عن أبنية منهارة بأكملها، تتصاعد منها الأدخنة والأتربة نتيجة القصف العنيف الحاصل.

تعزيزات عسكرية كبيرة مكونة من خمسة دبابات وأربعة آليات عسكرية وناقلات جنود بالإضافة لعدة سيارات مثبت عليها رشاش توجهت صباح اليوم من مطار المزة العسكري نحو المدينة عبر المتحلق الجنوبي في محاولة جديدة من قوات الأسد لاقتحام المدينة.

بينما تجدد القصف العنيف والعشوائي على المدينة من المدفعية الثقيلة وراجمات الصواريخ المتمركزة في جبال الفرقة الرابعة وثكنات الحرس الجمهوري ومطار المزة العسكري بالإضافة لقصف الدبابات المنتشرة على أطراف المدينة، وبث ناشطون مقطعاً مصوراً يظهر إحدى الدبابات أثناء قصفها للأحياء السكنية.

فيما نُشر الكثير من المقاطع التي توثق قيام دبابات النظام بإطلاق الرصاص العشوائي على المدينة.

وتستمر عمليات تفخيخ المباني المحيطة بمطار المزة العسكري من قبل قوات الأسد، منعاً للجيش الحر من التوغل نحو المطار، حيث هز المدينة صباح اليوم ثلاث انفجارات وشوهدت سحب الدخان تتصاعد من المنطقة.

وقد أدى القصف العنيف الذي طال مباني المدنيين إلى مزيد من الدمار واحتراق عدد من البيوت وتصاعدت أعمدة الدخان في سماء المنطقة.

لعل ذكر الأيام وعددها قد أصبح أمراً اعتيادياً لدى البعض، لكننا نذكره لنوضح أن داريا، ببساتينها المتبقية وأبنيتها الواقفة أو المتراكمة كتلال الصخر المنهار، لاتزال صامدة في وجه حملات يومية تُستخدم فيها جميع أنواع الأسلحة وقد ثبت لأكثر من مرة أن الآليات العسكرية المشاركة تخضع لإشراف الخبراء العسكريين الروس بشكل مباشر وتقييم مستمر لكل إصابة يحققها الثوار في تلك الآليات من أجل تطوير أسلحتهم المستخدمة في سوريا على الأقل.

تقرير إعلامية أيام الحرية

الأسبوع الثاني من آذار 2013

أيام الحرّية

إعداد: نسيبة هلال

يتعرض النشاط يومياً إلى ضغط ساعات العمل والمسؤوليات الكبيرة الكثيرة مع إحساس بالتقصير وتجربة حوادث مؤلمة وخوف دائم من فقدان الأحبة، إن لجسمك وروحك حقا عليك وكي تستطيع الاستمرار في أداء دورك إليك بعض النصائح.

هكذا استهلت «أيام الحرية» منشورها الذي تحدثت فيه عن ما يجب فعله لمساعدة النشطاء الواقعين تحت الضغط النفسي والجسدي، فالإنسان مكون من عقل وروح وجسد وقلب ويلزمه مراعاة كل هؤلاء.

قامت أيام الحرية بنشر حملة «ثورة إنسان من أجل الحياة»مع بعض التجمعات الثورية وذلك بمناسبة مرور سنتين على انطلاقة الثورة السورية، مذكرة إيانا بأهداف الثورة الأساسية، ومحمسة الجميع لإكمال الطريق الذي بدأناه.

كما خرج أحرار وحرائر دمشق في مظاهرة غاية بالجرأة والروعة في تمام الساعة 3. 30 عصرا يوم الخميس الموافق 14 / 3 / 2013، وذلك بشارع برنية وسط العاصمة دمشق وعلى بعد أمتار قليلة من فرع الأمن السياسي تحت عنوان: «ثورة إنسان من أجل الحياة» ليؤكد بها ثوار الشام أنهم على العهد باقون.

واحتفالاً بمرور سنتين على بداية الثورة السورية، قام أحرار جامعات دمشق بإطلاق ألعاب نارية أضاءت ظلمة ليل دمشق في كل من ركن الدين والمهاجرين والبرامكة والمجتهد.

من جهة أخرى، وبكل الحزن، نعت التجمعات الثورية الشاب الناشط «أحمد خالد شحادة» مدير تحرير جريدة «عنب بلدي» والذي استشهد جراء القصف الصاروخي الهمجي على داريا، بعد مسيرة ثورية بدأت ببداية الثورة بالتظاهر حاملا الورود وانتهاء بنشاط إغاثي وإعلامي في مدينة داريا.

نمضي باقون على العهد في ثورتنا، رافعين شعاراتنا الأولى، مطالبين بالتحرر من الظلم والفساد والخوف، وفاء لشهداءنا الطيبين الذين سقطوا ولإنسانيتنا التي تتأجج بين جوانحنا.

شاركونا صنع الحضارة، بالثورة على ما في نفوسنا من أفكار أنتجت الطغيان.

ثورتنا على أفكارنا أولاً، ثورتنا على الاستبداد في عقولنا وقلوبنا، وفي كل مكان آخر، فشاركونا الثورة نحو مجتمع يضمن حقوق الجميع.

لنشارك بالثورة، و لنغرس كل ما نستطيع من الفسائل لنبني الوطن.

الثورة السورية ثورة تاريخية عظيمة - مع أيام الحرية شاركنا الثورة

تابعونا مع «ثورة إنسان من أجل الحرية» في ألوانها الأربعة وأيامها التي تستمر حتى يوم الاثنين الموافق 18 آذار 2013

هنا كانت دمشق

■ جاد الرملاوي

هنا كانت دمشق وأنا أتكلم عن دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية، فقد تغيرت معالم العاصمة كثيراً في السنة الماضية بعد ازدياد كبير في عدد الحواجز وخاصة بعد إعدام عدد من رموز النظام بما يطلق عليه "اغتيال خلية الأزمة" التابعة لنظام الأسد، حيث انتشر جدار الفصل الطائفي الأمني في أحياء دمشق المحتلة من قبل النظام الأسدي وارتفعت لتصل إلى المترين في كثير من الشوارع الرئيسية والحيوية في منتصف دمشق، ناهيك عن تقطيع وإغلاق مداخل ومخارج الريف والغوطة إلا من مدخل ومخرج واحد لكل منطقة من المناطق التي تحيط بدمشق.

ريف دمشق الذي اصابه من الدمار الشيئ الكثير كما اصاب مختلف المناطق السكنية في سوريا وهذا لا يخفى على أحد ممن شاهد الصور والمقاطع المصورة والمعروضة على القنوات التلفزيونية وفي الإنترنت، إلا أن الزائر لهذه المناطق سيفاجأ أن الحقيقة على الأرض هي أصعب بكثير مما كان يعتقد ومؤلمة للغاية في عيون أصحاب هذه البيوت التي أصبحت أثر بعد عين.

أما المدينة فهي تبدأ بالدخول في حالة السبات مع تسلل الليل لتصبح في حالة حظر تجول غيرلمعلن ومخترق من قبل القلة المضطرة للتحرك حتى من الموالين لنظام الاحتلال الأسدي (مع ملاحظة إننا نتكلم عن المناطق الخاضعة لسيطرة الاحتلال)، والذي أبقى بدوره بعض المحال الخدمية كمحلات البقالة "سوبرماركت" ومحلات الأطعمة، حيث تبقى حتى ساعات متأخرة من الليل لتخدم متطلبات الشبيحة المتربصين حول متاريسهم الإسمنتية (فمن يبقى حتى الثانية ليلا مع كل عماله في ظل شبه انقطاع للزبائن وانعدام الأمن، إلا إذا كان مجبراً على ذلك).

عند اقتراب الساعة من العاشرة ليلا يصبح من الصعب جدا ان تجد اي وسيلة نقل عامة حتى من سيارات الاجرة وان وجدت فهي بمعظمها يقودها شبيحة النظام، والبعض بسياراتهم الخاصة يقومون بعرض النقل بأجرة التي لن تقل عن 300ل. س مهما صغر المشوار، ليكون الحل الأمثل لمن يتأخر بالبقاء والمبيت في مكانه، على الرغم أن تحركات الشبيحة وقوى الظلم تبقى في حدها الادنى لأن الخوف في قلوبهم يتصاعد كثيرا مع اقتراب الليل من منتصفه، لأن هجمات الجيش الحر تكون اكثر احتمالا مع انعدام وجود المارة من المدنيين وخلاء الشوارع من السيارات، ويمكن ملاحظة أن إضاءة الشوارع مطفأة في مكان الحاجز ومضاءة بشكل جيد جدا في اماكن الاخرة كما لم تكن على هذة الشاكلة منذ زمن بعيد جدا.

يجد المار في شوارع دمشق القليلة الباقية بعض الحواجز التي يقف عليها من الشبيحة ممن يقومون بفتح حوارات مع ركاب السيارات بشكل ودي ملفت حتى يقول القائل ياليتهم لم يكونوا شبيحة ولسنا مضطرين لقتلهم، وهؤلاء لا يقومون بهذا الفعل إلا بالليل لهدفين اولهما انه يقوم بكسر وحشة الليل بالتودد إلى المارة وثانيهما وهو الاهم الابقاء ما امكن على عدد من السيارات كدروع في حال اي هجوم من الجيش الحر، وترى هذا واضحا في الطريقة التي قام بها فرع الامن السياسي في ساحة الميسات بسد المدخل المطل على الساحة بسيارة من الحجم الكبير (قاطرة ومقطورة) بطريقة تدعو للضحك لدرجة الخوف المسيطر عليهم والمبرر طبعا بعد كمية ونوعية العمليات التي يقوم بها الجيش الحر في مختلف أحياء دمشق.

الفروع الأمنية المزعومة تحولت إلى قلاع بعد بناء الجدران الإسمنتية حول هذه الفروع والتي تصل سماكة بعضها إلى المتر، وإغلاق جميع الشوارع الرئيسة المحيطة بها والفرعية المؤدية إلى الرئيسة، وبما أن هذه الفروع والمراكز متواجدة بين الأحياء السكنية والمعروفة من قبل جميع سكان المدينة ومنها ما هو غير معروفة إلا من قبل الجوار(بعضها مستوصفات طبية)، وهي مزروعة من قبل مؤسس النظام لتكون الابنية السكنية المحيطة بها درعا في حال أي هجوم ليقول النظام بعدها أن الإرهابيين قاموا باستهداف المدنيين (هي الحرية إلي بدكن ياها) والمنفذة من قبله طبعا.

قام النظام العنصري بإغلاق تام لثلثي الشوارع والأزقة في مركز المدينة ورموز سلطتها كأقسام الشرطة ومبنى المحافظة وأبنية البلديات والبنوك التابعة للدولة، حيث ارتفعت جدران الفصل العنصري لتمنع أي حركة لأي مركبة لا تخص النظام، المشي أصبح الرياضة الإجبارية للجميع بما فيهم الشبيحة حيث يمكن أن تراهم على أطراف الطريق في الشوارع ينتظرون أي وسيلة نقل يرسلها رؤوسائهم من سيارات مخصصة للنقل وليس للركوب أو دراجة نارية لا تكاد تكفي سائقها.

اتجاه الريح وحده الذي يقرر من يستطيع فتح نافذته بدون الاختناق برائحة القمامة المحترقة في محرقة القمامة التي ابتدعها الاحتلال الأسدي بين ثنايا قاسيون منذ قرابة الشهر، وعلى الرغم من أن الرائحة هي لقمامة محروقة إلا ان تخوف البعض ان ما يحرق ليس فقط هو قمامة، له ما يبرره وهو ان الرائحة ليست فقط لقمامة محروقة ولون الدخان المائل إلى البياض، إضافة أن هذا النظام لا حدود لهمجيته الغير مسبوقة في التاريخ.

تبدء الحركة صباحا مع اول بشائر الضوء في الصباح لكي يسري الجميع إلى التحرك باتجاه أماكن العمل أو أي هدف يبقي الناس على قيد الحياة، هذه الحركة مطلوبة لكي تصل في الوقت المناسب بعد البقاء على الحواجز زمن قد يمتد في بعض الأحيان إلى أكثر من الساعتين على حاجز واحد، بعد هذا الانتظار الطويل امام الحاجز يطالعك الشبيحة بطلتهم القميئة وبنبرة إتهامية استفزازية يطلب "الهواوي" والتي هي جمع هوية، وما أن يضع يده على الهوية حتى يبدء بحثه عن معلومة مجهولة له والتي تكون سبب لتوجيه سبطانة الاتهام والشك إلى حامل هذه الهوية المشؤمة، فإن لم يجد يسأل عن مكان المقصد ومكان المغادرة وما هو عملك، يعني كل المعلومات المطلوبة لكي يقبض على الأفغان والتونسيين والإسرائيليين الذين جاؤوا إلى سوريا للحرب ضد أفضل نظام شهده التاريخ، حين ينتهي من " التنكيش " في صندوق السيارة ويعطي الامر بالانطلاق وعندها فقط يمكن للمواطن اللذي لا تنطبق عليه الصفات السابقة ان يتنفس الصعداء لحين وصوله إلى الحاجز الذي يليه، وهو قد يكون على بعد مئتي متر فقط عن الحاجز السابق لتبدء معركة اثبات البراءة من تهمة معارضة النظام من جديد، هناك مناطق تعاني من نوع آخر من الجواجز وهو ما يطلق عليه اللجان الشعبية وهي أسوء بكثير من سابقتها، لتحقق الهدف الموجودة لأجله وهو أن يبدو النظام ألطف بكثير من هؤلاء الذي اضطر اليهم النظام (بحسب زعمه) وبملاحظة انه هو من اعطاهم السلاح وسمح لهم بالتمادي مع الأهالي ولا يفعل شيء لحدهم عن تطاولهم، نرى أن للشبيحة لقب لجان شعبية لتخفيف سخط واستياء "الموالين" للنظام الغير مسلحين.

القصص التي لم تنتهي نهاية سعيدة عند الحواجز تكاد لا تحصى، حيث امتد بعضها إلى ايام قبل ان تبدء رحلة العذاب في مركز الاعتقال، أو نهاية قصيرة ومهينة ومميتة، ليغادرها البعض محمولا إلى مثواه الأخير، وتترك جثة البعض لعدة ايام قبل ان تجد من يواريها التراب.

في النهار الحواجز تكون متشددة في الدخول نحو عمق مدينة دمشق واقل تشدد في الحواجز باتجاه الخروج من مركز المدينة، هذا التشدد يصل إلى طلب من أي سيارة تحمل بضائع وبغض النظر عن طبيعة البضائع المنقولة يكون نصيبها التفريغ للتفتيش وإعادة التحميل عند كل حاجز مهما كلف ذلك من وقت وجهد للسائق وتضرر الحمولة، عليك الانتباه حين الاقتراب من الحاجز لأن لا تعبر في المكان المخصص ل (سيارات الإسعاف والطوارئ والخط العسكري) إذا لم تكن أي مما سبق إياك والدخول في هذا المسرب وإلا ستعرض نفسك للتوبيخ الشديد الذي يصل إلى السباب فقط أن كنت محظوظ، وهناك طرق بالكامل مخصصة فقط للخط العسكري حتى أن كان حيويا للسير، وأكثر ما يجعلني اشعر بالإقياء هو تواجد شرطة المرور لتمثيل دور تنظيم المرور، وهم (شرطة المرور) يمكن أن يوقفك ويطلب أوراقك لأنك خالفت أنظمة المرور ولم تضع حزام الأمان، هل هناك سخرية من الشعب وفي ظل كل هذا أكثر من هذه المخالفة " حزام أمان " أمان يا ربي أمان.

مدينة دمشق تحولت إلى سجن كبير تدخله وتخرج منه بأختيارك حيث اخذت طابع السجن من خلال محدودية الأفعال التي يمكن أن تقوم بها، فأصبح لسكانها طباع جديدة وعادات جديدة تتناسب مع وضع الاحتلال الجديد، لترى الناس سكارى وما هم بسكارى، يمشون ببطء بعد أن فقد الوقت معناه وفقد الطريق هدفه عيونهم يملؤها الحزن والدهشة والحيرة والغضب المكبوت والأمل المفقود، لينطقوا ما كان مستحيلاً من قبل أن ينطقوه (أخي أنا لامع هدول ولا مع هدول، أم هدول على أم هدول، اللّه يفرج أحسن شي).

هذا الفرج المنتظر صبغ الناس في المدينة وامتد إلى أقوالهم وأفعالهم وحتى إلى لون عيونهم، والذي أخشى أن هذا اللون طال معتقدات وإيمان الناس بما لا يمكن إزالته إلا بعد سقوط النهائي للنظام بفترة ليست بالقصيرة.

المواطن الصحفي
الأبطال الحقيقيين في الثورة السورية

■ ياسر مرزوق

عامان من الكفاح ونصر ثورتنا قد لاح، بهذه العبارة التي صدحت بها الحناجر البارحة أبداً، فالوجود الإنساني ما قام في الواقع إلا على الفكر الطليق، وإنما بدأت إنسانية الإنسان، منذ اللحظة التي تمرد فيها على الغريزة والعادة وحقق وجوده الخاص، أي شعر بفردية المبدع وبكل قلقه، بروميثيوس خالق الإنسان عند الإغريق، تحدى إله الآلهة زيوس وحمل للبشر قبساً من النار المقدسة، نار الفكر، وعلمهم إيقادها وكانت حراماً عليهم، ولم يبال بعد بالقيود الدامية التي شد بها إلى صخور القفقاس ولا بالنسر الذي أوكل إليه التهام جسده.

إن الأسماء الكبرى التي احتفظ بها الناس في التاريخ ليست أبداً أسماء من مشى مع القطيع البشري لكنها أسماء من ندّ عنه والأطياف الكبرى التي تهز ذاكرة البشرية ليست أبداً أطياف المقلدين والمحافظين، ولكنها أطياف المبدعين الذين عرفوا كيف يقولون لمن حولهم بإصرار وحزم: لا.. عن "محمد خاتمي" ومن كتابه "مطالعات في الدين والإسلام والعصر" أنقل: "علينا أن نذعن أن تجربة الحرية ليست ميسرة لنا بسهولة"، وتعود هذه الحال إلى عاملين:

الأول: لأن الاستبداد أضحى منا طبعاً ثانياً، فنحن جميعاً ننطوي على ضرب من الميل للديكتاتورية، وهذا الوضع المؤلم يلحظ في جميع وجوه المجتمع وشؤونه.

الثاني: أننا نريد أن نمارس تجربة الحرية في عالم مملوء بسيطرة القوى العالمية وهيمنتها، هذه القوى التي لا تفكر بغير مصالحها، هذه المصالح التي تتعارض مع حرية واستقلال البلدان الأخرى، لذلك فهذه القوى تستنفر كل قواها السياسية والعسكرية والاستخباراتية والاقتصادية دفاعاً عن تلك المصالح.. نحن هنا بإزاء أمر وكأنه ينطوي على تناقض ظاهري، فمن جهة لا تتوافر الفرصة للنمو والتقدم في المجتمع إلا في إطار الحرية، ومن جهة ثانية فإن الحرية لا تستقر وتزدهر وتستحكم إلا في مجتمع رشيد وناضج، وبنظري، إذا ما تحلينا بالتفكير العميق وبالإنصاف، فسنصل إلى الحكم الصحيح الذي مؤداه أن تتقدم الحرية على التنمية".

واستناداً لكلام خاتمي و تماشياً مع روح المادة 19 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، يشكل إنشاء صحافة مستقلة وقائمة على التعددية وحرة وصونها وتمويلها، أمرا لا غنى عنه لتحقيق وصون الديمقراطية في أي دولة، ولتحقيق التنمية الاقتصادية.

واستكمالاً لملفاتنا السابقة فإن تحديات ما بعد سقوط النظام المتمثلة في تحقيق العدالة الانتقالية، والتعويض العاجل لضحايا العنف، وإعادة الخدمات العامة، وإعادة بناء الاقتصاد والبنية الأساسية، يمكن أن تتعطل، بغياب سلطة رابعة مستقلة تساهم في تجنيب سوريا المستقبل دوامّة العنف و الانهيار المؤسّسي، فالنظام الجديد أمام تركة من القمع وشهداء الصحافة الذين سيكون ملفنا اليوم تكريماً لهم.

مهنة المتاعب في سوريا أضحت مهنة للموت، وقد يكون الأولى بالتحية والتكريم في احتفالية الثورة المواطن الصحفي، وهنا لامجال لإحصاء شهداء الحقيقة، فمن يحمل هاتفاً جوالاً وتقنيات بدائية ويتوجه للتوثيق والتأريخ هو ناقل الحقيقة وشهيدها. يقول أوليفر هولمز، مراسل لوكالة 'رويترز' عمل في سوريا أثناء الثورة

قمت بتغطية الانتفاضة السورية منذ بدايتها من خارج البلاد أغلب الوقت نظراً للقيود التي تفرضها الحكومة على تحرك الإعلام وللأخطار الماثلة على الأرض. وقد أعددت تقارير عن استهداف الصحفيين السوريين والأجانب بالقتل. وقد رأيت في حلب جثة صبي ممددة في الشارع أرداه قناص من الحكومة بطلقة في الرأس بينما كان يتجه إلى البيت عائداً من السوق. كما أنني تحدثت مع صحفيين سوريين تعرضوا للضرب حتى شارفوا على الموت من قبل قوات الأمن التابعة للرئيس بشار الأسد.

لقد خرج السوريون إلى الشوارع، وقد ألهمتهم موجة الربيع العربي التي اكتسحت الشرق الأوسط على نحو دراماتيكي، في آذار 2011 للاحتجاج على أربعة عقود من الحكم القمعي لأسرة الأسد. وفي الأشهر التي تلت ذلك، أطلقت القوات السورية الرصاص على المتظاهرين السلميين مما أدى خسائر في الأرواح إضافة إلى أن بعض المتظاهرين فقدوا بكل بساطة، حيث أخذتهم عناصر مخابرات الأسد المتواجدة في كل مكان. لقد منح الجنود المنشقون الذين رفضوا قتل أبناء شعبهم لهذه الانتفاضة جناحها العسكري مدعومين بالفلاحين المسلحين ببنادق الصيد. وردت الحكومة على ذلك بالمدفعية والقصف الجوي لضرب مجموعات الثوار المتموضعة في مناطق مدنية مثل تلك الضاحية المحرومة بحلب حيث هوجمت. إن الحرب الأهلية تحتدم في كافة أنحاء البلد على أوسع نطاق.

لقد غطيت الأخبار في كل من حلب ودمشق من كلا جانبي الصراع في سوريا – من الأراضي التي يسيطر عليها الثوار حيث المخاطر كانت شبه مانعة ومن العاصمة التي تديرها الحكومة حيث القيود المفروضة هناك تجعل من المستحيل الحصول على صورة مكتملة عن الأزمة. لم يكن يُنظر إلى الصحفيين في سوريا على أنهم مراقبين، فالآلة الإعلامية التابعة للأسد صورت الانتفاضة على أنها مؤامرة أجنبية ينفذها إرهابيون وأعلنت أن كل من ينتقد النظام هو إرهابي ويستحق الموت. النصيحة التي يتم توجيهها للصحفيين قبل دخولهم

لسوريا تاريخ طويل من القمع، فبعد سنة واحدة من تولي الرئيس الأسد السلطة خلفاً لأبيه عام 2000 أصدر قراراً بشرعنة الإعلام الخاص، الذي كان محظوراً منذ عام 1963. إلا أن هذه الخطوة اعتبرت إلى حد بعيد خطوة شكلية في بلد تسيطر فيه الدولة على الإعلام بالترهيب والرقابة، أو من خلال الملكية بالوكالة. أعرف صحفيين سوريين تدربوا قبل الانتفاضة وكان يتم تعليمهم كيف يكتبون ويبثون الدعاية للإعلام الحكومي وليس النقد وكشف اللثام عن الحقائق.

في بلد كسوريا يوجد فيه أكثر من 20 جهاز مخابرات، ينتشر آلاف المخبرين والشرطة السرية في الشوارع. إن في حضورهم الواضح بسترهم الجلدية وبناطليهم بيجية اللون ووقفتهم المتكاسلة على زوايا الشوارع دلالة على أن افتقار عملاء الأمن لمسألة التكتم والسرية أمر مقصود؛ فالغاية من حضورهم هو بث الخوف في صفوف المدنيين العارفين تماماً أنهم خاضعين للرقابة المستمرة.

يقول سامي الرفاعي، 23 عاماً، وهو مواطن صحفي يعمل خارج مدينة حمص، إنه "إذا حاولت أخذ صور للعنف فقد تُقتل في أية لحظة إما بالقصف أو جراء النيران المتقاطعة. من ناحية أخرى، هناك الحكومة التي تحاول العثور عليك والإمساك بك ومعاقبتك كي تكون عبرة لغيرك من الناشطين".

هذا واحتلت سوريا المرتبة الثالثة في قائمة لجنة حماية الصحفيين للبلدان الأكثر فرضاً للرقابة على الإعلام نظراً لسعي حكومة الأسد إلى كبت التغطية المستقلة للانتفاضة. فبالإضافة إلى قطع شبكات الهاتف والكهرباء والإنترنت، اضطلعت السلطات في هجمات بالبرامج الإلكترونية الخبيثة على المراسلين واستخدمت التعذيب لانتزاع كلمات مرور الصحفيين على شبكة الإنترنت. وكان ما لا يقل عن 15 صحفياً موجودين في السجن عند قيام اللجنة بإحصائها الدولي في الأول من كانون أول،

كما قالت اللجنة الدولية لحماية الصحفيين إن "سوريا أصبحت المكان الأكثر خطراً في العالم للصحفيين"، مشيرة إلى أن "صحفيين قتلا وفُقد العديد من الصحفيين المحليين خلال الأسبوعين الأخيرين". وقالت اللجنة في تقرير لها نشرته وكالة أنباء (الاناضول) التركية ان "سوريا أصبحت المكان الأكثر خطرا في العالم للصحفيين". وأضافت اللجنة أن "صحفيين قتلا وفُقد العديد من الصحفيين المحليين خلال الأسبوعين الأخيرين"، واصفة الحملة الشرسة ضد الصحفيين "بالموجة القاتلة".

وكشف تقرير لمنظمة "مراسلون بلا حدود" كانون الثاني الماضي، أن سورية صنفت في المراتب الأخيرة في حرية الصحافة لعام 2011 الذي شهد موجة احتجاجات غير مسبوقة، حيث تراجعت سورية إلى المرتبة 176.

كما قالت لجنة حماية الصحفيين أن الحكومة السورية سعت إلى فرض حجب على التغطية الإخبارية المستقلة منذ انطلاق الانتفاضة في بدايات عام 2011، وذلك من خلال السيطرة على التقارير الإخبارية المحلية وطرد الصحفيين الأجانب أو منعهم من دخول البلاد. وعلى الرغم من المخاطر الشديدة، واصل الصحفيون الدوليون التسلل إلى الأراضي السورية من أجل تغطية النزاع.

وتشير المعلومات التي حصل عليها مركز الدوحة لحرية الاعلام من وكالات أنباء وعدة تنسيقيات داخل سوريا ومن "مجلس الثورة في حمص" ومن شهود عيان وتم تأكيد بعضها من قبل "رابطة الصحافيين السوريين" إلى أن ستة وتسعين صحافيا قتلوا منذ شهر تشرين الثاني 2011. وقد قضى بعض هؤلاء الصحافيون خلال قصف عشوائي على بعض الأحياء السورية بينما سقط آخرون برصاص قناصة أو تحت التعذيب بعد إلقاء القبض عليهم.

فيما يلي لائحة بأسماء الصحافيين الذين قتلوا في سوريا منذ اندلاع الثورة السورية يقابلهم جيشٌ من الشهداء المجهولين:

أوليفييه فوازان، مصور فرنسي، قضى متأثرا بجروح أصيب بها خلال تغطيته مواجهات في إدلب، شمال سوريا، وتوفي بتاريخ 24 - 2 - 2013

محمد الحوراني، مراسل قناة الجزيرة الفضائية، قتل برصاص قناص تابع للقوات النظامية السورية في محافظة درعا بتاريخ 18 / 01 / 2013.

إيف دوباي صحافي فرنسي من أصل بلجيكي قتل برصاص قناص في مدينة حلب في شمال سوريا بتاريخ 18 / 01 / 2013.

أبو يزن الحموي، الناطق باسم المجلس العسكري الثوري في محافظة حماة، تم استهدافه برصاص قناص على حاجز الزعلانة بوادي الضيف، حيث كان برفقة طاقم قناة الجزيرة هناك، بتاريخ 26 / 12 / 2012.

أنمار ياسين محمد صحافي بالهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون السورية، قضى في تفجير استهدف حافلة ركاب في حي

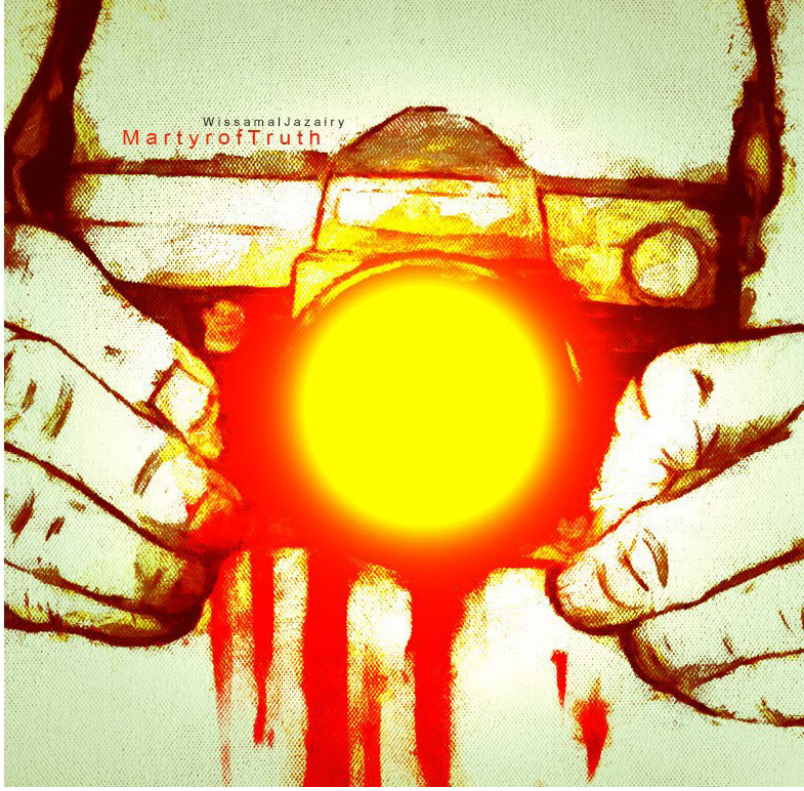

شهيد الحقيقة | إلى أرواح كل الشهداء من الصحافيين الذين استشهدوا في الثورة السورية عمل للفنان وسيم الجزائري

المزة بدمشق بتاريخ 12 / 12 / 2012.

محمد خير الشيخ قويدر مواطن صحافي قتل في معركة بين الجيش السوري الحر وجيش النظام السوري، في بلدة عربية في ريف دمشق بتاريخ 06 / 12 / 2012.

مروان حامد شربتجي مصور مواطن قتل خلال قصف على بلدة داريا في ريف دمشق بتاريخ 30 / 11 / 2012.

محمد قريطم صحافي يعمل في جريدة عنب بلدي قتل بسبب القصف على مدينة داريا في ريف دمشق بتاريخ 29 / 11 / 2012.

هوزان عبد الحليم محمود ناشط إعلامي ومراسل شبكة بصمة سورية قتل بنيران القوات العسكرية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي في رأس العين بحسب الشبكة بتاريخ 20 / 11 / 2012.

سامر خريشي مصور وناشط إعلامي: قتل أثناء تصويره العمليات العسكرية مع الجيش السوري الحر، في بلدة عربين في ريف دمشق بتاريخ 5 / 11 / 2012.

حسان حيدر الشيخ حمود ناشط إعلامي ومؤسس قناة تلفزيون تلبيسة على اليوتيوب قتل أثناء تصويره القصف على قريتي السعن وحوش حجو المجاورتين لمدينة تلبيسة في ريف حمص بتاريخ 02 / 11 / 2012.

محمد خليل الوكاع ناشط إعلامي: قتل في قصف مدفعي على مدينة الميادين في محافظة دير الزور بتاريخ 1 / 11 / 2012.

محمد ظاهر الظاهر النعيمي ناشط إعلامي قتل إثر اشتباكات في البويضة بريف دمشق بتاريخ 19 / 11 / 2012.

محمد الخالد ناشط إعلامي قتل على أيدي مسلحين تابعين لكتيبة "نمر" من لواء درع الشهباء في مدينة حلب في 18 / 11 / 2012.

عبد الله حسن كعكة ناشط إعلامي قتل تحت التعذيب في فرع المخابرات العسكرية في حلب بتاريخ 17 / 11 / 2012.

مصطفى قرمان ناشط إعلامي قتل متأثراً بجراحه نتيجة إصابته بشظية جراء القصف على حي بستان القصر في حلب بتاريخ 16 / 11 / 2012.

أنس الأحمد الناطق الإعلامي في معضمية الشام قتل خلال مشاركته في تشييع جنازة في المدينة بتاريخ 23 / 10 / 2012.

فاطمة خالد سعد ناشطة إعلامية توفيت في أحد الفروع الأمنية التابعة لإدارة المخابرات العامة في مدينة دمشق نتيجة تعرضها لتعذيب بتاريخ 23 / 10 / 2012.

عمر عبد الرزاق اللطوف ناشط إعلامي قتل على يد قوات النظام السوري في حلب بعد عودته من تركيا بتاريخ 20 / 10 / 2012.

محمد جمعة عبد الكريم اللطوف ناشط إعلامي ومصور قتل على يد قوات النظام السوري في حلب بعد عودته من تركيا بتاريخ 20 / 10 / 2012.

أحمد علي سعدا مصور مواطن: قتل في قصف قوات النظام السوري على دوما في ريف دمشق بتاريخ 02 / 10 / 2012.

محمد فياض عسكر ناشط ميداني قتل ذبحا بالخناجر من قبل قوات النظام السوري في حي القصور بدير الزور بتاريخ 27 / 09 / 2012.

عبد العزيز راغب الشيخ مراسل شبكة الشام في دير الزور قتل نتيجة القصف على حي الجبيلة بدير الزور بتاريخ 26 / 09 / 2012.

مايا ناصر مراسل "برس تي في" الإيراني قتل برصاص قناص في دمشق عندما كان يغطي الاشتباكات بين الجيشين النظامي والحر إثر تغطيته التفجير في ساحة الأمويين بدمشق بتاريخ 26 / 09 / 2012.

عبد الكريم العقدة مراسل ومصور "شبكة شام" السورية: قتل حرقا بعد ان حاصرت القوات النظامية بيته في حي الأربعين بمدينة حماه وقامت بحرقه بتاريخ 19 / 09 / 2012.

تامر العوام مخرج سوري: قتل برصاص القوات السورية النظامية في حلب بتاريخ 09 / 09 / 2012.

نواف الهندي الملقب بـ"أبو فريد" صحافي مواطن: قتل أثناء قصف على بلدة بيت سحم في ريف دمشق بتاريخ 06 / 09 / 2012.

محمد بديع القاسم أحد مؤسسي المركز الإعلامي في دير الزور: قتل أثناء تغطيته إحدى المعارك بين الجيش النظامي والحر قرب مركز البريد في مدينة حمص بتاريخ 04 / 09 / 2012.

أنس العبد الله مصور تنسيقية حي التضامن في دمشق: قتل في ريف دمشق في سبتمبر 2012.

تحسين التوم إعلامي: قتل في ريف دمشق في سبتمبر 2012.

عمر حامد الزامل إعلامي: قتل نتيجة قصف جيش النظام السوري على المدنيين في منطقة الحراك في درعا بتاريخ 22 / 08 / 2012.

مصعب العودة الله صحافي سوري: قتل رمياً بالرصاص خلال مداهمة الجيش السوري منزله في دمشق بتاريخ 22 / 08 / 2012.

ميكا ياماموتو صحافية ميدانية: قتلت نتيجة مواجهات بين الجيش السوري النظامي والجيش الحر في حي سليمان الحلبي في حلب بتاريخ 20 / 08 / 2012.

براء البوشي صحافي ميداني: قتل في مدينة التل في ريف دمشق نتيجة القصف العنيف على المدينة بتاريخ 11 / 08 / 2012.

محمد السعيد إعلامي: قتل بعد أن اختطف من قبل تنظيم "جبهة النصرة" منتصف شهر يوليو في في دمشق ولم يحدد تاريخ القتل.

زهير محمد الشاهر: مصور مواطن قتل في دير الزور بعد إصابته برصاص الأمن بتاريخ 02 / 08 / 2012.

أحمد سلام: مصور مواطن قتل برصاص قناص في الغوطة الشرقية لدمشق بتاريخ 03 / 08 / 2012.

محمد الحصني: مصور ومدير مركز حي القصور الاعلامي قتل إثر قصف تعرض له الحي في مدينة حمص بتاريخ 19 / 07 / 2012.

علي جبور الكعبي صحافي عراقي: قتل بالرصاص وبطعنات سكاكين في جرمانا في ضواحي دمشق بتاريخ 14 / 07 / 2012.

فلاح طه صحافي عراقي: قتل بالرصاص وبطعنات سكين في جرمانا بضاحية دمشق بتاريخ 14 / 07 / 2012.

إحسان البني مصور: اغتالته مجموعة إرهابية في داريا في ريف دمشق أثناء ذهابه إلى عمله بتاريخ 12 / 07 / 2012.

محمود حمدو حلاق مصور مواطن: قتل إثر سقوط قذيفة هاون على مدينة اعزاز في ريف حلب بتاريخ 02 / 07 / 2012.

محمد علي الهيمد مصور مواطن: أعدم بالرصاص من قبل الجيش السوري في بلدة كفر شمس بدرعا بتاريخ 28 / 06 / 2012.

سامر خليل السطلة مصور مواطن: قتل نتيجة القصف العشوائي على مدينة دوما في دمشق بتاريخ 28 / 06 / 2012.

وائل عمر برد مصور مواطن: وائل عمر برد بعد إصابته بطلق ناري في ريف ادلب بتاريخ 26 / 06 / 2012.

عمر الغنطاوي: مصور مواطن: قتل نتيجة قصف الجيش السوري على حي جوبر وحي السلطانية في حمص بتاريخ 21 / 06 / 2012.

رامي إسماعيل إقبال مصور مواطن: قتل في المعتقل متأثرا بجراح أصيب فيها في 21 / 12 / 2012 في داعل في درعا. لم يتم تحديد تاريخ الوفاة.

حمزة محمود عثمان مصور مواطن: قتل برصاص قناص في حي جوبر في حمص بتاريخ 21 / 06 / 2012.

أحمد حمادة مصور مواطن: قتل برصاص قناص في منطقة باب تدمر بحمص القديمة بتاريخ 16 / 06 / 2012.

بسيم درويش إعلامي مواطن: توفي نتيجة القصف العشوائي الذي استهدف مدينة الرستن في ريف حمص في 15 / 06 / 2012.

أيهم يوسف الحريري صحافي مواطن: قتل نتيجة سقوط قذيفة هاون خلال تصويره مظاهرة في حي السد في درعا بتاريخ 13 / 06 / 2012.

خالد البكر مصور مواطن: لقي حتفه خلال قصف على مدينة القصير في ريف حمص بتاريخ 10 / 06 / 2012.

عبد الحميد إدريس مطر مصور مواطن: قتل بشظية قذيفة دبابة أثناء محاولته تصوير اقتحام الجيش النظامي لبلدة القصير بتاريخ 31 / 05 / 2012.

باسل شحادة مصور أفلام وثائقية: توفي نتيجة سقوط قذيفة هاون في حمص القديمة بتاريخ 28 / 05 / 2012.

أحمد عدنان الأشلق مصور مواطن: قتل في حي الخالدية في حمص بنيران قناص خلال تصويره مظاهرة قرب حديقة العلو بتاريخ 27 / 05 / 2012.

عمار محمد سهيل زاده صحافي مواطن: قتل في كمين نصبه الجيش السوري النظامي وأجهزة الأمن في حي الميدان في دمشق بتاريخ 27 / 05 / 2012.

لورانس فهمي النعيمي إعلامي مواطن: قتل في كمين نصبه الجيش السوري النظامي وأجهزة الأمن في حي الميدان في دمشق بتاريخ 27 / 05 / 2012.

حسن محمد أزهري إعلامي مواطن: قتل بسبب التعذيب الذي تعرض له خلال اعتقاله في دمشق بتاريخ 17 / 05 / 2012.

عبد الغني كعكة مصور مواطن: قتل في مدينة حلب خلال تصويره مظاهرة في حي صلاح الدين بتاريخ 4 / 5 / 2012.

خالد محمود قبيشو مصور صحافي: قتل في مدينة إدلب بعد أن أعدمته قوات الأمن ودهسته بدبابة بتاريخ 17 / 04 / 2012.

علاء الدين حسن الدوري ناشط صحافي: توفي بعد أن اعتقله حاجز "طيار" في بلدة عين اللطامنة في سهل الغاب في مدينة حماة بتاريخ 16 / 04 / 2012.

سمير شلب الشام مصور سوري: توفي متأثرا بجراحه إثر إصابته بقذيفة في محيط المستشفى الوطني بحمص بتاريخ 14 / 04 / 2012.

أحمد عبد الله العبد الله مصور سوري: قتل أثناء اقتحام الجيش لمدينة الضمير في ريف دمشق بتاريخ 14 / 04 / 2012.

علي شعبان مصور في قناة الجديد اللبنانية: قتل في اطلاق نار تعرض له فريق القناة. بتاريخ 09 / 04 / 2012.

أنس الحلواني ناشط إعلامي: تم اطلاق النار عليه من قبل قناص في مدينة حمص. بتاريخ 06 / 04 / 2012.

أحمد محمد جميل الرحمون ناشط صحافي قتل خلال تصويره قصف للتل الجنوبي لبلدة جرجناز في محافظة إدلب بتاريخ 29 / 03 / 2012.

وليد بليدي صحافي جزائري مستقل: قتل قرب قرية "عزمارين" السورية القريبة من الحدود التركية بتاريخ 26 / 3 / 2012.

نسيم انتيري صحافي جزائري مستقل: قتل قرب قرية "عزمارين" السورية القريبة من الحدود التركية. بتاريخ 26 / 3 / 2012.

جوان محمد قطنا مصور: تم العثور على جثته التي بدت آثار التعذيب واضحة عليها بعد ثلاث ساعات من اختطافه في قرية بالقرب من الدرباسية بعد اختطافه من قبل أربعة أشخاص مقنّعين من منزله في مدينة الدرباسية (شمال الحسكة الواقعة شرق سوريا). بتاريخ 25 / 3 / 2012.

ريمي أوشليك مصور فرنسي: قتل خلال القصف على حي باب عمرو، بتاريخ 22 / 2 / 2012.

ماري كولفن صحافية امريكية: قتلت خلال القصف على حي باب عمرو، بتاريخ 22 / 2 / 2012.

عمر كعكة مصور: قتل برصاص الأمن السوري في دوما بريف دمشق، بتاريخ 9 / 3 / 2012. وقد بث ناشطون مقاطع فيديو على اليوتوب لما قالوا انه آخر لقطات فيديو صورها كعكة قبل اطلاق النار عليه.

عبد الله خالد عوض مصور: قتل نتيجة القصف العشوائي على مدينة القصير في حمص، بتاريخ 24 / 2 / 2012.

أنس الطرشة مصور: قتل خلال قصف عشوائي على حي الملعب في حمص بتاريخ 24 / 2 / 2012. وقد بث ناشطون مقاطع فيديو على اليوتوب لتشييع الطرشة وناشط يدعي طارق الأسود.

رامي السيد مصور: قتل خلال قصف عشوائي على حي باب عمرو بحمص، بتاريخ 21 / 2 / 2012.

صلاح سميح مرجان مصور: قتل برصاص قناص، في كرم الزيتون بحمص، بتاريخ 5 / 2 / 2012.

مظهر طيارة مصور ومواطن صحافي: يرسل لقطات عالية الدقة للقنوات الفضائية: قتل في الخالدية بحمص نتيجة سقوط قذيفة. بتاريخ 4 / 2 / 2012.

أسامة برهان إدريس مصور: قتل خلال قصف لحي الإنشاءات في حمص. بتاريخ 27 / 1 / 2012.

جيل جاكييه مصور فرنسي من قناة "فرانس 2" التلفزيونية الفرنسية: قتل إثر انفجار قذيفة مدفعية أو صاروخ في حي عكرمة بحمص خلال زيارة لتغطية أخبار حمص بتصريح من الحكومة السورية بتاريخ 11 / 1 / 2012.

شكري أحمد راتب أبو البرغل صحافي مقدم برامج بإذاعة دمشق: توفي متأثرا بجراحه إثر تعرضه لطلق ناري في رأسه في مدينته داريا، بالقرب من دمشق، من قبل مجموعة مسلحة بينما كان عائدا إلى بيته. توفي بتاريخ 2 / 1 / 2012.

معاوية إبراهيم أيوب مصور: قتل برصاص قوات الأمن في حي الرستن بحمص بينما كان يقوم بتصوير اقتحام قوات الأمن للحي، بتاريخ 28 / 12 / 2011. وقد نشر ناشطون مقاطع فيديو على اليوتوب لما يزعم انه آخر لقطات صورها ولحظة إصابته ولم يتسن لمركز الدوحة التأكد من نسبة مقاطع الفيديو له عام 2011.

معتصم الصالح تقني بث مباشر: قتل في مدينة حماة بتاريخ 27 / 12 / 2011.

باسل السيد مصور: قتل نتيجة إطلاق رصاص عشوائي، ويعرف بأنه مصور وثق إطلاق النار عليه قبل مقتله بتاريخ 22 / 12 / 2011. وقد قام زملاء السيد بنشر فيديو على اليوتيوب يوثق اللحظات الأخيرة قبل دفنه.

حمزة خالد العامر مصور: قتل بعد استهدافه بقذيفة "آر بي جي" وهو يصور اقتحام الجيش لبلدته شمسين بحمص بتاريخ 15 / 12 / 2011.

بلال جبس مصور: قتل برصاصة قناص أصابته في الصدر في بلدة كفر تخاريم في مدينة إدلب بتاريخ 16 / 12 / 2011.

فراس برشان مصور: قتل برصاص الامن السوري في مدينة حماة بتاريخ 7 / 12 / 2011.

نزار عدنان حمصة مصور: اعتقلته الاستخبارات السورية لمدة شهر ونصف في حي البياضة بحمص ثم سلمته لذويه جثة هامدة بعد ان فارق الحياة بتاريخ 26 / 11 / 2011.

فرزات يحيى الجربان تقني بث فضائي ومصور: تم اعتقاله في بلدة القصير بحمص من قبل افراد من المخابرات السورية ثم عثر على جثته في اليوم التالي مرمية في شارع عام وقد فقئت عيناه كما كانت آثار التعذيب واضحة على جسده. بتاريخ 20 / 11 / 2011.

أحمد سليمان الضحيك مصور: قتل في تلبيسة بحمص برصاص رشاش الدبابات بتاريخ 29 / 5 / 2011.

في الختام ومن مسرحية "إرميا" لستيفان زفايغ أنقل:

«يمكن المرء أن يقتل البشر، لكنْ ليس اللّه الساكنَ في وجدانهم، ويمكن المرء أن يسخّر شعباً، لكنْ ليس ضميرَه».

عامان على الكفاح ونصر ثورتنا قد لاح، ثورتنا ستنتصر، لنفكر و نعبر ومارس الحياة بكرامة وحب وإيمان بالإنسان وقدراته وحقه في الانتقال من الهمجية إلى التمدن والحضارة ليعيش الحقوق كاملة... ليبدع ويساهم إلى جانب الشعوب الأخرى في حماية السلام في هذا العالم ليعيش الجميع في ندية ومساواة وتكامل وتعاون إنساني رائع بدون استغلال ولا قهر.

مقال عن الخجل

■ إلياس خوري

نعم أشعر بالخجل، وأعتقد أن الكثيرين من اللبنانيين يشعرون بالعار منذ تلك اللحظة اللعينة التي اقر فيها ما أطلق عليه اسم القانون الانتخابي الأرثوذكسي . صحيح أن القانون المذكور لم يصل إلى مرحلة الإقرار النهائي، وأغلب الظن انه لن يصل، لكنه نجح في إيصال انحطاط السياسة اللبنانية إلى الذروة.

عار وخجل وإحساس بأن اللعنة الطائفية وصلت إلى نهاية اللعبة، ونهايتها لها اسم واحد هو الفضيحة.

ثم أتت مواقف وزير الخارجية اللبناني السيد عدنان منصور في الجامعة العربية، عبر تفرده بالدعوة إلى إعادة النظام السوري إلى الجامعة، لتعلن التفكك الكامل لما تبقى من مؤسسة دولة اتفاق الطائف، وتضفي على القتال الذي تخوضه مجموعات مسلحة من حزب الله ضد الثورة السورية غطاء لشرعنة القتال المذهبي في المنطقة.

فضح هذا القانون العنصري، الذي يجعل من المواطن اللبناني أسير غيتو طائفته، اللعبة كلها. فالطبقة السياسية اللبنانية بمختلف أطيافها تريد تفصيل قوانين انتخابية على مقاس زعاماتها الطائفية. بحيث يتحول لبنان إلى مجموعة من الكانتونات المحكومة بأمراء الطوائف، الذين يتابعون صراعاتهم على التهام ما تبقى من لبنان.

قد نقول أن هذا التطور منطقي، فبعد سبعين عاما من الاستقلال عن الانتداب الفرنسي، ثبت أن نظام دولة لبنان الكبير، بحروبه وهدناته، لم يكن سوى توسيع لرقعة المتصرفية وإخضاع لمدن الساحل لمنطق مجلس الإدارة الطائفي. وفي حين كان نظام المتصرفية منضبطا بتسوية دولية جعلته بمنأى عن الانفجارات الأهلية، من دون أن يعني ذلك تحويل المتصرفية إلى حقيقة قابلة للحياة، فإن نظام الجمهورية الطائفي كان عرضة لاهتزازات دورية، ناجمة عن تغير موازين القوى في المنطقة. وقد تنبه منظر جمهورية التوازنات الطائفية ميشال شيحا، إلى خطر انهيار المشروع برمته بعد تأسيس الكيان الإسرائيلي، وانكفأ بعد حماقة رئيس جمهورية الاستقلال بشارة الخوري بالتجديد لنفسه.

لكن ما يبدو منطقيا يحمل في الوقت نفسه بذور الحماقة والعبث. فمؤسسات الطوائف اللبنانية المختلفة لم تتعلم شيئا من دروس الحرب الأهلية. المؤسسة المارونية التي اقتنص ميشال عون قيادتها المؤقتة تعيش في وهم القدرة على استعادة زمام السلطة الكاملة. لم تتعظ المؤسسة المارونية بشقيها السياسي والكنسي من كارثة هزيمتها المروعة بعد تحالفها المشين مع إسرائيل، فإذا بها اليوم تلتحق بنظام الاستبداد السوري، معتقدة أنها تستطيع عبر حلفها مع حزب الله، أن تفرض إيقاعها السياسي، الذي لا يحمل أي مضمون، والذي خان آمال ما تبقى من الطبقة الوسطى اللبنانية في الخلاص من الفساد والطائفية.

أما المؤسسة السياسية الشيعية، بقيادة حزب الله، فلقد ارتضت الإطاحة برأسمالها الرمزي المقاوم، من اجل أن تتحول إلى جزء من الدفاع عن النظام الاستبدادي السوري، معتقدة أنها تستطيع بقواها العسكرية الضخمة، أن تحول لبنان إلى رهينة للسياسة الإقليمية الإيرانية. المؤسسة الشيعية تكرر خطأ المؤسسة المارونية ولو بطريقة معاكسة. فالوطن يمكن الاستغناء عنه إذا كان ذلك يصب في مصلحة الطائفة، ومصالح رعاتها الإقليميين.

السنية السياسية التي تحولت إلى شبه مؤسسة بعد اغتيال الحريري، فإنها تتخبط في الانتظار، وتدير سياستها على إيقاع إقليمي تقوده المملكة السعودية. لذا فهي في رفضها للمشروع المسمى أرثوذكسي، عاجزة عن تقديم بديل وطني.

أما الطوائف الأخرى، فإنها خائفة من أن تبتلع على المستوى السياسي، بسبب صغر حجمها، وهذا يفسر التباسات موقف الحزب الاشتراكي على سبيل المثال.

لكن الكوميديا الطائفية تصل إلى ذروتها مع اسم هذا القانون. إذ لم يسبق في تاريخ لبنان وسورية وفلسطين أن أشير إلى وجود أرثوذكسية سياسية. فالأسطورة التي جمعت أبناء هذه الطائفة منذ نهاية القرن التاسع عشر هي أنهم أحفاد الغساسنة، وان عروبتهم هي فوق انتماءاتهم الأخرى. غير أن سيل الانحطاط العام الجارف، فتت هذه الأسطورة وجعلها اليوم مطية هذا القانون المخجل، وبذا تثبت البنى الطائفية أنها قادرة على ابتلاع الجميع، وان سياسيا مثل السيد إيلي الفرزلي الذي عرف 'بصداقته' لنظام الاستبداد السوري، نجح في جرّ الجميع إلى ملعب الانهيار الأخلاقي، والى تلويث سمعة مجموعة دينية، بدأ انحدارها في الحرب الأهلية، ليصل إلى ذروته اليوم مع الرهاب من الإسلام السياسي.

ما يسمى بالقانون الأرثوذكسي لا يستحق نقاشا، لكنه يعلن أن البنى السياسية الطائفية المهيمنة قررت التخلي عن دورها الداخلي لتنصرف إلى إطاحة حدود لبنان الكبير عبر انغماسها في صراع المنطقة الذي تقرأه بوصفه صراعاً طائفياً.

وتبرير هذا التوصيف للصراع في المنطقة يأتي من عراق ما بعد الغزو الأمريكي، ومن اندفاع إيران والسعودية وقطر إلى خوض الصراع على الأرض السورية بصفتها صراعا طائفيا!.

سواء أكان الصراع في المنطقة طائفياً أم لا، فإن القراءة اللبنانية لهذا الصراع تعني الإطاحة الكاملة ببنى الدولة، كما عرفناها منذ تأسيس دولة لبنان الكبير. هذا الحمق الذي تندفع إليه المؤسسات الطائفية اللبنانية سوف يعني استحالة إجراء انتخابات نيابية يعقبها شلل كامل في مؤسسات الدولة، قد يقود إلى انهيار اجتماعي لا يعلم احد ما هي حدوده.

ولعل الأذن الصماء التي إدارتها الطبقة السياسية برمتها لمطالب المعلمين، ولقرارات تصحيح سلم الرواتب والرتب الذي بقي حبرا على ورق، يقدم دليلاً واضحاً على انفصال هذه الطبقة الهرمة عن الواقع، ولهاثها خلف مكاسب سلطوية لم تعد ذات معنى.

هذا التحليل الذي كتبته أعلاه لا يبرر شيئاً، إنه يشعرني بمزيد من الخجل.

ففي مجتمع تنهض فيه حركة مطلبية كبرى، ويتمرد شبابه وشاباته ويذهبون إلى الزواج المدني رغم كل شيء، إذا بنا نواجَه بغيتوات الطوائف وهي تقفل أبوابها وتمنع عنا الهواء والحرية.

في منعطف التغيير الثوري الكبير في المنطقة الذي تجسّد ثورة الشعب السوري المجيدة أنبل ما فيه، لا نزال عاجزين عن إزاحة كابوس الطوائف، ولا يزال هذا الكابوس قادرا على تهديدنا بالموت والخراب والحروب الأهلية.

انه منعطف الخجل، ولم يعد هناك إمام اللبنانيات واللبنانيين سوى الخيار بين الطائفية والوطن.

الطائفية ضد الوطن والمواطن، أنها الوهم الذي يقودنا إلى الموت.

فماذا نختار وكيف؟

القدس العربي 11 / 3 / 2013

الثورة السورية
أسباب ومقارنات (2)

■ خالد قنوت

في بداية سنة 2011، لم يكن لأشد المتفائلين أن يتوقع قيامة الشعب السوري في الربيع القادم لكن هناك وتحت الرماد كانت جمرات الثورة مكتملة التوقد وأي مراقب عادي للوضع السوري كان يدرك أن بركاناً ما سينفجر وسيكون عاصفاً وقوياً، ليس على سورية وحسب ولكن على المشرق بمجمله. كثيراً ما تناول المواطن السوري مقولة (البلد على كف عفريت) فخطرته الطبيعية كانت تستنكر مملكة الصمت السورية التي أسس لها رئيسها السابق حافظ الأسد بعد مجازر حماة تحديداً، ولكنه يدرك أن انهيار نظام أمني بامتياز لن يكون سهلاً وسريعاً وسلمياً بالطبع.

قد يكون من أفضل الدراسات التحليلية هو اللجوء للدراسات المقارنة بين تاريخين زمنيين محددين أو أكثر ورسم خطوط بيانية للأرقام والإحصائيات المتوفرة. من ثمة الانتقال للاستنتاج العلمي والمنطقي وهذا ينطبق على عدة مجالات أساسية في مجتمع ما:

الحالة الاقتصادية السورية بين عام 1963 وحتى 2011، مروراً بعام 1970:

يعرف الاقتصاديون الاقتصاد السوري بأنه اقتصاد نامي متنوع، يعتمد بشكل أساسي على الزراعة إلى جانب الصناعة والتجارة والسياحة والنفط والغاز، واشتهرت سورية منذ زمن بعيد كبلد يعتمد على الزراعة أولاً كأهم رافد اقتصادي حيث العديد من المحاصيل الزراعية مما ارتبط ذلك مع صناعات غذائية مرافقة، وعلى الصناعة ثانياً التي كان لها قاعدة صناعية عريقة داعمة للاقتصاد الوطني في مدن كدمشق وحلب وحمص، فكانت الصناعات النسيجية تضاهي بالنوعية الأفضل عالمياً حتى سبعينات القرن الماضي.

في المرحلة ما قبل سنة 1963 تعاقبت حكومات متعددة إقطاعية وبرجوازية، حيث كان عدم الاستقرار السياسي يؤثر سلباً على النمو الاقتصادي الوطني ولكن كان سعر صرف الليرة السورية يعادل تقريباً الدولار الأمريكي.

بعد استلام حزب البعث للسلطة في سورية سنة 1963 بدأت التوجهات الاشتراكية للدولة من خلال التأميم والإصلاح الزراعي والتوجه نحو دعم القطاع العام على حساب القطاع الخاص فكان نتيجته متباينة بين قيام مشاريع صناعات وعمليات تصنيع كبيرة كمشروع سد الفرات ومصفاة حمص ومعمل الجرارات الزراعية بحلب ومعمل حديد حماة وغيرها ولكن بالمقابل كانت العفوية والتخبط وانعدام التخطيط الاستراتيجي سمة واضحة، إضافة لهجرة رؤوس الأموال الوطنية خارج الوطن والصراعات داخل القيادة السياسية والعسكرية الحاكمة كل ذلك أثر على النشاط الاقتصادي تأثيراً سلبياً.

سنة 1970 استلم السلطة الرئيس حافظ الأسد حيث عرف الاقتصاد الوطني انفراجاً إيجابياً بفعل الانفتاح السياسي على الدول العربية والخليجية خاصة واعتماد بعض الإصلاحات تجسدت بتحقيق نهضة تنموية لنقل البلاد من بلد زراعي إلى بلد صناعي بإنشاء مؤسسات تابعة للقطاع العام تلعب فيه الدولة دوراً أساسياً حيث تم متابعة بناء مشاريع البنى التحتية من طرقات وجسور وسكك حديدية وشبكات مياه وكهرباء.

ارتفع إجمالي الناتج المحلي من 6.8 مليار ليرة سورية (136 مليون دولار) عام 1970 إلى 51. 2 مليار ليرة سورية (1.024 مليار دولار) عام 1980 ثم إلى 127.7 مليار ليرة سورية (2.554 مليار دولار) عام 1987 أي بمعدل نمو سنوي 8.5٪. بلغت حصة الفرد من الناتج المحلي الإجمالي 1087 ل. س سنة 1970 لترتفع إلى 11643 ل. س سنة 1987 وكان معدل البطالة 4٪ في نفس السنة.

غير أن هذه النتائج الايجابية في الاقتصاد السوري تراجعت بشكل ملموس بعد عام 1987 كنتيجة واضحة للتفرد في القرار السياسي والاقتصادي السوري، حيث انخفضت قيمة الليرة السورية بحوالي 12 ضعفاً رغم كل المراسيم والقوانين الاقتصادية الاعتباطية التي صدرت آنذاك. حيث مارس النظام السياسي في سوريا دوراً أحال فيها كل قضايا المجتمع والدولة بما فيها الاقتصاد للسياسة، فلم يأخذ علم الاقتصاد ونظرياته أي دور يذكر في تشخيص الواقع وإيجاد الحلول للمسائل المركبة التي كان يعاني منها الاقتصاد إلا فيما يخدم ديمومة النظام وأهدافه.

في دراسة للدكتور رفعت عامر يقول، "(كان التأزم في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في السنوات الأخيرة بادياً للعيان، فمعدلات النمو الاقتصادي ضعيفة نسبياً وغير مستقرة، كما أنها غير متناسبة مع معدلات النمو السكاني الكبيرة نسبيا، وتركز النمو في السنوات الأخيرة في قطاعات التجارة والمال والعقارات والخدمات، في حين عانت الزراعة من تراجع مستمر، وكان النمو في الصناعة والتعدين ضعيفا جدا نتيجة التراجع في إنتاج النفط ونضوب عدد من الآبار، وفاقمت السياسات الاقتصادية الليبرالية من أزمة قطاعات الإنتاج، والمشكلات الاجتماعية المرتبطة بالبطالة والفقر ومستويات المعيشة بشكل عام. بلغ وسطي معدل النمو السنوي للناتج المحلي خلال السنوات (2005 - 2009) (حسب المجموعة الإحصائية لعام 2010) نحو 5.6٪، وهو للوهلة الأولى معدل مقبول نسبيا، ولكن عدم انتظامه وتفاوته الكبير بين عام وآخر 6. 5٪ عام 2006 مقارنة بعام 2005 و1.2٪ عام 2008 و3.2٪ عام 2009 مقارنة بعام 2008، يوضح أن النمو قد كان هشاً وغير مستدام، وقد استند إلى التوسع الكبير الذي تم في قطاع المصارف والتأمين (وسطي معدل نمو سنوي لهذا القطاع يقارب 9٪ ولقطاع التجارة بما يقارب 15٪)، في الوقت الذي لم تزد فيه معدلات نمو الصناعة عن 1.7٪ سنويا، بل إن الزراعة كانت تتراجع بمعدل وسطي يقارب 0.5٪ سنويا، لقد كانت هذه النتائج منسجمة مع السياسات المتبعة فانسحاب الدولة من الاستثمار في قطاعات الإنتاج، وعدم حل مشكلات القطاع العام الصناعي وإصلاحه، وترك شأن الاستثمار الإنتاجي للقطاع الخاص الأجنبي والمحلي).

و يضيف: (لم تكن الأزمة في سورية مفاجئة وبنت الساعة، فهي كانت متصاعدة وأعطت العديد من المؤشرات الواضحة منذ بداية الألفية الجديدة، زيادة معدلات البطالة والفقر، فالزيادات السكانية الكبيرة خلال العقود الماضية (معدل نمو سكاني يزيد عن 3.3٪ سنويا حتى أواسط التسعينات من القرن الماضي)، وبدء تراجع تلك المعدلات منذ ذلك التاريخ وحتى 2010، قد أدى إلى تغيرات ديموغرافية هامة أصبح بموجبها، نسبة الأطفال دون الخامسة

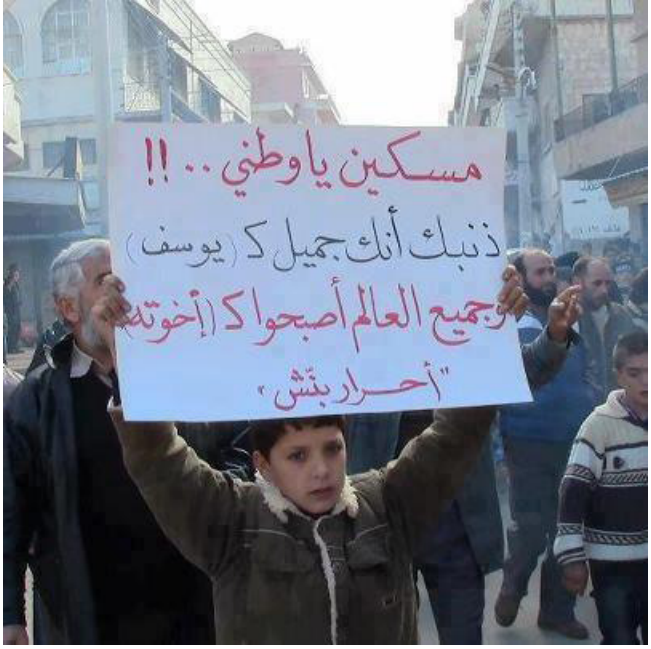

عشرة من العمر. 37.9٪ من السكان عام 2009، بعد أن كانت نسبتهم 44.8٪ من السكان عام 1998، وهو تراجع كبير نسبيا خلال ما يزيد عن العقد من الزمن، وأصبحت نسبة السكان في القوة البشرية (15 - 65 عاما) تشكل 58. 3٪ من السكان ذلك العام عوضا عن 52.3٪ من السكان عام 1998. ترافقت تلك التحولات بتحسن المستوى التعليمي وخاصة لدى الفئات العمرية 15 - 25 عاما، بلغ وسطي الزيادات السكانية في التسعينات من القرن الماضي 467 ألف نسمة سنويا، بدأ يدخل معظمهم أواخر العقد الحالي في عداد القوة البشرية المرشحة لسوق العمل، ولكن معدل النمو الاقتصادي والتوسع في قوة العمل يعجز عن استيعاب هذه الأعداد، توجه قسم كبير منهم إلى القطاع غير المنظم، وقسم آخر أصبح عاطلا عن العمل (مسح سوق العمل يقدر البطالة ب - 8.5٪ عام 2010، والتقديرات بحسابات أخرى تتجاوز 14٪)، وحسب معطيات المكتب المركزي للإحصاء غادر أكثر من 900 ألف سوري من الذكور والإناث البلاد خلال السنوات الخمس الماضية ولم يعودوا، وبتقدير وسطي سنوي 200 ألف مهاجر سنويا. بدأت تبرز منذ بداية القرن الجديد أزمة تنموية حادة: مجتمع يتطور باتجاه النضج الديموغرافي، مجتمع أكثر تعليما ومعرفة، وبنى مؤسسية وإنتاجية راكدة ومتخلفة، تدار بعقلية العصابة (تحت شعار الحزب القائد)، أي بمعنى الإقصاء والاستبعاد أو الاستزلام والتبعية، الأمر الذي فاقم من ظاهرة الفساد والظلم، الذي أصبح غير محتمل من قبل الأجيال الجديدة المتفتحة على عالم الفضائيات والانترنت، والتي امتلكت وعيا بحقوقها استثار ما يختزنه المجتمع من شعور بالقهر والاضطهاد).

الحالة السياسة السورية بين عام 1963 وحتى 2011، مروراً بعام 1970:

تعرف الفترة الممتدة بين 1932 إلى 1963 بالجمهورية السورية الأولى، تتخللها فترة الانتداب الفرنسي وسلخ لواء إسكندرون سنة 1939، والاستقلال عام 1946 وفترة الجمهورية العربية المتحدة مروراً بعدة انقلابات عسكرية والحكومات العسكرية.

عرفت سورية انتخابات ديمقراطية قبل عام 1963 عدة، كانتخابات عام 1943 وتشرين الثاني 1949، وأيلول 1954، وأيار 1957 وكانون الأول 1961، حيث كانت الأحزاب السياسية تتنافس على مقاعد المجلس النيابي ليفوز حزب الأكثرية برئاسة السلطة التنفيذية للبلاد في حكم جمهوري برلماني وضع دستوران الأول دستور 1930 والثاني دستور 1950. الأحزاب السياسية تتدرج حسب قوتها الانتخابية بالتتالي: حزبي الكتلة الوطنية المنقسمين وهما حزب الشعب والحزب الوطني، ثم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي حقق المركز الثاني في انتخابات 1954، تليها بعض الأحزاب الصغيرة كحزب الإخوان المسلمين الذي حصل على نسبة 5٪ في انتخابات 1961 وأيضا الحزب القومي السوري الاجتماعي والحزب الشيوعي والتحرر العربي وحزب التعاون، إلى جانب حركات شبابية مثل حركة القمصان البيض.

إثر انقلاب 1963 استلم حزب البعث السلطة في سورية معلناً حالة الطوارئ التي استمرت حتى 2011، وتم وقف العمل بالدستور، أعيد حافظ الأسد إلى الخدمة العسكرية (بعد أن سرح منها عام 1961) من قبل صديقه في اللجنة العسكرية رئيس شؤون الضباط المقدم صلاح جديد ورقي من رتبة رائد إلى رتبة لواء وعين قائداً للقوى الجوية والدفاع الجوي.

استلم رئاسة الجمهورية أمين الحافظ ثم انقلبت عليه اللجنة العسكرية بقيادة صلاح جديد سنة 1966 وعين حافظ الأسد وزيراً للدفاع بينما استلم صلاح جديد قيادة الحزب.

إثر هزيمة حزيران 1967 وتبادل الاتهامات في أسبابها، استولى حافظ الأسد على السلطة بانقلاب 1970 وأقر دستور 13 آذار 1973 الذي جعل حزب البعث الحزب القائد للدولة والمجتمع ومنح رئيس الجمهورية سلطات واسعة، تشريعية وتنفيذية وقضائية. يشكل حزب البعث وبعض الأحزاب الموالية (سبعة أحزاب، يشكل حزب البعث نسبة 51٪) تآلفاً يسمى الجبهة الوطنية التقدمية تحتكر ثلثي مقاعد مجلس الشعب.

أسس حافظ الأسد سلطته على هيكلية عسكرية وأمنية صلبة، معتمداً على عدد من الشخصيات الموثوقة والمقربة منه وتدين له بالولاء المطلق، محولا الدولة بالتدريج إلى دولة أمنية مخابراتية بامتياز، خاصة بعد اجتيازه وقضائه على أكبر تمرد مسلح قام به حزب الإخوان المسلمون. بذلك منحته الأحداث الفرصة التاريخية للقضاء على معظم خصومه السياسيين وهجرة حزب الإخوان بعيداً عن الوطن والأخطر كان تدجين السياسيين الباقيين منهم لا بل تم تدجين المجتمع السوري ككل ومحولا سورية إلى مملكة الصمت لأكثر من ثلاثين سنة رسخ بها الأسد حكمه وسطوته.

كانت زيارته لكوريا الشمالية الأثر الكبير في نقل شكل نظامها السياسي والأمني وحتى العائلي لسورية، وكان التحضير لتولي ابنه باسل لوراثة السلطة واضحاً للعالم وليس للسوريين فحسب.

بعد مقتل ابنه بحادث سيارة، انتقلت الأنظار إلى أخيه بشار بغض النظر عن الإمكانيات المعرفية والشخصية له. كانت وفاة حافظ الأسد غير المتوقعة، حالة صدمة سياسية للجميع، لكن كانت سطوة الأب الراحل أكبر من أي طموح لأي من رجال الدولة السورية المخضبين، فسارعوا لترقية الشاب عسكرياً وتنصيبه رئيساً خلال جلسة برلمانية كاريكاتورية.

سرعان ما شعر السوريون بالمهانة والذل لتولي الشاب زمام سلطات مطلقة وظهور تخبطاته في اتخاذ القرارات وسطحية تعامله مع أحداث خطيرة داخل سورية وخارجها ولكن خشيتهم من تغول الأجهزة الأمنية وتلويحها بمجازر الثمانينيات وظروف الدول المحيطة وخاصة العراق ولبنان جعل الجميع يضع الملح على الجرح ويتقبل فكرة الشاب المنفتح المثقف ووعوده بالإصلاحات التي تحولت من ربيع إلى شتاء باعتقالات عدد من الشخصيات المعارضة التي لم ترفع سقف مطالبها عن الإصلاحات ذاتها.

أقفلت آفاق الحياة السياسية السورية وانعزل السياسيين في بيوتهم بينما هاجر العديد منهم إلى أصقاع العالم.

الحالة الاجتماعية السورية بين عام 1963 وحتى 2011:

كان عدد سكان سوريا عام 1963 يبلغ سبعة ملايين أصبح هذا العدد عند وفاة حافظ الأسد عام 2000، سبعة عشر مليون كانت للزيادة السكانية الملحوظة خلال العشر السنوات التي تلت الثمانينيات (أي بعد مجازر حماة وانحسار المواطن السوري إلى الانعزال) الأثر الأكبر في الثورة السورية الحالية.

يشكل العرب نسبة 93٪ من مجموع السكان السوريون ويليهم الأكراد وهناك أقليات أرمنية وشركسية وتركمانية وآشورية.

نسبة المسلمين السنة تبلغ 77٪، و10٪ علويون ومرشديون، 3٪ دروز، 1٪ إسماعيليون، 4.5٪ مسيحيون، 0.4٪ شيعيون وأقلية يزيدية في جبل سنجار.

يتوزع سكان سورية في غرب البلاد في دمشق وحلب وحمص وحماة واللاذقية وطرطوس وإدلب عموما وفي الجنوب درعا والسويداء والقنيطرة ثم في شرق البلاد في دير الزور والرقة والحسكة.

ساهمت عوامل كثيرة في زيادة الكثافة السكانية في المدن الكبيرة كدمشق وحلب، منها سياسات اقتصادية غير متوازنة، مركزية العمل الاقتصادي والسياسي والثقافي في تلك المدن، الانحسار الواضح في السنوات الأخيرة للنشاط الزراعي بسبب الإهمال والفساد والجفاف، إضافة لسياسة ديموغرافية انتهجها النظام لخلق مجميات طائفية تكون وقود صراعه مع تمردات محتملة في مدن مركزية أساسية، انعكس ذلك سلباً على التوازن الاجتماعي وتساوي الفرص في وظائف الدولة ومؤسساتها وأهمها المؤسسة العسكرية والأمنية.

يقول الراحل إلياس مرقص في مذكراته: (لقد كان السوري، خلال الستينات والسبعينات، يمضي إجازته الصيفية في دول أوربة بكل بساطة وبدون تكلف مالي كبير له، بينما كان العراقي يقضي إجازته الصيفية في الساحل السوري، يدل ذلك على انفتاح السوري ببساطة على العالم وتفاعله معه وتأثره وتأثيره به مباشرة) هذا يعطينا فكرة واضحة على أن بنية المجتمع السوري كانت تتركز أساساً على الطبقة الوسطى التي بطبيعتها هي المصدر الرئيسي للعمل الاقتصادي والفكري والفني والعمل المدني المجتمعي.

منذ استلام حزب البعث للسلطة، مارس حالة خنق للطبقة الوسطى السورية وعمل بسياساته المرتجلة على تقويضها إضافة للمواطن السوري نفسه ووصل إلى حالة عزله عن العالم خلال حكم حافظ الأسد حتى أصبح السوري متخلفاً عن محيطه فأضحى غريباً في وطنه بقدر ما جعله غريباً ومصدر توتر واستجواب في مطارات العالم.

يقول المفكر ياسين الحاج صالح: (في عام 2007 كان 37٪ من السوريين (23 مليون في 2010) يعيشون دون خطر الفقر الأعلى، دولارين في اليوم، و11٪ دون خط الفقر الأدنى الذي لا يفي بالحاجات الحيوية الأساسية. هذا مع عيش السوريين كلهم تحت خطر الفقر السياسي، محرومين من إمكانية التجمع والتعاون، كما من التعبير الحر عن الرأي في الشؤون العامة. وهذا ربما يفسر مشاركة قطاع متعلم من الطبقة الوسطى مكتف ماديا، لكنه شديد الحساسية للحاجات السياسية والفكرية، ويثير اشمئزازه جشع وعدوانية الطغمة الحاكمة والبرجوازية الجديدة ذات النزعات الفاشية، وهذا مع افتقار النظام إلى أي قضية عامة أو إيديولوجية مهيمنة يمكن أن تسوغ هذه الأوضاع المتدهورة في أعين السوريين، ومع مستوى متدن من الكرامة والاعتبار العام).

يترافق كل ذلك مع حالة اهتراء داخلي لمؤسسات رئيسية في الدولة وأهمها المؤسسة القضائية والمؤسسة التعليمية والأشد خطراً المؤسسة العسكرية التي تحولت إلى مؤسسة عقائدية خاصة بالعائلة الحاكمة بعيدة عن الفكرة الأساسية لأي جيش في العالم وهي حماية الوطن والمواطن.

الاستنتاج:

يمكن ببساطة أن نرسم مخطط بياني للحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية السورية خلال خمسة عقود من الزمن لتعطينا بالإجمال دليل مادي عن حالة تراجع وهبوط مما يعيدنا لفكرة الجمر المتوقد تحت الرماد التي علمياً ومنطقياً هي أسباب رئيسية لقيام الثورات بشكل عام والثورة السورية بشكل خاص.

الثـورة فـي عـين الخطـر
احذروا "الصّحوات"

■ مجاهد ديرانية

كنـت أود أن أكتب: احـذروا وصول الصحوات إلـى سـوريا. ولكني مضطر أن أكتب: احـذروا الصحوات، لقد وصلت إلى سوريا!

ومـا "الصحـوات"؟ عندمـا أنهكَـت فصائل المجاهدين فـي العراق جيشَ الاحتـلال الأميركي وعجز عـن القضاء عليهـا لجأ إلى خطة بديلة، فبدلاً من أن يحاربها أوقـع بينها فدفـع بعضَها إلى حرب بعض، فقتل المسلمون المسلمين وخـرج الأعداء سـالمين غانميـن! بدأت الخطـة الخبيثـة فـي منطقـة الأنبار، حيث جَنّد الأميركيون عشرين ألفاً من مقاتلي العشائر السـنّية ودفعوها إلى محاربة القاعدة، ثم نشروا التجربة في سـائر مناطق السنّة، فزاد عدد مقاتلي الصحـوات علـى مئـة ألـف، واسـتمر الجيـش الأميركـي فـي دفـع رواتبهم وتمويـل عملياتهم لمدة ثلاث سـنوات، حتـى إذا تمّـت المهمـة التـي أنشـئت الصحـوات مـن أجلهـا اشـترك الجيش الأميركي مع المليشيات الشـيعية في ضربها وتفتيتها وملاحقة قادتها، فلمّا لـم تبـقَ لأهل السـنة قوّة ذات شـأن سـلّم الأميركيون العراق للشيعة وولّوا منسحبين.

* * *

هـل نجـح أعداؤنـا فـي إدخـال الصحـوات إلى سـوريا؟ للأسـف: نعم. لقد بدؤوا بتجربة محدودة في الشـرق، في بعض مناطق ديـر الزور، ونفذوها حتـى الآن بنجـاح يدعونـا إلـى القلق، بل إلى الاسـتنفار ودق أجراس الخطر. ولكـن لماذا في تلـك المنطقة تحديداً؟ أكان اختيارهـا عشـوائياً أم كان اختياراً مقصـوداً؟ لا أظن إلاّ أنـه كان مقصوداً تمامـاً، لأن مؤامرة الصحـوات لا يمكن تنفيذهـا إلا وسـط حاضنـة مناسـبة، وأفضل الحواضن هي البيئة العشائرية كمـا ظهـر في تجربـة العراق. أليسـت صحـوات العـراق قـد وُلدت قبل سـبع سنوات على الطرف الآخر من الحدود؟

إن هـذه المؤامـرة الخبيثـة تحتاج إلى ثلاثة عناصر، أولها البيئة الحاضنة، والثاني هو علماء السـوء الذين يبررون قتـال المسـلمين ويُفتون فـي الدماء، وتحتـاج أخيـراً إلـى الكثير مـن المال. فأمـا الحاضنة فقد وجدوهـا في البيئة العشـائرية التـي يسـهل تجييشـها وتحريكها بسـبب ترابطها الوثيق، وأما المـال فإنه في أيدي أعدائنا كثير، وهم مسـتعدون لإنفاق مئـات الملايين في سـبيل خططهـم الخبيثـة ولا يبالـون. بقي العنصر الثالث: علماء السـوء. هذا هو أخطر جزء في الموضوع.

ينشـط الآن فـي مناطـق الثـورة قومٌ يزعمون الانتسـاب إلى المدرسـة السلفية، وهم كذّابون في تلك النسبة لأن السـلف بَـراء منهم ومـن أفعالهم القبيحة (وها هم السلفيون الصادقون يتصـدّرون الجهـاد في أرض الشـام). أولئـك الكذابـون يَدّعـون أنهـم مـن تلاميذ الشيخ الألباني ويتحدثون باسمه لأنه مات فلا يستطيع مجادلتهم وكشف أكاذيبهم، فهـو كان له رأي في الخروج على الطواغيت، ولكنـه لم يكن له أبداً رأي فـي قتـال المسـلمين المجاهدين الذيـن يقاتلون الطواغيت. هؤلاء الذين خدعوا العامة فزَوّروا نسبتهم إلى فكر الألبانـي ومنهجـه لبثوا دهـراً يخذلون المجاهدين ويصفـون ثورتنا العظيمة بأبشـع الصفـات، فهـي عندهـم فتنة والمشـاركة فيها حرام، ذلك يومَ كانت ثورةً سلميّة لم تُطلق فيها طلقة، فما بالكم وقد صارت ثورة المدفع والدبابة؟ إن المشـاركة فيهـا -فـي ميزانهـم الأعوج- كفر بَواح صَراح!

هـؤلاء أنفسـهم، ليـس أحـدٌ غيرَهـم، انقلبـوا اليـوم فصـاروا مقاتليـن! كيـف؟ بـدؤوا ينثـرون المال ويشـترون الكتائب والألوية، ثم شكلوا "جبهـة" كبيـرة منحوهـا اسـماً غريبـاً ليسـت فيـه كلمـة قتـال ولا جهـاد ولا تحريـر، فإنهم يمقتون الجهاد حتى في التسميات! ثم بدؤوا حربهم المقدّسة، ضدّ مـن؟ ضد إخوانهـم المجاهدين لا ضد نظـام الاحتـلال الأسـدي المجرم. فاليوم يهدّدون ويطاردون ويُطَردون، وغداً يحاربون ويقاتِلوُن ويَقتلون!

* * *

هـؤلاء القـوم يتحركـون اليـوم تحت مظلـة "جبهة الأصالـة والتنمية"، ولكنهم قد يغيّرون الاسـم أو يبتدعون غيره غداً إذا كشـف أمرهم، فما أسـهل تغيير الأسماء! حتى لو غيروا أسماءهم فـإن عليكم أن تعرفوهم بأفعالهم وأن تَحْذروهـم وتحذّروا منهم. سـتجدون عندهـم دائمـاً أمـوالاً كثيـرة، والناس كلهم يحتاجـون إلى المـال، المقاتلون من أجـل السـلاح والمدنيـون من أجل الغـذاء. سـوف يمنحـون المـال مقابل مواقف عدائية حاسـمة من تلك الكتيبة أو ذلـك الفصيـل، والمبـررات موجودة دائماً: إنهم متعصبون أو متشـددون أو تكفيريون... أو ما شئتم من الصفات.

لقـد أسسـت "صحـوات سـوريا" لنفسـها قاعدة في المنطقة الشـرقية وبـدأت بالانتشـار في بقيـة المناطق، في الوسـط والشـمال، بل إني سمعت -ولـم أحقـق- أنهـا وصلـت إلـى ريف دمشق الغربي فاشـترت كتيبة صغيرة في الزبداني. المهم أن قاعدتها ما تزال ضعيفة وأن انتشـارها محـدود، ولكنّ غفلتنـا عنهـا يمكـن أن تزيدهـا قـوة وانتشـاراً، ولذلـك كتبت ونشـرت هذه المقالـة. ليـس لأنشـر الخـوف والقلق بل لأنشـر الوعي والمعرفـة. إن الوعي الشـعبي هـو الضمانة الوحيـدة -بأمر اللّه- لسلامة الثورة، وهي ضمانة أوثق وأعلى من قوة السلاح، لذلك ترون أنني أخاطب جمهـور الناس أكثـر بكثير مما أخاطب أهل السياسة أو أهل السلاح.

أنتم - يا أيها الناس - تسـتطيعون أن تُفشـلوا كل المؤامـرات بالوعـي وبالاعتماد علـى اللّه. انتبهوا من علماء السـوء الذيـن وصفتهـم لكـم آنفـاً، واعلموا أنهم جزء مـن المؤامرة وأنهم جنـود فـي جيش أعـداء الأمـة. احذروا المال الذي يشـتري الضمائـر والأرواح. انشـروا الوعي، ومن علـم فليُعلم من لم يعلم، فـإن الذين يمكن أن يصبحوا جنـوداً في "صحـوات سـوريا" -لا قدّر اللّه- هـم إخواننـا وأولادنـا وجيراننـا وأصدقاؤنا، فحصّنوهم بالوعي والعلم حتى لا يقعوا في أشـراك أعداء الثورة. ولأن الوقايـة خيـر مـن العـلاج فإنني لا أقصـر تحذيري علـى العامـة، وإنما أطالـب أيضاً الكتائب المقاتلة بحسـن السـيرة والرفق بالنـاس واحترام حرية وكرامة الإنسـان، فإنهـم إذا لم يفعلوا صنعوا بأيديهم مدخلاً لأعدائنا يدخلون منـه علينـا. ولكني لـن أسترسـل في هذه الموضـوع الآن لأن له حلقة أخرى ستأتي إن شاء اللّه.

* * *

إن مؤامـرة الصحـوات واحـدة من أسـوأ المؤامرات التي يمكن أن تتعرض سـوريا إليها، لأنها ستضرب قوى الثورة بعضَها ببعض فتنكسر شوكتها جميعاً (لا قدّر اللّه)، ومن ثَمّ يصبح المسـرح جاهزاً لقوى الاستعمار الغربية لتفرض علـى سـوريا الحل الـذي تريـد، والذي سيكون من أهم أجزائه المحافظة على الهيكل الأساسـي لنظام الاحتلال الذي سلطوه علينا منذ نصف قرن، وإجهاض الثورة قبل أن تحقق أهدافها.

هل ستنجح هذه المؤامرة؟ إن هذا لا يكـون بـإذن اللّه وفـي سـوريا وعي وديـن، وفيهـا رجال يميـزون الخير من الشـر، ويكتشـفون الخطأ وهـو صغير فيعالجونـه من فوره، ولا يتعامَون عنه حتى يسـتعظم وتسـتطير نارُه فتأكل العباد وتحرق البلاد.

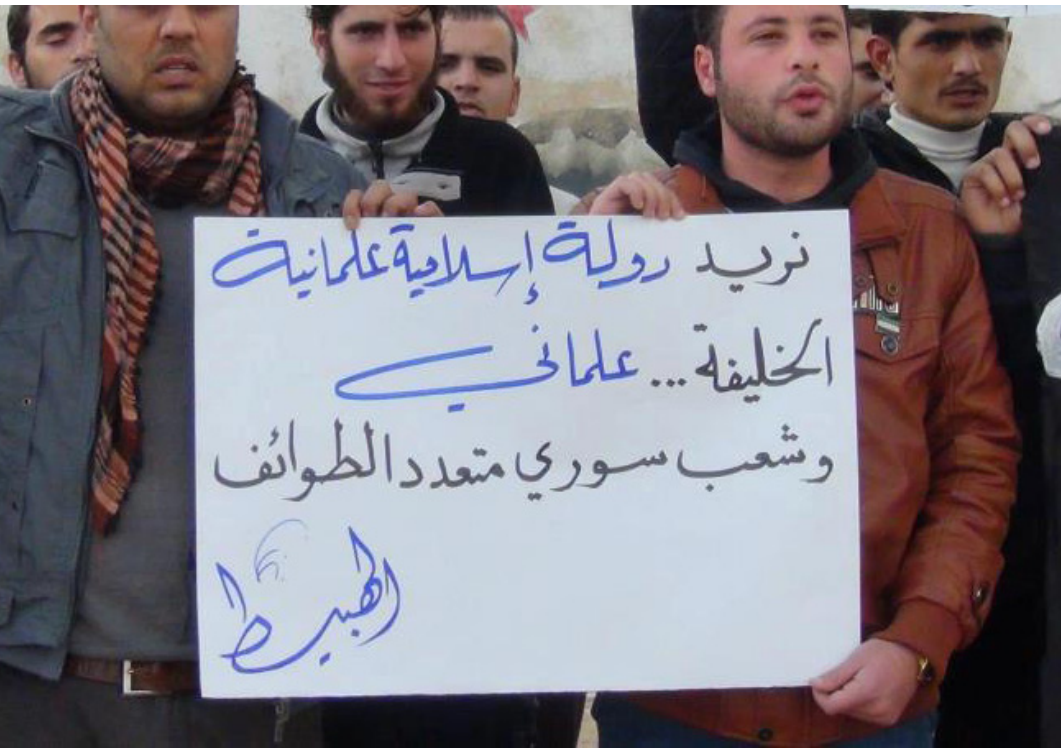

التعبئة العامة وإعلان النفير العام في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

كان الحديث عن إعلان النفير العام في سوريا واستدعاء الشبان أو توقيفهم على الحواجز الأمنية لسوقهم للخدمة، حديث سوريي الداخل في الأسبوع الماضي، ومن نافلة الذكر أن الموضوع لم يكن إلا فبركة إعلامية لم يعرف مصدرها، وزاويتنا اليوم للإضاءة على شروط التعبئة العامة ومن تشملهم هذه التعبئة من السوريين، راجين من صفحات المعارضة على شبكات التواصل الاجتماعي التزام المهنية وعدم الانجرار وراء خبر أدى إلى الكثير من اللغط والإرباك وأحيانا التهور لدى شبان الداخل.

وأياً كان مصدر هذه الإشاعة فلنا اليوم أن نوضح عدم صحتها، لافتقارها للإجراءات الشكلية للتعبئة على الأقل، فالتعبئة نوعان: " التعبئة العامة تعلن بمرسوم بعد موافقة مجلس الشعب، والتعبئة الجزئية تصدر مباشرة عن رئيس الجمهورية دون الرجوع لمجلس الشعب ".

وبموجب إعلان حالة التعبئة يعتبر من شملتهم التعبئة بحالة الخدمة الاحتياطية ويصرف راتب لهم. وتقوم إدارة تسمى إدارة التعبئة العامة بتنفيذ كافة ما يتعلق بالتعبئة حال إعلانها. ولا علاقة لإعلان التعبئة من قريب او بعيد بموضوع الخدمة الإلزامية وإنما علاقته بموضوع الخدمة العسكرية الاحتياطية.

- لا يستدعى للخدمة العسكرية الاحتياطية من يتمتع بحق التأجيل من الدعوة للخدمة الاحتياطية وفقا لقانون خدمة العلم، كمن يكون نتيجة الفحص الطبي قد تحددت خدمته بالخدمات الثابتة إلا إذا صدرت تعليمات تنفيذية تطلب ذلك.

- أما بالنسبة للمؤجلين من الدعوة للخدمة العسكرية فتطبق عليهم أحكام قانون خدمة العلم لعام 2007 وفقا لما جاء في المادة 17 من مرسوم التعبئة اي لا تغيير في وضعهم في حال إعلان التعبئة.

وتنص المادة المتعلقة بالتأجيل في قانون خدمة العلم على ما يلي، ولعل الفقرة الأهم فيما يلي هي البند الخامس والذي لم يقم به القائد العام ولا يحق له إتيانه إلا بعد موافقة من مجلس الشعب، والقائد العام هنا هو رئيس الجمهورية، وليس وزير الدفاع خلافا لما تناقله الإعلام.

المادة 10 – تؤجل الخدمة الإلزامية للمكلفين لمدة سنة قابلة للتجديد في الحالات التالية:

آ – طالب التحصيل الثانوي والعالي الذي يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات الرسمية أو الخاصة المعترف بها داخل أو خارج البلاد عند إتمامه الشروط الآتية:

1 – إن يكون مواظبا على الدراسة ولم ينقطع عنها منذ دخوله سن التكليف.

يعتبر مؤجلا دراسيا حتى نهاية العام الميلادي الذي يدخل فيه سن التكليف ويرغب بمتابعة الدراسة.

2 – ألا يتجاوز سنه الحدود الآتية:

- 21 سنة لطلاب الدراسة الثانوية.

- 24 سنة لطالب المعاهد المتوسطة.

- 26 سنة لطالب الكليات الجامعية التي تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات.

- 27 سنة لطالب الكليات الجامعية التي تكون مدة الدراسة فيها خمس سنوات.

- 28 سنة لطالب الطب البشري والماجستير في سائر الاختصاصات.

- 30 سنة لطالب الدراسات العليا (شهادة الدكتوراه) في سائر الاختصاصات.

- تضاف إلى السن القصوى المحددة للتأجيل الدراسي بموجب الفقرة السابقة سنتان للمكلف الذي يتابع دراسته خارج القطر باستثناء الدراسة الثانوية.

3 – يستمر تأجيل الطالب في السنة النهائية للمراحل الدراسية التي يتجاوز فيها السن القانونية القصوى المحددة للتأجيل خلال العام الدراسي حتى نهايته ويساق بعدها.

4 – يلغى التأجيل الدراسي للمكلف إذا لم يجتز السنة الجامعية الأولى بنجاح خلال سنتين ويضاف إليها سنة واحدة لمن كانت دراسته بلغة أجنبية.

5 – يجوز زمن الحرب إلغاء التأجيل الدراسي لجميع المكلفين بقرار من القائد العام.

ب – احد الأولاد لوالدين أو لأب أو لأم إذا كان لهما أو لأحد هما ولدان أو أكثر في سن التكليف على ألا يتجاوز عدد الموجودين في الخدمة الإلزامية الولدين وفي خدمة العلم الفعلية الثلاثة أولاد وللوالدين أو لأحدهما في حال وفاة الآخر اختيار الولد المطلوب تأجيله على ألا يؤدي ذلك إلى تجاوزه سن السابعة والثلاثين.

ج – الذي تثبت عدم لياقته الصحية المؤقتة للخدمة الإلزامية.

د – المحكوم عليه طوال مدة تنفيذ عقوبته أو الموقوف رهن التحقيق طوال مدة توقيفه.

ه – المعيل الذي يثبت إشرافه على أحد أ وبعض أفراد أ سرته ممن ليس لهم معيل سواه وفقا لما يحدده النظام.

و – المغتربون: يقصد بالمغترب في معرض تطبيق هذه الفقرة هو كل مواطن عري سوري ومن في حكمه ولد في بلد أجنبي أو هاجر إليه وأقام فيه(قبل بلوغ سن التكليف) بصورة مستمرة وتحدد شروط ومدد تأجيلهم في النظام.

المادة 11 – يجوز بأمر من القائد العام تأجيل سوق بعض المكلفين إداريا لا سباب قاهرة أو لضرورات الصالح العام.

- الوحيد المعفى من الخدمة الإلزامية العسكرية لا يستدعى للاحتياط في حال إعلان التعبئة.

- المؤجل دراسيا لا يشمله الاستدعاء للاحتياط بموجب إعلان التعبئة فالاحتياط يكون لمن أدى الخدمة الإلزامية والمؤجل دراسيا لا يكون قد أداها.

وحتى الآن لا يوجد أي خبر رسمي أو مرسوم قد صدر بإعلان حالة التعبئة لا العامة ولا الجزئية، وفي حال صدور ذلك فالأمر يتعلق بالخدمة الاحتياطية فقط ولا يشمل المؤجلين أو المعفيين من الخدمة.

وأكد وزير التعليم العالي محمد يحيى معلا، نفيا قاطعاً ما جرى تداوله حول توقف منح مصدقات التأجيل الدراسية، في وزارتي التربية والتعليم العالي، استباقاً لإعلان نفير عام، معتبرا ذلك "عار عن الصحة".

وأشار وزير التعليم العالي إلى أن "المصدقات منحت أصولاً مطلع العام الدراسي"، مبيناً أن "مصدقات التأجيل الدراسي يحصل عليها الطالب بشكل تلقائي مع بداية كل عام دراسي بعد تسجيله في سنته الدراسية، وكل طالب يسجل في الجامعة يحصل على هذه المصدقة، ومن ضمنهم جميع الذكور من بين نحو 650 ألف طالب وطالبة مسجلين في الكليات والمعاهد التابعة للتعليم العالي، إضافة إلى طلاب المعاهد التقنية التابعة لوزارة التربية والتعليم، والبالغة نحو 66 معهداً وفيها عشرات آلاف الطلاب، إضافة إلى الأحرار المتقدمين إلى امتحان الشهادة الثانوية العامة".

وبموجب قانون خدمة العلم، فإنه يحق للمكلفين بخدمة العلم التأجيل لمدة سنة قابلة للتجديد وذلك لطلاب المرحلة الثانوية والمعاهد والجامعات إذا كانوا مواظبين على الدراسة ولم ينقطعوا عنها منذ دخولهم سن التكليف، كما تم تحديد مدة التأجيل لمرة واحدة بعام ميلادي.

حوران حاضنة الثورة السورية

■ بلال سلامة

حوران أرض الحرية والكرامة على مر الزمان، كانت وستبقى رمزاً للمقاومة ضد الاحتلال والظلم. واليوم ما زالت حوران تكتب أجمل وأسمى صور النضال والشهادة في وجه الإرهاب الأسدي. درعا المدينة التي رفضت ظلم أطفالها وإهانة رجالها كانت الشعلة التي أضاءت للثورة طريقها لتبدأ ولتشتعل في حنايا البلاد ولتنطلق فتشمل كل وطننا السوري. عامان على الثورة وما زالت حوران في كل يوم تهب شبابها فداء للوطن وللكرامة السورية.

منذ زمن الانتداب الفرنسي عُرفت حوران بأنها لا تتنازل عن كرامتها لأي احتلال. حتى قال الجنرال غورو بأن "أهل حوران قد أبدوا في المعارك التي خاضوا غمارها أمام الجيوش الفرنسية البطولات الخارقة ما يدهش العقول، ويثير الإعجاب والتقدير". كما صرح بأن "خطة الإيقاع والتفرقة بين العناصر والطوائف والقضاء على الروح الوطنية في نفوس الشعب، ونشر الثقافة الفرنسية لم تنجح كما كان مقدراً لها لأن الشعب الحوراني قد اشتهر بالعناد والصمود والقدرة على الاحتمال والتحدي".

بدأت المناوشات بين الفرنسيين والثوار في حوران إثر معركة ميسلون وخروج الملك فيصل من دمشق إلى درعا، والتف حوله الشعب بأسره، وبلغ به الحماس أشده. عندما رأى غورو هذا، أنذر الملك فيصل ليخرج من حوران خلال عشر ساعات، وأنذر الحوارنة بقصف منطقة حوران بالقنابل إن لم يغادرها الملك. لما رأى الملك أن بقاءه سيسبب الخراب والدمار للحوارنة آثر مغادرة حوران إلى حيفا.

بعد مغادرته وصلت الأخبار إلى غورو أن الروح الوطنية في حوران تتأجج، وأنهم تجهزوا بالأسلحة التي غنموها من أفراد الجيش التركي خلال انسحابه من البلاد العربية، وأنه سيلقى مقاومة عنيفة، كما أنه علم أن فريقاً من الذين صدرت بحقهم أحكام الإعدام ما زالوا يقيمون في درعا. ولكل هذه الأسباب قرر غورو في 21 آب 1920 ارسال قوة رمزية مؤلفة من عشرين جندياً من السنغال إلى حوران. مانع الحوارنة مجيء هذه القوة وأجبروها على العودة في القطار إلى دمشق. وعليه رأى علاء الدين الدروبي رئيس مجلس الوزراء أن يقوم بزيارة حوران لتهدئة الخواطر، ولبحث شأن الغرامات التي فرضها الفرنسيون على منطقتهم، والاتفاق معهم على كيفية الدفع. تألف الوفد من رئيس الوزراء يرافقه في هذه الرحلة عبد الرحمن باشا اليوسف رئيس مجلس الشورى نظراً لما كان يظنه نفوذاً على الحوارنة بالنسبة لصلات المودة بينه وبين فارس الزعبي أحد زعماء الحوارنة، وعطا الأيوبي وزير الداخلية، والشيخ عبد القادر الخطيب، وأحمد الخاني مرافق رئيس الدولة ومنير بدر خان.

لما وصل القطار الذي يقل رجال الحكومة هاجمه الحوارنة وقتل علاء الدين الدروبي رئيس مجلس الوزراء وعبد الرحمن باشا اليوسف رئيس مجلس الشورى. ونتيجة لهذا العمل جمعت الحكومة من الحوارنة أموالا طائلة ووزعتها على الأشخاص المنكوبين، فعوضت بمبلغ 10، 000 ليرة ذهبية لكل من ورثة المقتولين، و2، 500 ليرة ذهبية دية المقتول عبد الهادي من نابلس و500 ليرة ذهبية عن كل جندي مقتول، وفرضت مبلغ 100، 000 ليرة ذهبية غرامة حربية. وبتاريخ 20 أيلول 1920 أعدم في المرج الأخضر بدمشق محمد يوسف الحريري وطالب عيسى الحريري من قرية علمه وفر قاسم الداغر واثنان من أبناء عمه.

في أواخر شهر آب عام 1920 جهز الجنرال غورو حملة عسكرية كبرى بقيادة الجنرال "غوابيه" وأرسلها إلى حوران توطيداً لهيبة فرنسا، ولكن خاب أمله عندما احتمى الثائرون بمعاقل اللجاة الوعرة الحصينة، وعندما علم أن نقل العتاد والمعدات العسكرية والمدافع إلى المنطقة يستغرق وقتاً طويلاً.

كرد على هذه الحملة التي كانت تقوم بأقسى أعمال العنف والإرهاب وتخلف وراءها الخراب والدمار بقسوة لم يعرف لها مثيل، قام المجاهدون والزعماء في حوران بتشكيل مجلس للثورة يتألف من: الأمير إسماعيل باشا الرفاعي شيخ مشايخ حوران زعيماً لمجلس الثورة - الأمير زعل بيك الرفاعي من بصر الحرير - الشيخ فارس الأحمد الزعبي من دير البخت - الشيخ فواز باشا البركات الزعبي من الرمثا - الشيخ إبراهيم السليم الزعبي من المسيفرة - الشيخ طلال أبو سليمان من اللجاة - الشيخ موسى عقلة الزعبي من الغارية الشرقية - الشيخ زعل عبد الغني الحريري من ابطع - الشيخ فاضل المحامد من درعا - الشيخ مصطفى المقداد من بصرى الشام - موسى المصطفى اليوسف من اربد.

وكان من أول قرارات مجلس الثورة قرار الهجوم على منطقة دير علي، وقد ساعد فريق من الضباط العرب الحوارنة في تنفيذ قرارهم، وكانت أهم خطة لتنفيذ هذا القرار مهاجمة القطار المعزز بالمصفحات والرشاشات من الزوايا الجانبية بشكل صاعق مباغت، تفادياً من فتك سلاح الرشاشات والمصفحات بالمهاجمين.

وفعلاً هاجم المجاهدون القطار في موقع الدير علي، وأبادوا الحامية التي ترافق القطار، واستولوا على كل ما يحمله من سلاح وعتاد ومؤن. لقد كان هذا العمل كارثة كبرى بالنسبة للفرنسيين، فالحوارنة بأشد الحاجة إلى السلاح والعتاد، وقد استولوا على مقادير كبيرة تمكنهم من مجابهة الفرنسيين بسلاحهم مدة طويلة. وقد استغرب الجنرال غورو عمل الحوارنة وهجومهم الصاعق المحكم، واستعمالهم للقنابل اليدوية بشكل متقن.

عمد الجنرال غورو بعد ذلك إلى تسيير القطارات المصفحة، لتكشف الطريق وتحافظ على سلامة القطارات التي تتبعها وهي تحمل النقليات العسكرية كيلا تتكرر هذه الكارثة.

بعد انتصار الثوار في موقعة دير علي، تولى الشيخ إسماعيل باشا الحريري شيخ مشايخ حوران قيادة الثائرين بنفسه، يعاونه الشيخ زعل بيك الرفاعي وفارس الأحمد الزعبي وإبراهيم السليم الزعبي وطلال أبو سليمان ومصطفى المقداد وفاضل المحاميد و عبد القادر ابازيد وغيرهم من وجوه حوران. ورغم قيام الجيش الفرنسي بالتحريات الواسعة في بيوت الحوارنة على السلاح، إلا أنه لم يجد شيئاً منه. وتلقى الجنرال غورو خيبة كبيرة، فرغم الفقر المدقع المخيم على ربوع حوران والتشويق والترغيب للتطوع في جيوش فرنسة بتعويض مغر، فقد استحال على الفرنسيين استمالتهم، ولم يتقدم أي حوراني للتطوع في خدمة الجيوش الفرنسية مما أذهل الجنرال غورو، ودعاه ليقول أنه سيجري الدماء في كل أراضي حوران ويدع أبناءها ضحية للفقر والفاقة جزاء لعصيانهم ومحاولتهم إذلال فرنسا.

كان المجاهدون الحوارنة يركزون على تدمير الخطوط الحديدية في مواقع عديدة، وكان هذا سبباً كبيراً لقلق الفرنسيين. وزاد على ذلك قرار مجلس الثورة توزيع المجاهدين ليباغتوا القوات الفرنسية بهجمات صاعقة متوالية في المراكز المرابطة فيها وأهمها الخيارة والكسوة لقربها من مواقع اللجاة. فأحاط المجاهدون بالقوات الفرنسية المعسكرة بجوار الكسوة من نقاط عدة وانقضوا عليها وقتلوا من فيها. ثم قامت نخبة مختارة من شباب حوران للاستطلاع على مواقع الفرنسيين في موقع الخيارة، فداهم الثائرون القوات الفرنسية المرابطة في قرية الخيارة بهجوم مباغت من جهات عدة، وكبدوهم خسائر كبيرة، ارتدت على إثرها فلول الفرنسيين إلى دمشق يسودها الفوضى والإضطراب، وكان الهجوم عليهم ليلاً بواسطة السكاكين مما شتت القوات الفرنسية قبل أن تتهيأ للدفاع عن نفسها، ولولا يقظة سلاح الرشاشات لحلت بالقوات الفرنسية كارثة كبرى.

بعد هذه الواقعة وخسارة الفرنسيين لعدد كبير من جنودهم، قامت الطائرات الفرنسية بإلقاء المناشير على مواطن الثوار عسى أن يجدي التهديد والوعيد نفعاً، ورابطت حملة عسكرية كبرى في قرية غباغب لسهولة توزيع القوات في هذه الطرق وأخذها إلى مواقع الثائرين. وتوسعت الحملة وامتدت من غباغب إلى موقع عُرف باسم الكتيبة، واشتبكت مع الحوارنة بمعركة ضارية، ولكن اضطرت القوات الفرنسية للتوقف أمام صمود المجاهدين واستماتتهم بالدفاع عن أرضهم وتعرضت لأفدح الخسائر. وسريعاً جمع الحوارنة شملهم وهاجموا الجيش الفرنسي في موقع الدلي وكادوا يوقعون به كارثة كبرى، لولا النجدات التي تلقاها الجيش الفرنسي من دمشق. ومن أبرز قادة هذه المعارك الشيخ المجاهد فواز باشا البركات الزعبي.

قضت السياسة الفرنسية بإفقار الشعب السوري وتصفية خيراته لينعم بها الشعب الفرنسي الذي خرج من الحرب العالمية الكبرى على أسوء حال، واتخذ الفرنسيون خطة إيقاع التفرقة بين زعماء حوران وشيوخها كي تشغلهم المجاعة والتنافر فلا يستطيعون النهوض بالثورة عليهم مرة أخرى. لقد كان الشيخ إسماعيل باشا الحريري شيخ مشايخ حوران يفسد على الفرنسيين هذه الخطة فكلما وقع الخلاف بين عشيرتين قضى على كل النزاع وأصلح بين الفريقين ورغم إقامته الإجبارية بدمشق فان بيته كان مقصداً لكل الحوارنة لحل مشاكلهم.

حوران مدينة النضال والكرامة ضد كل محتل آثم، بدأت حربها ضد ظلم الفرنسيين وجبروتهم ولم تنهها بعد ضد ظلم النظام الحالي الذي عذب أطفالها وأهان رجالها واستباح أرضها وحرمتها. ست وعشرون عاماً من مقاومة الفرنسيين هي أكبر مثال على تصميم أهل حوران على النصر، واليوم وبعد مرور سنتين على الثورة تبقى حوران الأم الحقيقة للثورة والراعي الأول للنصر.

سورية: مصباح وسط العاصفة

كيف لنا أن نبني التصور الصحيح حول كيفية دعم المقاومة السلمية الشعبية والسعي لحفظ السلم الأهلي دون سلاح؟

■ بقلم: مايكل ناغلر 30 تموز / يوليو 2012
ترجمة نورس مجيد

يذكر التاريخ أن حملة "غادروا الهند" التي أطلقها غاندي في عام 1942، تخللها اندلاع لأعمال عنف. في وقت سابق لذلك، وتحديداً في عام 1922، أدت أحداث مشابهة إلى جعل غاندي يلجأ لتعليق حركة العصيان. لكن في هذه المرة تحديداً قال غاندي: "اسمحوا لنا أن نترك هذا المصباح مضاءً وسط الإعصار".

تعبر هذه الحالة بشكل كبير عما يشهده اللاعنف في سورية اليوم، وإليكم بعض المعلومات أولاً: في النسخة القرآنية من قصة قابيل وهابيل، يقول هابيل لأخيه الغيور: "لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين" (5، 28). أي أنه بحسب النص القرآني تزامنت الجريمة الأولى مع أول عمل لاعنفي، وللمرة الأولى ظهرت أول حالة رفض للقتل حتى من أجل الدفاع عن النفس. حدث ذلك من خلال إدراك وجود إله يتعالى عن هذا النوع من الصراع.

اعتماداً على هذه الآية تحديداً، ألّف الداعية الإسلامي الشيخ جودت سعيد كتابه (مذهب ابن آدم الأول) وهو ربما أول كتاب في اللغة العربية يدعو لاتباع منهج سلمي في التعامل مع مشاكل المنطقة. لاقت أفكار جودت سعيد قبولاً جيداً في بعض الأوساط الفكرية في سورية، لكنها لم تؤد إلى تغيير يمكن تلمسه في البيئة السياسية أو الاجتماعية. موجة الأحداث التي فجرتها الثورة الإيرانية (على الرغم من أنها كانت، ولا تزال، لاعنفية الطابع) – في مصر، والمملكة العربية السعودية، وفي سورية نفسها بشكل محدود، كانت ذات طابع قومي ولم تكن لاعنفية تماماً. بيد أن مجموعة من الشباب (في منطقة داريا) الذين تأثروا بأفكار أحد المدرسين المنفتحين في مدرسة قام النظام بإغلاقها لاحقاً، هذه المجموعة أبدت تقبلاً كبيراً لأفكار هذا الشيخ المميز. وتزامناً مع الغزو الأميركي للعراق في عام 2001، بدأ هؤلاء بالقيام ببعض النشاطات المتواضعة والتي كان أحدها مستفزاً للنظام بشكل خاص: لقد شرعوا بتنظيف الشوارع في الأحياء التي كانوا يعيشون فيها. قد لا يبدو هذا العمل ثورياً تماماً بالنسبة لنا، لكن في سورية لم يكن الناس يشعرون بأن بلادهم تخصهم على الإطلاق، فهم يعيشون في منازل نظيفة ومرتبة من الداخل، بينما لم تعن الشوارع العامة التي تعود إلى الدولة أي شيء لهم. لقد كان نموذج الشباب مثالاً متميزاً لـ "البرنامج البناء" الذي أطلقه غاندي على الرغم من أنهم في الغالب لم يكونوا على معرفة مسبقة بهذا البرنامج: يعتمد البرنامج على أخذ زمام المبادرة بطريقة تضع النظام في وضع محرج عندما يتدخل. وهو ما فعله النظام تحديداً عندما واجه الحملة بسلسلة من الاعتقالات. لقد عرف النظام تماماً بأن هؤلاء الشباب بدؤوا يعيدون للناس ملكية بلادهم المفقودة.

فرص النجاح التي تملكها المقاومة السلمية مضاعفة مقارنة بالمسلحة، واحتمالات نجاحها في توفير الشروط لبناء حرية حقيقية كبيرة جداً.

ثم جاء الربيع العربي، وبدأت أولى الاحتجاجات في سوريا تظهر في أواخر شهر يناير من عام 2011. في الأشهر الأولى نجحت قوى المعارضة في خلق انشقاقات بين الجيش والحكومة (وهي انشقاقات هامة جداً لنجاح الثورة السلمية)، لكن العديد من المنشقين وغيرهم لجؤوا إلى الكفاح المسلح في مواجهة القمع. وحسب إريكا تشينووث، التي ألفت مع ماريا ستيفان دراسة مهمة جداً بعنوان: (لماذا تعمل المقاومة المدنية)، فإن هذا النوع من الحركات السلمية غالباً ما يتطلب عامين ونصف إلى ثلاثة أعوام حتى يترسخ تماماً. تاريخياً كانت هناك حملات سلمية تعمل بقوة بالتزامن مع المقاومة المسلحة، وأحياناً كانت هذه الحملات ترقى لمستوى فرض شرعيتها على معارضة مسلحة تحظى في كثير من الحالات باعتراف دولي. ومع ذلك كانت الحملات السلمية تحقق انتصارات فعلية: في جنوب أفريقيا، والفلبين، وربما في مرحلة معينة (إن شاء الله) في فلسطين. هذا أمر بالغ الأهمية لأنه حسب تشينووث وستيفان، فإن فرص النجاح التي تملكها المقاومة السلمية مضاعفة مقارنة بالمقاومة المسلحة، واحتمالات نجاحها في توفير الشروط لبناء حرية حقيقية تبقى كبيرة جداً في سورية (وهو ما ننتظر حدوثه في مصر). لكن هذه الحركة الوليدة جرى استبدالها والتخلي عنها بسرعة.

يسهم العنف الشديد في خلق تحديات كبيرة أمام محاولات التعبئة، وغالباً ما تجد الحركات الوليدة صعوبة كبيرة في التغلب على هذه التحديات. لكن بعض الحركات نجحت في الحفاظ على زخمها أو حتى زيادة المشاركة الشعبية في مواجهة القمع المفرط (مثل حركة خدام الرب البشتون في عام 1931، والثورة الإيرانية 1977 - 1979)، بينما وجدت حركات أخرى نفسها في حالة من الفوضى. وكما قال لي بشر سعيد (ابن المفكر الإسلامي جودت سعيد): عندما يتم القبض على الناس واستجوابهم فإنهم غالباً ما يقولون للمحقق ما يريد سماعه: "نعم، العصابات المسلحة هي التي تقوم بالقتل". وهو ما دفع بشر إلى التعقيب، وبوضوح تام، أنه "لو كان بإمكاننا وقف الكذب، عندها لن نحتاج إلى ثورة". حتى اليوم، لم يتصدع جدار الخوف لذلك نحن نفتقر إلى اللبنة الأساسية لنجاح أي مقاومة، بل لنجاح أي عمل على الإطلاق.

ومع ذلك، وكما وصفت دوناتيلا ريفيرا في مدونتها مؤخراً: "الشباب الذين التقيت بهم، بمن فيهم أولئك الذين تعرضوا للإصابة، ليس لديهم أي نية لوقف احتجاجاتهم". وحتى لو نجحت الأطراف الدولية المنخرطة في الشأن السوري و"المجتمع الدولي"، في حل خلافاتها، فهم يشعرون بأنهم غير قادرين على عمل أي شيء، أو ربما أسوأ من ذلك، المجتمع المدني العالمي لا يبدو بأنه يأبه كثيراً. هناك أشياء كثيرة تحدث لكن للأسف لا أستطيع وضعها هنا، بسبب مخاوف أمنية، ولحساسية بعض القضايا، ولكن التدريب على اللاعنف، والتصورات والرؤى الضرورية جداً حول مستقبل لسوريا، والسعي لبناء المصالحة، ومجموعات النقاش الأسبوعية عبر الحدود، كل ذلك مازال مستمراً. أما بالنسبة للعمليات على المستويات الأعلى، فنحن نعلم جميعاً بأن الأمم المتحدة أرسلت حوالي 300 من المراقبين، أو ما يسمى بـ "القبعات الزرق" (انضم إليهم عدد أصغر من مراقبي جامعة الدول العربية). لكن هذه هي النقطة الأساسية.

أن نظهر للعالم بأننا نملك بديلاً حقيقياً لعدم القيام بأي شيء أو لاستخدام القوة العسكرية. "نحن بحاجة، ونحن قادرون، على تقديم الدليل على إمكانية تحقيق ذلك".

وفي معرض تلخيصه لأسباب فشل الحركة اللاعنفية في سورية حتى اليوم، يقول بشر بإيجاز، "لم نكن على استعداد". حسناً، نحن أيضاً لم نكن مستعدين – (أقصد العالم الذي يراقب الوضع في سورية). ثلاثمائة من المراقبين!؟ عندما يتعلق الأمر بالخوذات الزرق فإن الأمم المتحدة لطالما كانت على استعداد لإرسال 16000 منهم. هؤلاء المراقبون غير المسلحين هم خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح، لكن عددهم كان يجب أن يكون أكثر بعشر مرات وكان يجب "تسليحهم" بمهمة أكثر صرامة. كما قال ميل دنكان، المدير المؤسس لقوة حفظ السلام اللاعنفية، يجب أن يكونوا على استعداد لحماية العلويين، وكذلك السنة: أي حماية أي شخص يتعرض للتهديد. وينبغي إنشاء فرق عابرة للطائفية يمكنها استدعاء المساعدة الدولية لمنع نشوب أعمال عنف انتقامية أثناء المرحلة الانتقالية. إن دنكان أفضل من يعرف ذلك، فقد كانت قوة حفظ السلام اللاعنفية، وغيرها من مجموعات حفظ السلام، تقوم بذلك بنجاح في جميع أنحاء العالم منذ الثمانينيات، وبدون أي خسائر بشرية تذكر. وقد قامت هذه المجموعة بإجراء اتصالات ناجحة للغاية مع مكاتب الأمم المتحدة، كما يضيف دنكان، كي نظهر للعالم بأننا نملك بديلاً حقيقياً لعدم القيام بأي شيء أو لاستخدام القوة العسكرية. "نحن بحاجة، ونحن قادرون، على تقديم الدليل على إمكانية تحقيق ذلك". وأقتبس ما يلي من تقرير خاص للأمم المتحدة جرى تقديمه في مؤتمر رفيع المستوى:

على مدى السنوات الثلاثين الماضية، نجحت العديد من منظمات المجتمع المدني (الصغيرة) في تطوير وتوظيف وسائل فعالة ومبتكرة لحفظ السلام وحماية العاملين بصورة منهجية، دون الاعتماد على الأسلحة، أو استخدام القوة. تعمل هذه المنظمات دائماً بشكل وثيق مع أصحاب الشأن والمجتمعات المحلية، وتشمل أساليبها ما يلي:

- الوجود الاستباقي في المناطق الساخنة، وأحياناً التواجد كمجموعات فصل بين المقاتلين.
- حماية الأفراد أو المجموعات السكانية المعرضة للخطر من خلال مرافقتها.
- الإنذار المكبر للتجمعات السكنية وتوفير آليات الاستجابة السريعة (التنبؤ والاستباق)
- تمكين المجتمعات المحلية من القيام بالعمل بنفسها (بشكل أسرع وأفضل) من خلال التدريب وبناء القدرات، الخ
- مراقبة الإشاعات
- تطوير أساليب الوساطة الشعبية، وخلق مناطق آمنة
- رصد الامتثال للاتفاقيات (وقف إطلاق النار، أو اتفاقيات السلام).

ما يحدث اليوم في المدن والقرى السورية ليس مشكلة سورية فحسب، إنها مشكلتنا أيضاً. إن وسائل الإعلام تصرح يومياً بأننا لا نملك خياراً، وذلك فقط لأننا نتشبث بمبدأ خاطئ، وهذا المبدأ بدوره قائم على رؤية مشوهة للواقع. عندما سنفتح أعيننا على رؤية الحق، ستتجلى لنا قدرتنا على دعم اللاعنف الشعبي ونشاطات حفظ السلام وحماية المدنيين العزل في المناطق التي تحتاج إليها. لقد جمع مايكل بير وزملاؤه في منظمة اللاعنف الدولية قوائم بالأشياء التي يمكن للحكومات والشعوب القيام بها لحماية شعب سورية. بالنظر إلى كل ما يجري تحت رادار وسائل الإعلام، قد لا يكون الوقت متأخراً تماماً لتوفير هذه الحماية لشعب سورية، لكن يمكن القول بكل ثقة بأن الوقت لم يفت بالتأكيد للتحضير - أو لمنع حدوث - الصراع المقبل.

أحد الملصقات المفضلة لدي يقول: (أنا منذ الآن، أقف ضد الحرب القادمة). هذا هي الطريقة للتصدي للحرب القادمة: أن تكون من الداعمين لفنون اللاعنف والسلام.

عنوان المقال الأصلي:
Syria: Lamp in the Storm
http://www.yesmagazine.org/peace-justice/syria-lamp-in-the-storm

فارس الخوري 1877 - 1962 (1)

■ ياسر مرزوق

صفحتنا اليوم احتفالية بمرور عامين على ثورتنا ثورة الكرامة، نحتفل بثورتنا وبفارسنا الذي قال عنه الأديب الكبير ظافر القاسمي: " إن فارس الخوري وليد القرون، لم يكن يشبهه أحد ممن عرفت من الرجال وقد تمضي القرون ولا يرزق العالم العربي من يماثله أو يدانيه " فارس الخوري الأب الروحي للسياسة السورية في النصف الأول من القرن الماضي هو ضيفنا اليوم..

ولد فارس الخوري في العام 1877 في قرية كفيْر حاصبيا اللبنانية، والده يعقوب بن جبور الخوري، ويعود أصل أسرته إلى قرية عين حليا في سهل الزبداني، والدته السيدة حمدة الفاخوري والتي كان الفارس مولعاً بها، و كان يذكرها على الدوام قائلا: " حمدة عظيمة.. حمدة هي التي علمتني "، أمضى مدة دراسته الابتدائية في مدرسة للقرية كان المرسَلون الأمريكيون قد أسسوها. وكان أستاذه فيها يوسف المجدلاني، ثم تابع تعليمه في مدرسة مشابهة لها في صيدا في العام 1887وأقام فيها ثلاث سنوات، وكان متفوقاً على أقرانه، أستاذه في الحساب كان الدكتور نجيب الصليبي، من سوق الغرب، الذي اشتهر بمقدرته في الرياضيات، وكان حريصًا أن يُعجزَ تلميذه فارس في مسائل الحساب، فلَم يجد إلى ذلك سَبيلاً. كان يأتيه كل يوم بمسائل ومعضلات من الكتب الإنكليزية، فيأتيه فارس بحلها، ولم يكن إعجاب أستاذ الرياضيات بأكثر من إعجاب أستاذ اللغة العربية. فقد حفظ فارس ألفية ابن مالك لابن عقيل وأرجوزة نار القرى للشيخ ناصيف اليازجي.

عام 1890عينه المرسلون الأمريكان معلماً في مدرستهم الابتدائية في زحلة. وفي العام نفسه دخل فارس الكلية الإنجيلية السورية، والتي سميت بعد ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت. ولكن المرسلين الأمريكيين لم يمكنوه من الاستمرار، فقد عينوه من جديد في مدرستهم بقرية مجدل شمس عام 1892، ثم نقلوه إلى صيدا، وفي عام 1894 عاد للدراسة في الجامعة الأمريكية وحصل على شهادة بكالوريوس في العلوم عام 1897، وكانت هذه الشهادة في ذلك الحين شهادة ثقافية عامة ليس فيها اختصاص في أحد فروع العلوم والآداب، دعاه رئيس الجامعة للتدريس في القسم الاستعدادي كمعلم للرياضيات واللغة العربية. إلا أنه ما لبث وأن استقال منها ليعمل مع يعقوب صرُّوف في مجلة المقتطف.

عام 1902دعي فارس الخوري لإدارة المدارس الأرثوذكسية في دمشق، ولإعطاء بعض الدروس في مدرسة تجهيز عنبر "مكتب عنبر". ثم عُين ترجمانا للقنصلية البريطانية حتى عام 1908 حيث أكسبته وظيفته الجديدة نوعاً من الحماية ضد استبداد الحكم العثماني.

هذا ولم يترك فارس الخوري الدرس والتحصيل، بل ظل منكباً على الدراسة والمطالعة فدرس اللغتين الفرنسية والتركية لوحده دون معلم وبرع فيهما، كما أنه أخذ يطالع الحقوق بنفسه، وتقدم بفحص معادلة الليسانس بالحقوق فنالها. في عام 1908م انتسب لجمعية الاتحاد والترقي فكان هذا أول عهده بالسياسة، وفي العام نفسه بدأ الخوري ممارسة المحاماة مع المحامي " أمين زيدان ".

عام 1909 تزوج بالآنسة " أسماء جبرائيل عيد " وهي ابنة ليا زيدان أخت المحامي أمين زيدان، وكانت قد جاءت من بلدة عكا لزيارة خالها، وشاء لقاؤها مع فارس أن تدوم زيارتها أكثر من نصف قرن، وقد توفيت في دمشق سنة 1969 أي بعد الفارس بسبع سنوات، وأسماء هي التي انجبت لفارس أبنه الوحيد سهيل.

وفي عام 1911 وتحزباً للاتحاديين و شعاراتهم البراقة نظم الخوري قصيدة إثر إعلان الدستور العثماني وهجا فيها السلطان عبد الحميد الثاني وكان مطلعها:

اللّه أكبر فالظلاّم قد علموا لأي منقلب يفضي الإلى ظلموا.

إلا أنه وبعد أن اتضحت لديه نوايا الاتحاديين صرح لاحقاً "لم أندم في حياتي على شيء ندمي على (القصيدة) التي نظمتها إثر إعلان الدستور العثماني وهجوت فيها السلطان عبد الحميد الثاني حيث تأكد لي فيما بعد بما لا يقبل الجدل: أن هذا الخليفة الإسلامي قد راح ضحية ثأر اليهودية العالمية التي ساءها رفضه لاقتراح ثيودور هرتزل، واتخاذه مختلف الوسائل لمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين، ووضعه قانون (الجواز الأحمر) الخاص بكل يهودي يدخلها للسياحة والزيارة، ومنعه إياهم من تملك الأراضي، مما أدى لحنقهم عليه، وشروع منظماتهم بالعمل مع الدول الاستعمارية على مناوأته شخصيا، وعلى كيان الدولة العثمانية، يوم اتخذوا من مدينة (سلانيك) وكراً رئيسياً لدسائسهم ومؤامراتهم، لأن هذه المدينة تضم عدداً كبيراً من (الدونمة) اليهود الذين انتحلوا الإسلام، وتظاهروا باعتناقه والعمل له، وتغلغلوا بواسطة ذلك في مختلف وظائف الدولة العثمانية حتى تمكن فريق منهم من بلوغ أعلى المناصب، فكان منهم الوزراء والنواب والصحفيون والكتّاب والأساتذة والتجار... وكان أحد الثلاثة الذين انتدبهم مجلس المبعوثان لإبلاغ السلطان عبد الحميد الثاني قرار خلعه عن العرش، نائب يهودي يدعى "عمانوئيل قره صوه أفندي ".

عام 1914 رشح فارس الخوري نفسه للنيابة في مجلس المبعوثان في الأستانة عن مدينة دمشق، وقد فاز في هذه الانتخابات، وفي المجلس تصدى الخوري للاتحاديين الأتراك " طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا "، ببلاغة قانونية فأخذ يحارب سياساتهم بخطب نارية باللغة التركية مما أثار حقدهم عليه، وفي العام 1916عاد الخوري إلى دمشق فاستدعاه توفيق الجلبي وكيل والي دمشق وأخبره بأن السلطة العسكرية قبضت على شاب فار من الجيش يدعى عبد الغني الرافعي ولدى تفتيشه وجدت معه أوراق تشعر بوجود جمعية متفقة مع الشريف فيصل بن الحسين على إحداث ثورة في البلاد، وهذا الشاب يزعم أنك من أعضاء هذه الجمعية، وفي تلك الليلة ذهب فارس الخوري إلى دائرة الشرطة، وأدلى بإفادته، وسئل عن خطبة خطبها في حفلة في استنبول وطالب بحقوق العرب وزعم أن الأتراك يهضمون حقوق العرب فأجاب: "حضر هذه الحفلة وزراء الدولة وأركان الاتحاديين وأكثر النواب العرب والجميع سمعوا خطابي ولم يجدوا فيه بأساً بل وافقوني على كل كلمة فيه" وفي الصباح استدعي إلى مقابلة جمال باشا، وقد أمر جمال باشا باعتقاله في خان الباشا. وفي المعتقل شاهد أربعين معتقلاً منهم: شكري القوتلي، وعمر الرافعي، وزكي العظمة، ورشيد الرافعي، وشكري الأيوبي.

وبعد أربعة أشهر في السجن تقرر إخلاء سبيله بكفالة. وفي 17 من كانون الثاني أعيد إلى السجن بسبب إدانته من قبل الهيئة الاتهامية. وبدأت المحاكمة واتسع المجال لفارس الخوري لمناقشة الشهود والدفاع عن نفسه ببلاغة وفي 29 كانون الثاني 1917 أصدر الديوان العرفي قراره ببراءة فارس الخوري، وإطلاق سراحه. وقد أمر جمال باشا بأن يغادر فارس الخوري دمشق، وفرض عليه إقامة جبرية في إستانبول، إلا أن الخوري حصل على الإذن بالعودة إلى دمشق لأخذ عائلته، فعاد وبقي فيها، تزامنا مع اقتراب الجيوش العربية من دمشق.

في 27 أيلول 1918 اجتمع فارس وفريق من الوجهاء والمفكرين في بهو المجلس البلدي في ساحة المرجة في دمشق وقرروا إقامة حكومة مؤقتة تحول دون الفوضى ريثما يصل الأمير فيصل وكتائب الثورة العربية المنتصرة. وكان فارس عضواً في هذه الحكومة التي جعلوا من سعيد الجزائري رئيساً لها والتي كان من أعضائها شكري الأيوبي وشاكر الحنبلي. كانت هذه الحكومة أول حكومة عربية تعلن في دمشق. وفي الأول من تشرين الأول سنة 1918 وصلت القوات العربية وجيوش الحلفاء إلى دمشق بقيادة الأمير فيصل الذي وصل في الثالث من تشرين الأول على رأس الجيش العربي. وتشكلت حكومة عسكرية برئاسة الفريق رضا باشا الركابي. وكان أعضاؤها كلاً من عادل أرسلان وبديع المؤيد وعطا الأيوبي وياسين الهاشمي وفارس الخوري. وكانت هذه الحكومة تعمل تحت إشراف الأمير فيصل قائد الجيوش الشمالية وممثل والده الملك حسين وتحت قيادة الجنرال اللنبي القائد العام لقوات الحلفاء. وخلال عهد هذه الحكومة انعقد المؤتمر السوري، وجرت التشكيلات والتغييرات الإدارية والتعيينات وتم وضع قانون أساسي للبلاد.

مع دخول الملك فيصل دمشق اقترح عليه الخوري تأسيس مجلس شورى يتمتع بصلاحية التشريع، وعُيّن فارس الخوري عضواً في المجلس المذكور، كما سعى لتأسيس معهد الحقوق العربي، حيث فتح المعهد أبوابه في شهر أيلول 1919 وكان فارس الخوري أحد أساتذته، وفي الثامن من آذار 1920عام تولى الخوري وزارة المال في الوزارات الثلاث التي تألفت خلال العهد الفيصلي

في سورية وعمل لجعل وزارة المال ذات صبغة سورية وعربية، إضافة إلى تكريس النهج العلمي في العمل، وقام الخوري بتنظيمها تنظيماً دقيقاً وعلى قواعد ثابتة، فأنجز موازنة الدولة وقام بتجديد الضرائب وأحدث الدينار السوري الذهب.

كتبت جريدة "الحاوي" عنه في ذلك الوقت: "أما باكورة أعمال وزيرنا فارس الخوري في خدمته الجديدة، فهي أنه وقى مالية الحكومة ومصالح التجار وعامة الأهالي من خطر الخسائر المتأتّية عن هبوط وصعود الأوراق النقدية المصرية، وضَمِن سلامة مصالح البلاد الاقتصادية، وذلك أنه وضع معياراً لنقود المملكة السورية التي ستضربها في المستقبل وجعل الذهب معياراً لتلك النقود، فاقترح جعل الدينار السوري سكة ذهبية وزنها 6. 452 من عيار 90٪ من الرملي الخالص، وأن يكون الدينار ذا مئة غرش، والغرش يقسم إلى عشرة أعشار".

كما كان الخوري عضواً مؤسّساً في المجمع العلمي "المجمع اللغوي حالياً" الذي تأسّس في 30 تموز 1919 ومع انتهاء العهد الفيصلي عام 1920 وعشية معركة ميسلون اجتمع الخوري مع يوسف العظمة فسأله: " هل إن الفرنسيين قد حطوا رحالهم في موقع (التكيّة) الذي لا يبعد عن العاصمة أكثر من أربعين كيلو متراً بعدد وعتاد لا قبل لنا به، فماذا أنت صانع؟ وكيف تحاربهم بلا سلاح؟!

فأجابه يوسف العظمة:

- إن خطتي هي أن أهاجم الفرنسيين بغتة، وأستولي على أسلحتهم وذخائرهم، وأحاربهم بها!!

فرد عليه الخوري: " ولكن هذه مغامرة قد تصيب وقد تفشل، واحتمالات فشلها أكثر بكثير من احتمالات صوابها، فهل يجوز لنا أن نعرّض سلامة البلاد للخطر في مغامرة يائسة من هذا النوع؟! على ماذا كنت مستنداً في أقوالك: إنك قادر على رمي الفرنسيين في البحر؟

قال العظمة: " كنت أريد بهذه الأقوال الإبقاء على معنويات جنودي قوية، وإرهاب الفرنسيين كي لا يقوموا بعمل شيء ضدنا.

وبعد معركة ميسلون قال الفارس: " في الحقيقة يوسف العظمة، وهو الشاب الشهم الأبي والوطني المخلص لم يتقبل فكرة أن تدخل فرنسا البلاد دون أن تلاقي مقاومة، فضحى بنفسه ليقول لفرنسا نحن هنا "

عندما دخل "غورو" دمشق وأُقيمت له مأدبة في قصر المهاجرين، حضرها الوزراء و من بينهم فارس الخوري، وعدد كبير من وجهاء دمشق. يقول الفارس: " دعانا لتناول الغداء معه في قصر ناظم باشا، وهو أحد القصور التي كان يشغلها الملك فيصل.. وفي أوائل الغداء أخذ الجنرال يثني على جمال دمشق و مناظرها الشعرية إلى أن وصل إلى هذا القصر، فأجال نظره في القاعة التي كنا فيها وكأنه أراد التهكّم و الاستخفاف بالملك فيصل فقال: "أهذا هو القصر الذي كان يسكنه الملك فيصل"

فأجبته:"نعم و كان أول من أنشأه الوالي ناظم باشا و احتله بعده السفاح جمال باشا بأثناء الحرب العامة وفي نفس الغرفة تناولنا الطعام مع ناظم باشا و مع جمال باشا ومع المارشال اللبني و مع الملك فيصل والآن معكم.. وانظروا إلى تصرفات القدر، فقد رحلوا جميعهم و بقي القصر و بقينا نحن!"

وعلى إثر احتلال الفرنسيين لسوريا عام 1920 انصرف الخوري إلى العمل الحر كمحام. ثم انتخب نقيباً للمحامين واستمر خمس سنوات متتاليات، وعضواً مؤسساً في المجمع العلمي. ومشاوراً قانونياً في بلدية دمشق، وعين أستاذاً في معهد الحقوق العربي لتدريس مادتي أصول المالية وأصول المحاكمات الحقوقية. لفارس الخوري ثلاث مؤلفات في القانون هي: (أصول المحاكمات الحقوقية) و(موجز في علم المالية) و(صك الجزاء).

ومن نافلة الذكر أن الخوري علامةٌ في القانون وصاحب رؤى بعيدة في فقه القانون إذ يورد الأستاذ ظافر القاسمي في كتابه " نظام الحكم في الشريعة والتاريخ " رأي فارس الخوري في بحث النيابة العامة التي يقول فيها:

"إن الغربيين يدلّون علينا بأنهم هم أصحاب فكرة النيابة العامة، فهم وضعوها أو اخترعوها، وقلدهم الناس فيها، مع أن في القرآن الكريم آية فيها كل معاني النيابة العامة، هي: من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً وكان يضيف: تصوروا أن إنساناً أراد أن يقتل الناس جميعاً، فماذا يفعل جميع الناس؟ إنهم يهبّون جميعاً لقتله، وحيث إن ذلك مستحيل، لذلك فإنهم ينيبون عنهم واحداً يتولى قتله، هو النائب العام".

ثم يعلق الأستاذ ظافر القاسمي قائلاً: "وكان ذلك من تخريجاته الحسنة التي تدل على فكرة الحقوقي المتسع الآفاق، وعلى تفهمه العميق لكثير من أسرار الشريعة الإسلامية" ويقول: "لقد سمع هذا الرأي منه آلاف الطلاب كما سمعته منه كما رأيت في كتاب الشيخ محمد الغزالي (حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة) أنه نقل عن فارس الخوري آراء في الإسلام وفي الصهيونية.

وعن عمله في بلدية دمشق لابد من ذكر مشروع مياه الفيجة، ففي سنة 1921 فكر الفرنسيون في مشروع جر مياه الفيجة إلى منازل دمشق وفي إعطاء امتياز المشروع إلى شركة فرنسية. وعندما طلب رئيس البلدية من فارس الخوري المشاور الحقوقي للبلدية دراسة المشروع تبين لفارس أن شروط الامتياز تضر بمصلحة السكان، فسجل اعتراضاته، واقترح تأسيس مشروع وطني تكون فيه المياه ملكاً للأمة وأنهى دراسته بوجوب رد المشروع. وعلى هذا النحو، وبعد هذه الحادثة بحوالي السنة اجتمعت لجنة من تجار دمشق وأغنيائها وبحثت موضوع تأسيس شركة تجارية لتوزيع المياه. لكن معارضة فارس الخوري كانت شديدة لأنه لم يشأ أن تكون استثمارية بل عمومية ولذلك أسرع وقدم في اليوم التالي مشروعاً وطنياً مفصلاً هو الذي اعتُمِدَ ونُفِذَ ومازال قائماً حتى يومنا هذا.

في أوائل العام 1925، تداعى عددٌ من الرجال الوطنيين لتنسيق نضالهم السياسي في إطار حزبي منظم، فتشكل "حزب الشعب" برئاسة عبد الرحمن الشهبندر. يذكر بابيل أن الخوري كان من الهيئة الإدارية للحزب، بينما ذكر حنا حداد وجورج خباز في كتابهما أن فارس الخوري كان نائباً لرئيس الحزب وواضع نظامه:

فارس بيك الخوري مع أحد أبنائه

ومع اتساع مدى الثورة وانتقالها لمناطق متعددة ولعجز قوات الانتداب عن قمعها بوسائل العنف، كضرب دمشق بالمدفعية وهدم قسم من أبنيتها، سحبت فرنسا جنرالها ساراي وأرسلت دي جوفينيل، وهو أول مفوّض سام مدني. حاول هذا كسب رضا الناس، فاجتمع بوفود وشخصيات وطنية بهدف عقد معاهدة وصياغة دستور جديد. وتشكلت لهذا الغرض حكومة وطنية برئاسة الداماد أحمد نامي باشا، كان فيها فارس وزيراً للمعارف. لم تعمّر هذه الحكومة سوى شهر ونيف؛ فقد استقال هو وعدد من وزرائها. يتحدث الصحفي نصوح بابيل عن ذلك:

بعد تأليف الحكومة بثلاثة أيام، قامت السلطة الفرنسية بهجوم وحشي على حيّ الميدان، واشتركت المدفعية والطائرات بقصف الحي. وارتكب الجنود الشراكس والسنغاليون الفظائع بحق أهل الحي، وأحرقوا البيوت على طول 650 متراً. وعندما رأى الوزراء الوطنيون الثلاثة، فارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي، ما فعله الفرنسيون في الميدان ومضيّهم في سلخ الأقضية الأربعة عن سورية وضمّها إلى لبنان، إضافةً إلى رفض الحكومة الفرنسية للاتفاق الذي عقدوه مع المفوض السامي بشأن المعاهدة والدستور، طلبوا من رئيس الحكومة أن يحدد موقفه، فاختار ألا يكون معهم، فاستقالوا من مناصبهم. وقبضت السلطات الفرنسية عليهم، ونفتْهم إلى الحسكة. ثم نقلوا إلى أميون الكورة في لبنان في أيلول، 1926 وفرضت عليهم الإقامة الجبرية خارج سورية حتى 18 شباط 1928 ولما عادوا إلى دمشق استقبلوا استقبالاً عظيماً من قبل الشعب السوري.

وعندما ألغي قرار الإبعاد، وفي الاحتفال الذي أعدّه لهم ألوف المستقبلين في 24 شباط 1928، أنشد فارس الخوري قصيدةً خَتَمَها بقوله:

وها قد دنا يومُ الموازين عندنا
وكلٌ يمين قد أتت بكتابها
وما كانت الأفعالُ ذاهبةً سدًى
وكلُ يد مسئولةٌ عن حسابها

وفي العام نفسه شارك الخوري في تأسيس الكتلة الوطنية مع هاشم الأتاسي، وإبراهيم هنانو، وسعد الله الجابري، وتوفيق الشيشكلي.. وكان فارس الخوري نائب رئيس الكتلة الوطنية وشارك في إثارة مشاعر الشعب ضد الفرنسيين وكان يخطب في الجامع الأموي الكبير، وقد تساءل مرة الاقتصادي الحلبي محمد سعيد الزعيم: "أحقاً هذا الخطيب المفوّه المتحدّث عن القرآن ومحمد والوطن والحمى "خوري" أم شيخ الإسلام وهل كنيته هذه للتمويه والتستر؟"

وعلى أثر وفاة المجاهد الكبير إبراهيم هنانو عام 1935 نظم رجال الكتلة الوطنية حفلاً تأبينياً له برئاسة فارس الخوري كان متنفساً للخطباء الذين أفاضوا بما تكنه صدورهم من حب للحرية والاستقلال والوحدة، ونشرت الكتلة الوطنية بياناً باسم الشعب ضمنته ميثاق الأمة القائم على أمانيها الصحيحة، وحقها المشروع بالوحدة والاستقلال، وما مرت أيام على صدور هذا الميثاق حتى أغلقت السلطة الفرنسية مكاتب الكتلة في دمشق وحلب، وألقت القبض على بعض رجالها، فرد الشعب "بالإضراب الستّيني" عن كل عمل وأغلقت المدارس، وأقفلت الأسواق وقامت المظاهرات، وجرى إحراق بعض حافلات الترام، وأنزل الفرنسيون قواتهم العسكرية إلى شوارع المدينة.

وفي 15 شباط 1936 أصدر المفوض السامي الفرنسي قراره بإقصاء فارس الخوري وشقيقه فائز الخوري عن منصبيهما كأستاذين في معهد الحقوق، وما كاد يمضي على هذا الإقصاء أسبوع واحد حتى اضطرت الحكومة الفرنسية للإذعان فأوعزت إلى رئيس الوزراء الشيخ تاج الدين الحسني بالاستقالة، وعهد إلى السيد عطا الأيوبي بتأليف وزارة انتقالية، وتوجه وفد إلى بيروت من أعضاء الوزارة الجديدة ومندوبين عن الكتلة الوطنية فاجتمعوا بالمفوض السامي ومعاونيه في 29 شباط 1936 وجرى الاتفاق على أساس اعتراف فرنسا باستقلال سورية ووحدتها. وقد تألف الوفد المفاوض برئاسة هاشم الأتاسي وعضوية فارس الخوري، وجميل مردم بك، وسعد الله الجابري، من أركان الكتلة الوطنية، ومصطفى الشهابي وإدمون حمصي من رجال الحكومة وفي 1936/3/21 سافر الوفد إلى باريس وفي 9 أيلول من ذلك العام تم التوصل إلى اتفاق ووقعت المعاهدة السورية الفرنسية في 22 تشرين الأول 1936 ونشرت نصوصها وقد تضمنت المعاهدة استقلال سورية ووحدة أراضيها.

وفي 13 أيلول 1941 أعلن نبأ اختيار الشيخ تاج الدين الحسني رئيساً للجمهورية السورية وتألفت الوزارة السورية برئاسة حسن الحكيم الذي حصل في بداية حكمه على تصريح 27 أيلول المشهور الذي أذاعه الجنرال كاترو باسم فرنسا الحرة معلناً انتهاء الانتداب واستقلال سورية وسيادتها، كما تمكن حسن الحكيم من إعادة محافظتي اللاذقية وجبل الدروز إلى الوطن الأم وذلك في كانون الثاني 1942.

ستيفان زفايغ: عنف الديكتاتورية

■ ياسر مرزوق

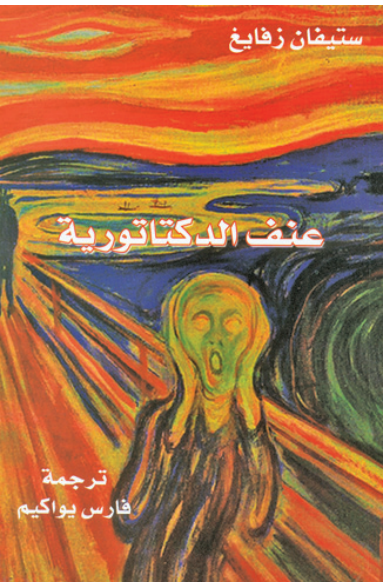

كتابنا اليوم الترجمة العربية لكتاب «عنف الديكتاتورية» للكاتب النمسوي الكبير ستيفان زفايغ، والذي يقدم فيه نموذجاً غربياً للديكتاتور لا يختلف عن أي ديكتاتور في العالم.

والديكتاتورية هي أحد أشكال أنظمة الحكم، التي شغلت حيزاً هاماً من نشاط السلطة السياسية الحاكمة في العصر الحديث. شملت بلداناً مختلفة، ولا زالت أحد الخيارات المفروضة في بعض الدول النامية، بوجه خاص، مستمدة شرعيتها الواقعية من معاناتها وأزماتها الاجتماعية والسياسية، وقد وجدت جذورها التاريخية في النظام الروماني القديم.. فهي مصطلح سياسي، يوصف به نظام الحكم، الذي تتركز فيه السلطة بيد حاكم فرد، يتولى السلطة عن غير طريق الوراثة، وبطريق القوة، أو يتولاها بطريق ديمقراطي يفضي فيما بعد إلى تركيز السلطة بيده. يمارسها بحسب مشيئته، ويهيمن بسطوته على السلطتين التشريعية والتنفيذية، ويُملي إرادته على القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، من دون أن يكون هناك مراقبة حقيقية على أداء نظامه أو معارضة سياسية في المجتمع. والسلطة في النظام الدكتاتوري، تستند إلى الأمر الواقع أكثر مما تستند إلى النصوص وفي حال وجود النصوص، فإنها تطبق بروح غير تلك التي أملتها، وقد لا نرى الطريق على التطبيق. وكما تعددت الأنظمة الديمقراطية، فقد تعددت الأنظمة الدكتاتورية. فمنها دكتاتوريات أيديولوجية، أو عسكرية، ومنها ما يستند إلى حزب واحد، وبعضها ذات توجيهات محافظة رجعية، وأخرى تقدمية ثورية. وقد يمارس السلطة الدكتاتورية فرد أو هيئة، غير أن السمة الرئيسة التي تميزها هو جوهرها الاستبدادي.

وما يميز الدكتاتورية من أنظمة الاستبداد، أنها استبداد منظم له دستوره وقوانينه. فهي نشأت في أحضان ظاهرة الاستبداد السياسي التي سادت تاريخياً، ولاسيما في الإمبراطورية الرومانية، التي شهدت مولد الدكتاتورية بمعناها وصورتها القديمة، وقد بقيت تأثيرات نظرية القوة، التي تؤسس سلطة الحاكم على حق الأكثر قوة في أن يفرض إرادته على الضعيف مستمرّة حتى اليوم بتجلياتها المختلفة، بما فيها النظام الدكتاتوري.

وفي القرن التاسع عشر، كان الفكر الألماني يشهد تداعيات الثورة الفرنسية، على يد أبنائها ويجدد نفسه على معارضة أفكار فلاسفة عصر التنوير، ويدعو على تمجيد دور الدولة، وتحريض النزوع القومي، وعدّت أفكار هيغل وليست ولاسال واشبنغلر وغيرهم، الممهد لقيام أشهر دكتاتوريتين بعد الحرب العالمية الأولى. وهما نازية هتلر، وفاشية موسوليني. ومن اليسار الهيغلي، ونقد أفكار هيغل، نشأت الماركسية، وظهرت معها مقولة دكتاتورية البروليتارية.

ثمة عوامل وأسباب متعددة ومتداخلة، تختلف باختلاف الأحوال الموضوعية التي تحيط بالبلدان التي عاشت في ظل نظام دكتاتوري، وأغلبها متداخل في الواقع، غير أنه يمكن تحديد عدة عوامل جوهرية مشتركة:

ففي بعض بلدان أوربا، بعد الحرب العالمية الأولى. إذ تركت الحرب آثاراً مدمرة وخراباً اقتصادياً، وعبئاً قومياً، أدت جميعها إلى أزمات عجزت الأنظمة الديمقراطية، عن مواجهتها بالسرعة المطلوبة، وتقديم الحلول الناجعة، فضلاً عما كان يشوب هذه الأنظمة من منافسات سياسية وخلافات جزئية، انعكست في تفكك عرى الوحدة القومية، وعدم استقرار حكوماتها، وهذا ما جعل الشعب يقبل الدكتاتورية لما تمتاز به من سرعة في الأداء في معالجة الأزمات الخانقة، وما تحققه من استقرار حكومي. كما برز عامل عدم ملائمة النظام الديمقراطي لمستوى التطور الاجتماعي والسياسي في بعض البلدان الأوربية، وأمريكا اللاتينية، التي اقتبست النظام الديمقراطي من إنكلترا وفرنسا والولايات المتحدة، بعد الحرب العالمية الأولى. وقد فشلت تلك الدول في تطبيق هذا النظام مما مهد الطريق لقيام دكتاتوريات فيها، بذريعة إساءة استعمال الحرية التي يمنحها النظام، وإساءة تطبيق الديمقراطيات، بسبب عدم النضوج السياسي وتدني الوعي الشعبي. وهذا ما حدث في دول أوربا الوسطى، ودول البلطيق ودول أمريكا اللاتينية في تلك الفترة التاريخية.

كما أن الحروب بذاتها تخلق حالة الضرورة، التي تؤدي سياسياً إلى قيام حكومة قوية، تعمل على درء الأخطار، وتكتسب مثل هذه الحكومة، الصبغة الدكتاتورية من الصلاحيات الاستثنائية والتفويضات التي تحصل عليها نتيجة الأوضاع الطارئة وحالة الضرورة. ومن المفترض أن تزول هذه الصلاحيات والتفويضات، بزوال حالة الحرب حيث تعود الأحوال العادية، وتعود البلاد إلى وضعها الدستوري من حيث صلاحية السلطات والفصل بينها. غير أن عدداً من الحالات، أظهرت أن الحرب قد تخلف مشكلات ضخمة يعجز النظام الديمقراطي بتقاليده وإجراءاته البطيئة، عن حلها، مما يؤدي إلى استمرار حالة الضرورة والاحتفاظ بالوضع الدكتاتوري. وأشارت الأحداث في عدة بلدان إلى أنه ليست حالة الحرب وحدها هي التي تمهد لقيام نظام ذي صبغة دكتاتورية، بل كذلك مجرد التمهيد للحرب.

أما في السمات المشتركة للديكتاتوريات، يكاد الطابع المؤقت أن يكون أكثرها عموماً فتلجأ الأنظمة الدكتاتورية، حين تستولي على السلطة، بالقوة وبغير الطرق الدستورية، ولاسيما عن طريق الانقلاب العسكري، إلى الإعلان عن أن إجراءاتها المتعلقة بتعطيل الدستور أو تغييره، وحجب الحريات الفردية والعامة، تمثل مرحلة مؤقتة للعبور إلى مرحلة قادمة، أكثر استقراراً ورغداً وحرية. وأن هذه المرحلة المؤقتة مرهونة بأوضاع استثنائية تمر بها البلاد.

كما أن سلطة الدولة تمتد إلى كل نواحي نشاط أو حياة الفرد في المجتمع، فلا شيء يتعلق بالفرد، سواء حرياته أو حقوقه أو معتقداته. ينبغي أن يمارس بعيداً عن سلطة الدولة التي تمثل المجتمع، فالدولة كلٌ كتلةٌ لا تقبل فصل السلطات. فهي سلطة مطلقة كلية سياسية، فليس في الدكتاتورية رأي خارج فكر الدولة، ولا حقّ فردي يعلو على الدولة وتعد الحريات بمثابة منحة منها للأفراد تقررت من أجل الصالح العام.

يقول المترجم فارس واكيم مقدماً للكتاب:

"اشتهر الكاتب النمسوي ستيفان زفايغ، من مواليد فيينا في 28 تشرين الثاني عام 1881أكثر ما اشتهر كروائي، واسمه وفق النطق الألماني شتيفان تسْفايغ. كان شاعراً وكاتبَ قصة قصيرة ومؤلفاً مسرحياً وكاتبَ سِيَر ومترجماً، لكن إبداعه الروائي هو الذي انتشر في العالم، عبر الترجمات إلى لغات مختلفة، ومنها العربية، وقد تُرجم إليها العديد من رواياته، وتضاعف رواجها بعد اقتباس معظمها في الأفلام السينمائية العالمية، والعربية أيضاً، ومنها «رسالة من سيدة مجهولة». ينتمي أدبه إلى النيو - رومانتيكية، وكان مذهباً رائجاً في عشرينات القرن العشرين وثلاثيناته.

وفي مسرحية «إرميا»، التي مُثلت للمرة الأولى في زيوريخ عام 1918، نتلمس موقفه السياسي الواضح، وفيه إدانة حاسمة للحرب ودعوة قوية للسلام والحرية: «يمكن المرء أن يقتل البشر، لكنْ ليس اللّه الساكنَ في وجدانهم، ويمكن المرء أن يسخّر شعباً، لكنْ ليس ضميرَه». وكان ستيفان زفايغ شارك كمجند في الحرب العالمية الأولى، وعرف أهوال الحروب ونتائجها اللاحقة.

في عام 1933 وصل النازيون إلى السلطة بانتخاب ديمقراطي، لكنهم ما لبثوا أن حوّلوا ألمانيا إلى ديكتاتورية تنافس الستالينية في عنفها وبشاعتها. وأدرك زفايغ الخطر، وأراد أن يطلق صرخة التحذير، لكنه يعرف تماماً أن الديكتاتورية لا تطيق الصرخات، ولا تحبّذ سوى هتافات التأييد، بل هي لا تتساهل حتى مع الصرخة الأولى، فيظهر رد فعلها في كمّ الأفواه، يليه استئصال الأفواه وأصحابها. لذلك لجأ إلى التاريخ، وألبس رأيه ثوباً من الماضي البعيد، وترك للقراء أمر استكشاف التشابه الكبير بين ديكتاتورية الأمس وطغيان اليوم.

عام 1936، نشر ستيفان زفايغ كتابه، وكان بعنوان «كاستيليو ضد كالفن، أو ضمير ضد العنف»، واختار له حقبة زمنية ترجع أربعة قرون إلى الوراء. الشخصية الرئيسية: جان كالفن أحد أعمدة البروتستانتية. من حيث الأسلوب، صاغ زفايغ الوقائع التاريخية بسرد مشوّق، وكان قد تمرّس في كتابة السِّيَر الذاتية بعرض أقرب إلى فن الرواية، وهو صاحب باع في هذا المجال. ومن حيث المضمون، وضع الحاضر الخاضع للديكتاتورية على خشبة مسرح التاريخ في مرحلة ديكتاتورية مشابهة.

جاء جان كالفن إلى جنيف من فرنسا هرباً من محاكم التفتيش الكاثوليكية، هو المنضم حديثاً إلى المذهب البروتستانتي. وبدأ حياته المهنية قسيساً في كاتدرائية سان بيار في جنيف، وما لبث خلال فترة زمنية قصيرة أن أمسك بزمام الأمور، وأن أضحى الحاكم الأوحد، محوّلاً المجتمع الديمقراطي إلى ديكتاتورية لا رأي فيها سوى رأيه، وكل الأصوات أصداء لصوته، والويل لمن يعترض. وكان كاستيليو في البداية من أنصار كالفن، لكنه لم يتحمل الطغيان وقمع الحريات والزيف الكبير، إذ تحوّل دعاة الإصلاح إلى جلادين يتعاملون مع المعترضين بالعنف، ويذيقونهم أشد أنواع العذاب، من السجن إلى الحرمان من الحقوق المدنية، بلوغاً إلى الإعدام، ومنه الإعدام حرقاً.

عندما أمر كالفن بإحراق المعترض ميغيل سيرفيت وأشعلت النيران في جسده وهو على قيد الحياة، تمزق كاستيليو غيظاً، وبدأت المعركة بينه وبين كالفن. ولم تكن مجرد معركة بين شخصيتين، بل بين تيارين ومنهجين: بين القمع والحرية، بين العنف والحوار، بين التعصب والتسامح، بين الديكتاتورية والديمقراطية. وفي النهاية، انتصرت الديكتاتورية، لأن المعارض الفرد لا يقوى على دحرها وحده حتى لو كان منطقه من الذهب، وهذه معاناة ستيفان زفايغ أيضاً، إذ بعد نشر كتابه بسنتين، أدرك أن الديكتاتورية آخذة في تصفية الخصوم، وأن جيوشاً من المنافقين الانتهازيين يؤيدونها، فما كان منه إلا أن هاجر عام 1938 إلى لندن، ثم عام 1940 إلى البرازيل. كانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت، فدبّ اليأس في نفس زفايغ، وانتهى به الأمر إلى الانتحار هو وزوجته، في بتروبوليس على مقربة من ريو دو جانيرو يوم 22 شباط 1942.

حين قرأ الأديب الألماني الكبير توماس مان كتاب ستيفان زفايغ لدى صدوره، كتب له في 30 أيار 1936 الرسالة التالية: «عزيزي السيد ستيفان زفايغ المحترم، منذ زمن بعيد لم أقرأ كتاباً بمثل الحماسة والانجذاب إلى كتابك عن كاستيليو، وبمثل الإعجاب بمضمونه وأسلوبه. هو كتاب ممتع ومؤثر للغاية، يجمع عبر مادة تاريخية كل ما يدعو إلى التقزز والتعاطف في عصرنا. إنه الانبساط والانقباض في آن، ومن ذلك نستخلص العبرة: دائما يتكرر الشيء ذاته. ما كنت أعرفُ شيئاً عن كاستيليو، بيد أني سعدت حقاً بمعرفته، وعقدت معه صداقة رجعت بي إلى القرون الغابرة. أشكرك على هذا الكتاب. مع أطيب التحيات القلبية».

وأستخلصُ من رسالة توماس مان العبرة ذاتها: «دائما يتكرر الشيء ذاته». كأنما لتصدق مقولة «التاريخ يعيد نفسه». الديكتاتورية هي الديكتاتورية، في كل زمان ومكان. في الأمس كما في اليوم، وكذلك ستكون غداً.

حكاية مقاتل (2)

النصوص المشاركة: الجزء الأول

النص الأول: (أحمد شوال: أستاذ الشريعة ومصير السلاح)

بقلم: عمار أبو خالد.

النص الثاني: (ملاذ: أحارب الديكتاتور، الذي يسرق حاضرنا، ويحاول أن يطفئ المستقبل بإجرامه)

بقلم: محمود الشامي.

النصوص المشاركة: الجزء الثاني

النص الثالث: (حكاية مجد: أخو الشهيد وعهد الأخوّة)

بقلم: أبو عمير الكفرسوسي.

النص الرابع: (شهادة المنشق عن دوما ودرعا)

شهادة: أحمد مسعود

صياغة: محمد نور كبة.

تحرير النصوص: علاء رشيدي.

إن الآراء الواردة في الملف، قد لا تعبر عن وجهة نظر الصحيفة. وهي مرتبطة بالكتاب وراء هذه النصوص والشهادات. وينشر هذا الملف على جزأين، بالتزامن بين جريدة "سوريتنا"، وجريدة "حنطة".

هذه النصوص الأربعة، ثمرة تدريب لمجموعة من المواطنين – المراسلين، على الكتابة والصياغة الصحفية. ولأن أغلب المتدربين، هم من المواطنين – المراسلين، إما في مناطق النزاعات المسلحة، أو مرافقين لمجموعات مسلحة، اتفق على موضوعة "حكاية مقاتل"، كموضوع مشترك لكل المتدربين.

قدمت النصوص، وتم اختيار 4 منها، لتشكل ملفاً صحفياً يرفد وسائل الإعلام، بفكرة مختلفة، عن صورة "المقاتل". غالبا، ما يصور المقاتلون اليوم في سورية، عبر وسائل الإعلام، كمحاربين، يطلقون النار من فسحة جدار، أو يداهمون مواقع عسكرية بعمليات عنيفة. ملف "حكاية مقاتل"، يضم 4 نصوص، تسعى لتسليط الضوء على الإنساني في حياة المقاتل، على اليومي، وعلى الرحلة الطويلة والشاقة لبعضهم، من الانشقاق بين جيشين.

"حكاية مقاتل" هو ملف يسعى الرواة من خلاله لأن يلطفوا من أثر السلاح والعنف على حياتهم. رواة أرادوا أن يأنسنوا صورة المقاتل الذي أصبح جزءاً يومياً من حياتهم. ملف كتبه أشخاص يرغبون أن ينقلوا إلى العالم صورة مختلفة عن المقاتل في سورية.

إنها حكايات اختارها كاتبوها أن يقولوا أن المستقبل كامن في الإنسانية التي لابد من استخراجها من أعماق المقاتل، رغم كل كم العنف المفقد للأمل.

حكاية مجد: أخو الشهيد وعهد الأخوّة

■ بقلم: أبو عمير الكفرسوسي

هكذا يكنّيه أصدقائه وأفرد الكتيبة التي انتسب إليها، "مجد" شخص محبوب من كافة أفراد الكتيبة لا يقوم بإزعاج أحد يسعى لإرضاء كل الأشخاص وكسب ودهم ممّا جعل ذلك ينعكس عليه بشكل جيد جدا وأصبح من أكثر الأشخاص المحبوبين ومن القلائل الذين تركوا أثراً طيباً عند أصدقائه.

قال لي أن والدته كانت تمنعه وتمنع أخوه الكبير عدنان في بداية الثورة من الخوض في المظاهرات، بعد أن تم اعتقالهما في إحدى المظاهرات في بداية الثورة. لكن الأخين لم يستجيبا للأم، وحصل قبل عدة أشهر ما كانت تخشه والدته، وتخشاه كل الأمهات. أصيب أخوه عندما كان يسعف أحد جرحى الجيش الحر واستشهد متأثرا بجراحه مما استدعى مجد للانضمام للجيش الحر. ودع والدته وأهله، وقال لهم: (ذاهب لعند أخي ادعي لي يا أمي أوصل لعنده)

لم يرضى التكلم أكثر عن والدته ومشاعرها عندما ودعها والتحق بالجيش الحر، حتى أنني رأيت الدمعة تغرر في عيناه.

أخبرني أن آخر ما أخبرته به والدته قرارها: (قالت لي، بأنك اذا استشهدت، فسأرسل أخوك الصغير إلى الجيش الحر أيضا ليلحق بكم)، فأصبح (مجد) يأخذ احتياطاته أكثر، ولا يقوم بأعمال فيها شيء من التهور الزائد.

لا تخلو السهرات الثورية ولا تبدأ إلا بوجوده ليقوم بالغناء ورثاء شقيقه وأصدقائه الشهداء. ومجموعة أفراد الكتيبة يحبون سماع صوته لأنه يشبه صوت أخوه كثيراً، ويذكرهم به. وهم دائماً يتحدثون عن عدد الشباب الذين تم إسعافهم على يد أخيه الشهيد وتم إنقاذهم من الموت.

قال (مجد) أنه يقاتل هو ورفاقه المسلحون الآن في مكان بعيد عن منطقته، ولكنه تأمل بأنهم سيقومون قريباً، بتحرير كل المناطق من هذا النظام الفاسد القاتل.

يسرق مجد الوقت يومياً، ليتحدث مجد مع قريبته، التي خطبها قبل بداية الثورة. أخبرني بأنه يحس بشوق كبير لها، ويشعر بتحسن عندما يكلمها. قال: (اطمئن عليها كل يوم، فأشعر بتحسن كبير. أشعر بالذنب بسبب القلق المستمر الذي أسببه لها ولعائلتي، ولكن يوجد عندي دين لأخي. ودين الشهيد يجب أن يقضى أولاً).

مجد، طالب جامعي في السنة الأخيرة من كلية الهندسة المعمارية. قام بمساعدة الكتيبة بصنع ورسم بعض الهياكل لأسلحة يدوية الصنع. ووصيته الوحيدة لرفاقه أن يكملوا ما بدأوا به، وأن يقوموا بالاعتناء بعائلته.

شهادة المنشق عن دوما ودرعا

■ شهادة: أحمد مسعود صياغة: محمد نور كبة.

هذا ما وصلني من أحد مقاتلي المعارضة في مدينة حمص..

أحمد مسعود 24 عاماً. الفقر أجبرني على التطوع في قوات الأمن بعد التخرج من المعهد الصناعي. مثلي كمثل الكثير من طلاب دفعتي المتخرجين الباحثين عن الوظائف. ولكن دون جدوى، وذلك بسبب عدم توافر المهارات المطلوبة "كالواسطة" مثلاً. تم فرزي إلى وحدة المهام الخاصة برتبة رقيب وكنت أتقاضى 13.000 ليرة سورية كمرتب شهري. لم أكن مرتاحاً في عملي بسبب الواسطات والمحسوبيات بين الضباط ورجال الأمن.

وفي بداية الثورة، تم نقلي إلى محافظة درعا للقيام بعمليات القمع ضد المندسين والإرهابيين. فهذا ما حقنوا عقولنا به باستمرار حتى إقتنعنا بهذه الروايات. كنت متحمس جدا لأني ذاهب للدفاع عن ارضي ووطني ضد العملاء والمخربين، ولكن عندما وصلت رأيت الآلاف من المتظاهرين يجوبون شوارع المدينة، ويهتفون بإسقاط النظام. وكانت قوات الأمن تطلق الرصاص مباشرة عليهم بلا رحمة علماً أن الرئيس الأسد قد أصدر قراراً يمنع إطلاق الرصاص الحي منعاً باتاً ولكن دون جدوى!..

عندها أدركت بما يجري حولي وبدأت بافتعال المشاكل إلى أن تم نقلي في مهمة إلى وزارة الداخلية. بقيت هناك لمدة 6 أشهر اعمل في الحراسة.

بعد ذلك تم نقلي إلى وحدات حفظ النظام في دوما للمشاركة في عمليات القمع. كنا نتلقى الأوامر صباحاً ونذهب للصلاة في المساجد خصوصاً في أيام الجمعة. كانت الأوامر تقتضي أن ندس أنفسنا بين المصلين والخروج في المظاهرات السلمية. وكانت من أولوياتنا التركيز على مفتعل المظاهرة "أي شرارة المظاهرة" وعلى من يقوم بالهتاف، وعندما تهاجم الوحدات الأخرى المظاهرة نقوم بالإمساك بهم على الفور.

هكذا كانت الأوامر لكنني لم أنفذ منها شيء والحمد لله.

لقد فكرت بالانشقاق منذ بداية الثورة فما رأيته في درعا من انتهاكات وقتل وتعذيب لا يحتمله عقل،

لكن!! إلى أين أذهب بعد الانشقاق؟؟

ماذا سيحل بعائلتي بعد ذلك؟؟

عندما بدأت المعارك في دوما لازمنا مقراتنا ولم نخرج منها لمدة، فكان الجيش يقصف ويخطف ويقتل على مرآى جميع البشر لأنهم بلا ضمير أو وجدان ولم أعد أطيق ذلك..

فاتفقنا أنا و15 شخص من أصدقائي على الانشقاق ولكن كيف؟..

غادرنا المقر مباشرة إلى دوما بهدف مداهمة مشفى ميداني وبدئنا التجوال في شوارعها حاملين سلاحنا وعندما حل الظلام لم نعد إلى المقر، فاخترنا في البيوت وبدأت تحركات الثوار تظهر بعد حلول الظلام..

فناديناهم لجذب نظرهم إلينا.

تم اعتقالنا من قبل الثوار!!

تغيرت حالتي بسرعة كبيرة، فمنذ أيام قليلة كنت أحتسي القهوة والشاي أنا وأصدقائي والآن أنا في مقرات الجيش الحرّ.

وبعد التأكد من أننا صادقين فعرضوا علينا البقاء للجهاد معهم، البعض وافق والبعض رفض. أنا ممن رفضوا وعدت إلى ديارِي.

حملت السلاح فور وصولي إلى مدينتي بهدف الدفاع عن أرضي وأهلي وانضممت إلى قوات المغاوير لحماية ما تبقى من مدينتي وللدفاع عن المتظاهرين المطالبين بحريتهم التي سلبهم إياها نظام طغى على مدار 40 عاما، إلى أن أصبحت علاقتي بالمدنيين جيدة وكنت اشعر بالفخر عندما اسمع هتافاتهم لأجلنا مثل "اللّه محبي الجيش الحر". وكنا نرى بعض الحوادث التي تحصل في بعض الكتائب الأخرى الصغيرة من سرقة ونهب وخطف تحت مسمى الجيش الحر وما هم إلا مجموعات صغيرة من الزعران وكنا نجردهم من السلاح عندما يقعون في أيدينا.

انضم العشرات من المدنيين إلينا وحملوا السلاح ومنهم من استشهد ومنهم من ينتظر ذلك.

وهذا لا يعني أن من لم يحمل السلاح أو غادر البلاد هو متخاذل فلكل شخص أسبابه ولا نستطيع أن نجبر أحد على ذلك. كنا نشعر بالسعادة الشديدة عندما نحقق انتصارات على خطوط التماس علماً أن عدد شهدائنا يكبر كل يوم ولكن لا بأس فنحن طالبون للشهادة ولو كنا نهاب الموت لما حملنا السلاح.

لكن في أوقات الهزيمة كنا نشعر بالاستياء ولكننا نعود إلى مقراتنا ونتاول أخطائنا بهدف عدم تكرارها وكل الفضل يعود إلى قائد كتيبتنا أبو العباس فقد كان خير الأخ والصديق والقائد.

وفي أيام الفراغ كنا نجتمع على كل صلاة لنصلي جماعة وبعدها لكل منا ما يفعله، فهناك من يذهب للعب بكرة السلة، والبعض يلعبون الشطرنج. أما أنا فكنت ألعب كرة القدم وكنت أتحدث مع أصدقائي على السكايب.

وكانت معظم أوقاتنا في الفراغ للعب والمزاح فيما بيننا فنتسلل إلى بيوت أصدقاء لأخذ ما يطبخون إن كان ألذ من طعامنا فيأتون إلينا ويضربوننا ونهرب منهم بعدما أكلنا وجباتهم. حتى في طريق الذهاب إلى العمليات كنا دائما نضحك ونمزح فالابتسامة لا تفارق وجوهنا.

و بإذن اللّه أنني سأرمي السلاح عندما يسقط الأسد وأعود إلى حياة طبيعية بعيدة عن القتل والدماء والأشلاء وأعود إلى منزلي وإلى أمي التي لم أراها منذ عام كامل بسبب التهجير.

أبو تيسير.. أنامل الجنة

■ لينا محمد

تفقّد ما بقي من أنصاف الأثاث المبعثرة المرمية داخل وخارج صالة الموبيليا، أخذ نفساً عميقاً، وقال بثقةٍ يملؤها الوعيد: (لما يسقط.. كلّه بيتعوّض. قديش رح يضل يعني؟ سنتين؟ أربعة؟ عشرة؟؟ بكرة بـ سنة واحدة.. بعوّض كل شي. المصاري ما لها قيمة بلا كرامة.. بس ترجع الكرامة.. بيهون كل شي).

قالها وهو يرمي بنظره إلى خشب صالته وقد صار إلى رماد، بعد أن حوّله (الجيش العقائدي) إلى حطب ليكسر بردَ مدن الغوطة الشرقيةً العصية على الذل، الذي اقتحمها بمصفحاته ودباباته.

كان ذلك في الخريف الأول للثورة.

تاجر الموبيليا أبو تيسير وقف بـ حلّتهَ البيضاء محدّقاً في وجوه أصحاب المحال المحاذية لصالته، حاول أن يعزّيهم، لكنه كتم كل الكلمات، التي لم يعد لها معنىً.. فهو على يقينٍ الآن أن الوحش الذي يواجهونه سيحوّل البلاد، كل البلاد إلى نهرٍ من الدم ربما يستحيل إلى فيضانٍ شامل.

وهذا ما كان..

الشتاء القاسي الأول الذي مرّ على البلاد، اتسعت خلاله عائلة أبو تيسير عندما حوّل كل سقفٍ يملكه أو (يمون عليه) إلى ملجأ لأكثر من مائة من ضيوفٍ أعزاء، لاذوا بحياتهم من هول ما رأوا وما ذاقوا، لمطالبتهم بـ حرية بدت أكبر مما يستوعبه هولاكو عصرنا، لجأوا.. وتركوا وراءهم ذكريات وتفاصيل ودماء وشهداء.

عائلةٌ.. كان لها أباً معيلاً وحارساً لبقايا أحلامها دون أن يسأل نفسه.. إلى متى؟؟

في ذات الشتاء صار تاجر الموبيليا ذو الجلابية البيضاء والوجه الممتلئ صيدليةً متنقلة، سيارةَ إسعاف عاجل، بات يجوب بلدات الغوطة من أقصاها إلى أقصاها يلملم أحزانها ويضمد جراحاً مفتوحة تنزف.

مرّ الربيع الثاني مترافقاً بسيل متجددٍ من دماء زينة شباب الغوطة.

ربيعٌ.. لم يشبه ربيع الثورة الأول. ربيعٌ كان الشباب فيه يتحلّقون في ساحات الغوطة فاتحين صدورهم للموت. شبابٌ رفضوا الآن أن يكونوا كـ خشب بلداتهم.. حطباً يحرقه نيرون الجديد.

بعد هذا الربيع توقف أبو تيسير عن عدّ الفصول.. فقد باتت الأيام متشابهة.. وكثرُت أسرّة أولاده التي عليه أن يتفقّدها ليل نهار، كما كثُرت البيوت التي عليه أن يتفقد ركامها علّه يسمع أنين مستغيث.

أبو تيسير الرجل المربوع بعظمه العريض ويديه المفتولتين اللتين لم يستخدمهما لفك (البارودة وتركيبها) عمل جاهداً لـ فك المخطوفين ظلماً وخاصة من (الأقليات). يقول في كل مرة يدخل خلالها وسيطاً: (الخطف يا جماعة بياكل من الثورة نصها.. إذا مو كلها). أغلب المخطوفين الذين فك أسرهم لا يعرفون وجهه ولا قامته.

الرجل صاحب العينين الملونتين اللماعتين كتم ما استطاع، دموعاً في وداع أصدقاءَ وشبانٍ هتفت حناجرهم يوماً للحرية، ودافعوا عن أرض احتضنتهم بترابها المعشّق بدمائهم.

أبو تيسير..

دموعُك عاندت كبرياؤك وأنت تودّع أحبابك.. تكفّنهم بأنامل الجنة..

أبو تيسير تاجر الموبيليا البسيط، العاشق الفطري للحرية، لم تتح لك الحياة أن تدخل مدرسة.. لا يهم

أنت مدرسة.. أنت المدرسة يا معلم.

الصور من مدينة عربين من أرشيف الكاتبة

دمشق الجنوبية؛
رماد الصورة ولون الحياة

■ جنى يوسف

على بعد دقائق قليلة من وسط دمشق يرتفع ساتر ترابي يفصل المنطقتين. حاجز جيش النظام يتمركز كحرس على حدود مملكتهم، فهنا تنتهي سلطته. و تنتهي معها أساليب إذلاله و قمعه. خطوات معدودة على وقع الخطر و أنت في أرض محررة. لتختلف ملامح كل شيء.

في البداية لا ملمح إلا للموت. لتبدأ بعد أمتار مظاهر حياة أخرى تتوضح. هنا لستَ في مقبرة و لا في حي مهجور. هنا الحياة تصارع لتبرزَ نفسها، تتحدى الحصار و القصف و الدمار. هنا دمشق أخرى.

بين عدد من المحال المقفلة يصدح صوت أغاني الثورة. هذا ما لم تكن لتسمعه في صباح وسط دمشق القريب. هو صاحبٍ محل يفتح بابه كعادته منذ الصباح على شارياً مر من هنا. لن ينتظر زبائنه المعتادين فهم على الغالب غائبون. لكن عشرات الآلاف لا يزالون هنا، ولا يمكنك ألا تلحظ وجودهم و بالتأكيد لا يمكن إنكار الغياب.

في شارع آخر أطفال يلعبون الكرة، يبتدعون طرقهم و ألعابهم لملء وقت لم يعد يشغله مدرسة و لا واجبات منزلية، يعيدون للمكان بعضاً من صخب كان سائداً هنا يوماً ما. ضحكاتهم و قهقهات لهوهم تمتزج مع أصوات الرصاص و القذائف القريبة. الشارع الخالي من السيارات ليس مخيفاً ولا غريباً بالنسبة لهم، بل هو فرصة للعب الكرة في مساحة أكبر، هو ملعبهم و الحجارة المتناثرة من ركام منزل علامات لمرماهم المرتجل. نعم، إن طفولة لا تزال هنا.

الحصار المفروض على المنطقة الجنوبية من دمشق منذ ما يقارب الثلاثة أشهر متواصلة يجعل سبل الحياة أكثر صعوبة. يحق للداخل أن يحمل معه ربطة خبز على الأكثر هذا إن سمح بذلك. الدواء قد يكون تهمة غير مضمونة العواقب. المواد الغذائية نادرة. ورغم كل شيء لا زال يعيش هنا ما يزيد عن المئة ألف نسمة. صمودهم، و مقاومتهم، و رغبتهم العارمة بالحياة تظهر بوضوح في كل ناحية من هذه الأحياء المتلاصقة.

يصدف أن شاباً سيتزوج غداً، لا بدّ من "تعليلة" له. التعليلة هي طقوس فرح تسبق العرس بيوم، هي عادة تقليدية في القسم الجنوبي من بلاد الشام عموماً، و بالطبع في القسم الجنوبي من دمشق. تلتئم حلقة الدبكة في شارع جانبي على إيقاعات طبل و تصفيق بعض المتفرجين. يتوقف عابر سبيل ليخطو خطوتين في الحلقة الراقصة ثم يبارك للعريس و يتابع طريقه. الحياة هنا لم تفقد طقوسها رغم اختزال الكثير من تفاصيلها. نعم، إن الفرح لا زال ممكناً هنا.

مع اقتراب انتهاء النهار تخف الحركة الخجولة لتنوب عنها أضواء تقاطعات الشوارع الشاحبة في إثبات الوجود. يدلك الضوء على بيت يشغله ساكنوه، علك ترغب مشاركتهم بكأس من الشاي الحلو. نعم، إن حياةً لا تزال هنا.

وتعود تفاصيل النهار لتجتمع حول نار يستدفئ عليها عدة رجال في مدخل حارتهم، لتضيف نوراً على أيام طغى عليها الرماد، ولوناً في الصورة المعتمة. يتشاركون كلماتهم، أوقاتهم، و ما يجول في خواطرهم. تعبر رأسك فكرة أن تجلس معهم قليلاً، تفعل ما لم يكن من عادتك، تسمع أحاديث لا تمت لك بصلة، تحزن لما حل بهم و لغياب أحبابهم، و تبتسم لهم. لأن حياةً لا زالت هنا.

تبقى الحياة هنا كمرادف لصيق للموت، ند لدود لا يستسلم لسيطرة خصمه. تكتسب قيمتها من خطر وجوده، تحتفل بنفسها بكل لحظة حرة. و تعلن وجودها عصية على الدمار.

لم يعد الموت هنا فجيعة و لا صدمة، هو تفصيل يومي، كلمة مشتركة في كل الأحاديث، هو مصدر لإعادة تشكيل الحياة وفق مساره، و دافع لاستمرارها.

الصور من إحدى مناطق جنوب دمشق | تصوير عدسة سام

كردستان

القصيدة المحذوفة من دواوين الشاعر محمود درويش

كثرٌ من قرّاء الشاعر محمود درويش لم يسمعوا بقصيدة له تحمل عنوان «كردستان» نشرها سنة 1972 في جريدة «التآخي» (لسان حال «الحزب الديموقراطي الكردستاني») في بغداد.

نقول: كثر لا يعرفون، لأن درويش لم ينشر هذه القصيدة في أيٍّ من دواوينه (الكاتب الكردي سيامند إبراهيم أشار أيضاً إلى ذلك في موقع «كورداخ»)، وقد قمنا بمراجعة الأعمال الكاملة لمحمود درويش الصادرة سنة 1971 والتي تتضمّن ديوان «أوراق الزيتون» ولم نجد القصيدة فيها.

ويُحكى أن أحد الكتّاب الكُرد زار درويش في بيته بعمّان العام 2007، وسأله: لمَ لا تنشر قصيدة «كردستان» في دواوينك؟ فأجاب: «لأن أصحاب دور النشر يرفضون نشرها»!

وبعيداً عن مدى صحّة هذه الرواية من عدمها، نتساءل حقاً عن سبب عدم ضمّ هذه القصيدة إلى أعماله؟

السبب الفنّي (ضعف القصيدة نسبياً) وارد. لكن السبب «الجماهيري» (مسايرة جمهوره العربي) وارد بقوّة أكبر ربّما.

سيقول قائل: إذاً لماذا عاد محمود درويش فكتب ونشر قصيدة «ليس للكرديّ إلا الريح»؟

والجواب لن يكون صعباً، ويتلخّص في الفرق بين قصيدة تمتدح وتدافع عن الكرد كشعب (بل وتطعن في المفهوم السائد للقومية العربية في ذلك الحين)، وبين قصيدة تأخذ طابعاً شخصياً حميماً لصديق كردي قديم (سليم بركات).

لن نخوض أكثر في التحليل والتخمينات، فهدفنا فقط فتحُ السؤال على قضية مهمّة تتعلّق بعلاقة الشاعر العربي بجمهوره، خصوصاً في مثل هذه المرحلة التي تكشف الخلل الكبير في العلاقة بين المثقفين العرب والجمهور العربي، علّنا نحظى بوقائع أخرى من كتّابنا الأعزاء عن حالاتٍ مشابهة، أو مقالات نقدية تحاول الإحاطة بهذه الظاهرة الحاضرة بقوّة عربياً.

لكن مما لا شك فيه أن الشاعر الكبير كتب هذه القصيدة بعد الانتهاكات التي حدثت بحق الشعب الكرديّ في كردستان العراق على يد نظام البعث القاتل في فترة الستينات، وقد حذفت هذه القصيدة من دواوينه، إلا أنّها بقيت حيّة في ضمائر كل إنسان يكافح في وجه الظلم.

هنا النص الكامل للقصيدة.

(1)

معكم
معكم قلوب الناس
لو طارت قذائف في الجبال
معكم عيون الناس
فوق الشوك تمشي.. لا تبالِ
معكم عبيد الأرض
من خصر المحيط إلى (الشمال)
معكم أنا.. معكم أبي.. أمي
وزيتوني وعطر البرتقال
معكم عواطفنا.. قصائدنا
جنوداً في القتال
يا حارسين الشمس.. من أصفاد أشباه الرجال
ما مزقتنا الريح.. إن نضال أمتكم نضالي
إن خنر منكم فارس.. شدت على عنقي حبالي

(2)

تحيا العروبة..
هل خرّ مهرك يا صلاح الدين؟
هل هوت البيارق؟
هل صار سيفك.. صار مارق؟
من أرض كردستان
حيث الرعب يسهر والحرائق
(الموت للعمال إن قالوا
لنا ثمن العذاب
الموت للزرّاع إن قالوا
لنا ثمر التراب
الموت للأطفال إن قالوا
لنا نور الكتاب
الموت للأكراد إن قالوا
لنا حق التنفس والحياة)
ونقول بعد الآن.. فلتحيا العروبة!!
مرّي إذاً في أرض كردستان
مرّي يا عروبة!
هذا حصاد الصيف
هل تبصرين؟
لن تبصري
إن كنت من ثقب المدافع تنظرين
يا أمّتي..
هجمت على تأريخك الإنسان
أشباه الرجال
باسم العروبة
يستباح الدم
تحكمك النصال
بعثت لمزبلة الزمان
أخسّ ما عرف الزمان من الزمان
باسم العروبة
يطعن التأريخ من شطآن دجلة والفرات
يا أمّتي..
لم يكفنا أذلّا براء
منهم وطابورهم
لم يكفنا أذلّا براء
ألقى لمزبلة الزمان
أخسّ ما عرف الزمان
القى عدوك يا عروبة
نقول بعد الآن: فلتحيا العروبة
لا على الأموات
فلتحيا العروبة

(3)

يا شهرزاد
الليل يفترس الصباح
وحقول كردستان.. موسمها جراح
الحبّ ممنوع.. وهمس الجار
لا شيء مباح
إلا دم الأكراد.. نفط الموقدين
مصباح عارهم.. بموت الآخرين
يا شهرزاد..
صدأت أساطير البطولة في لياليك الملاح
والذكريات البيض والمهر الذي ركب الرماح
والحبّ والأمجاد والسيف الذي ملَ الكفاح
عار على بغداد
ما فيها مباح!
إلا دم الأكراد
في المذياع.. في صحف الصباح
حبر الجرائد في مدينتنا دم
(أنا أبدناهم!) وتعتز الذئاب.. وتبسم
(أذلّا زرعنا أرض كردستان..
لحداً عارياً من فوق لحد
أذلّا زرعناهم جماجم لا تعدّ..)
يا شهرزاد..
الليل يفترس الصباح
والحبّ ممنوع..
ومخدعك الوثير
ملقى على أقدام سيّدك الحقير
ودماء كردستان تغرق سافيحها
واللاعب المأفون بالنيران
سوف يموت فيها
يا شهرزاد!
ما مات إلا الموقدون
مصباح ليلهم.. بزيت الآخرين
فإلى اللقاء مع العصور القادمة
في قصة العصر الذي
صنعته كف الثائرين.

عامان على الثورة - إضاءات

■ خالد كنفاني

إحدى مظاهرات بستان القصر | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

عندما مات حافظ الأسد لم يبق مجال للشك لدى أي إنسان على وجه الأرض بأن هذا النظام مدعوم عربيا ودولياً على أوسع نطاق، ويشهد لذلك الجنازة الضخمة التي شيعت "القائد التاريخي" وكذلك الشخصيات العربية والعالمية التي حضرت ذلك التشييع.

نسوق هذه الحادثة لنذكر القارئ بمشهدين هامين في ذلك الوقت أحدهما له علاقة بالخارج والآخر بالداخل وكيف تم استتباب الأمور لبشار الأسد في حكم هذا البلد عبر مرحلة انتقالية غاية في السلاسة والهدوء لم يعكر صفوها أي حدث خارج عن السياق.

المشهد المتعلق بالخارج كان وصول وزيرة الخارجية الأمريكية آنذاك مادلين أولبرايت لتقديم العزاء لآل الأسد بفقيدهم الغالي (لأنه كان فقيدهم وحدهم ولم يكن أبداً فقيد الأمة كما تم تعميمه آنذاك). ولم يكن وصول أولبرايت أمراً هاماً بمقدار الاجتماع المغلق والمنفرد الذي تم بينها وبين بشار الأسد الذي كان لا يزال حتى تلك اللحظة "ابن الرئيس" ولم تكن له أية صفة سياسية أو حتى عسكرية، ولم يلفت الاجتماع الذي لم يدم سوى عشرين دقيقة فقط انتباه كثيرين في خضم أحداث ذلك اليوم الرهيب، ولكن عين الفاحص لا يمكن أن تخطئ حقيقة أن عدد من اجتمعوا مع بشار الأسد على هذا الشكل المغلق والمنفرد لم يتجاوز أصابع اليد الواحدة. وكان واضحاً من الابتسامات المتبادلة وجود رضى بل ورغبة أمريكية في بقاء الأمور على ما هي عليه من ناحية سيطرة النظام على مقاليد الحكم في سوريا مقابل ضمانات عدم التعرض لأمن إسرائيل أو المصالح الأمريكية في المنطقة وهو أمر ثبتت صحته فيما بعد.

أما المشهد الثاني فكان الاجتماع الطويل فعلياً والقصير إعلامياً والذي جرى في منزل عائلة الرئيس بين بشار الأسد والضباط الكبار في القوات المسلحة الذين تقدمهم الجندي الوفي مصطفى طلاس حيث لا يمكن أن تخطئ عين الفاحص مرة أخرى نظرات القوة من جهة الضباط وهم قادة الفرق العسكرية الرئيسية وفروع الأمن والمخابرات وأركان الجيش ومقابلها من نظرات بشار الذي وجد نفسه فجأة في موقع من يطلب ود الجميع للحفاظ على كرسي ورثه ولم يتعب في الحصول عليه. كان من الممكن قراءة كل هذه النظرات بوضوح: الحكم مقابل الحفاظ على الامتيازات والصلاحيات الواسعة لدى الرؤوس الكبيرة، فمعظم هؤلاء لم يكن مهتماً بكرسي الرئاسة قدر اهتمامه بممارسة السلطة الفعلية وحصد أكبر عدد من الامتيازات.

مضى اليوم عامان منذ الانطلاقة الرسمية للربيع السوري الذي انقلبت عليه كل الفصول وبات بحاجة إلى تعريف جديد لفصل جديد لم يسبق له مثيل. سقط عشرات آلاف الضحايا ودخل العدد في خانة مئات الآلاف ولا يزال العدد مرشحاً للتزايد مع ارتفاع وتيرة الجنون المسلح في البلد. فقد أكثر من خمسة ملايين إنسان أماكن سكنهم ومعيشتهم وأضحوا لاجئين يتم التلاعب بهم وعليهم كل يوم تحت مئات المسميات. وأثناء كتابة هذه السطور كانت الجرافات اللبنانية تقوم بإزالة أكثر من مائة وخمسين خيمة للاجئين سوريين بدعوى وجود الخيام في محمية طبيعية في بلد لم يجرؤ مشرعوه على منع التدخين في الأماكن العامة حتى اليوم. الكل اليوم يتسول باسم اللاجئين السوريين من أكبر الدول إلى أصغر الأفراد مروراً بأجهزة وتنسيقيات ومجالس وهيئات المعارضة السورية العتيدة التي بات السوريون يكتشفون يوماً بعد يوم حجم الفساد المتعشش في ضمائر ونفوس هؤلاء وهم يتصايحون ويتشاتمون على الشاشات وعلى صفحات المجلات.

منذ ما يزيد على ستة أشهر لم تذكر الإدارة الأمريكية أي تصريح أو بيان يتحدث عن عدم شرعية النظام السوري أو ضرورة تنحيه أو غير ذلك من المصطلحات المطاطة والممجوجة والتي بات الهدف منها اللعب على أوتار مشاعر الناس وذر الرماد في العيون أمام العالم، وخاصة أن الشأن السوري لا يعني لدافع الضرائب الأمريكي أي شيء طالما أنه لا يتحمل أي عبء مادي تجاهه، وهنا نرى دور المعارضة السورية البائسة والتي يعيش قسم منها في الولايات المتحدة وينفقون الملايين من الدولارات التي تردهم من "الأصدقاء" ولكن دون أي حشد إعلامي إلا قليلاً من الحفلات الموسيقية والتي لا يحضرها سوى السوريون في الغالب.

ولم تقف الإدارة الأمريكية عن هذا الحد، فقد ترجم وزير خارجيتها جون كيري تلك التحليلات إلى واقع في مناسبتين: الأولى لدى لقائه مع أردوغان حيث كان التعليق الأساسي له رفضه تعليقات أردوغان عن الصهيونية لأن في هذه التعليقات معاداة للسامية، رغم أن الادعاء كان واضحاً بأن هدف الاجتماع كان المسألة السورية. أما المناسبة الثانية فهي تصريح كيري أنه يتمنى أن يرى "الرئيس" بشار الأسد يجلس مع المعارضة إلى مائدة الحوار، وكان هذا التصريح بمثابة قنبلة خلخلت كيان الائتلاف المهزوز أساساً وخلطت أوراقه المبعثرة بالأساس وتاهت بوصلته الضائعة بعدما دب الحماس في بعض أعضائه لانتخاب رئيس حكومة لإدارة المناطق "المحررة". فالرجل "لا ينطق عن الهوى" وهو وزير خارجية دولة تعتبر نفسها المدبر والمخطط للكثير من الأحداث في العالم، وعليه فإن المسألة لم تعد جلوس "بعض" أركان النظام الذين قد يختارهم الائتلاف أو النظام بل إن كيري يتحدث عن مشاركة الأسد وهو اعتراف صريح منه بأن الأخير هو الرئيس وأن على الجميع أن يتعامل معه على هذا الأساس.

"نحن قوم لا نقرأ، وإن قرأنا لا نفهم"، هي عبارة ذهبية تحضرني دائماً لدى سماعي لتصريحات وتعليقات ومداخلات المعارضين السوريين الذي أعجبتهم الحياة الناعمة وأجنحة الفنادق. لم نجد إلى هذه اللحظة ذلك السياسي أو السياسية ممن يمكن أن نرى فيه بصيص أمل ولو حتى لقيادة شهر واحد من أية مرحلة انتقالية في قرية من قرى سوريا. كلهم لا يجيدون سوى الصياح والصراخ والشتائم التي شبعنا منها وكأنهم يريدون أن يرغمونا إرغاماً على الاقتناع بأن النظام مجرم وأنه سبب العطالة السياسية والفكرية التي يعاني منها المعارضون وكأنهم يطعنون في أنفسهم من غير ما يعلمون. فإذا قبلنا جدلاً بأن هذا حال من عاش في سوريا وكبر فيها وسجن فيها، فأين السوريون الذين قضوا أكثر من عشرين عاماً في بلاد المغترب ودرسوا هناك وعاشوا أجواء الانفتاح والديمقراطية والعقلانية؟ فهل أثر النظام أيضاً في هؤلاء؟ من هو صاحب أي نظرية سياسية وخطة وطنية مستقبلية يستطيع طرحها على الناس حتى يرى هذا الشعب إلى أين يسير؟ وإلى متى ستبقى مسألة سقوط النظام شماعة البطالة التي يعيشها كل المعارضين وخاصة بعد أن أغدق عليهم الخليج من فتات موائده الشيء الكثير؟

من يدعي أن ثلاثة أرباع سوريا أصبح محرراً فعليه أن يأتي ويبدأ بالعمل، أما التحجج بإسقاط النظام والقضاء على رموزه وفلوله أولاً قبل الدخول للعمل فهو حجة واهية والهدف منها استمرار الرعي في مزارع الأمراء والشيوخ على حساب الشعب المسكين الذي يدفع يومياً من كرامته ودمه وممتلكاته الشيء الكثير. نرجو من كل هيئات المعارضة في الخارج والداخل أن تكف عن مقولة "أين حقوق الإنسان؟" أو "ألا ترى أمريكا ما يحدث لنا؟" فالجواب أنها ترى كل شيء وبعيون مفتوحة ولا تريد أن تفعل شيئاً جاداً خشية التورط في نزاعات لا تسمن ولا تغني من جوع، وخاصة أن سوريا ليست العراق ولا يوجد أي مطمع للعالم في سوريا من أي شكل، أما الخوف على إسرائيل فليس له مبرر لأن الولايات المتحدة وحلفاءها يعلمون أن المعارضة المسلحة في سوريا لن تجرؤ على الاقتراب من حدود إسرائيل شبراً واحداً بدون إذن ولي الأمر الذي يدفع، ولا يوجد هناك أعداء لإسرائيل في المنطقة لا على مستوى الحكام ولا على مستوى الأحزاب. وقد رأينا كيف حافظ الإخوان المسلمون في مصر على اتفاقية كامب ديفيد ولم يخرج أي منهم باقتراح إيقاف تصدير الغاز إلى إسرائيل وغير ذلك كثير.

هناك اليوم خطة سياسية محكمة لتدمير الوطن والشعب في سوريا، ليس مادياً وحسب وإنما إنسانياً وفكرياً وحضارياً، وعلى ما يبدو فسيبقى هذا التجاذب بين كل الأطراف في سوريا بحيث يبقى الحبل تحت الشد والإرخاء لكن دون أن ينقطع وفي هذا ضمانة لاستمرار النزاع ودخول مزيد من الأطراف على الخط سواء خارجياً أو داخلياً، وبينما تمر الأيام والشهور يتم تدمير الإنسان السوري من داخله بينما يتم تمزيق الوطن وتتوضح سيناريوهات تقسيمه يوماً بعد يوم ويتحول المواطن إلى شبح أو كائن شرير لا تعنيه سوى غريزة البقاء وينقطع كلياً عن أي حاضر أو مستقبل.

قد يبدو السيناريو سوداوياً بعض الشيء ولكنها صيرورة التاريخ وحتمية نتائج الصراع وفق علم الاجتماع الذي أهملناه طويلاً. سيبقى الأمل موجوداً ولكن متى؟ لندع الحكم للأيام القادمة. كل ثورة وأنتم بخير.

آخر الكلام: يقول الشاعر فاروق جويدة

لا تسألوني عن.. دموع بلادي
عن حزنها في لحظة استشهاد
في كل شبر من ثراها.. صرخة
كانت تهرول خلفنا و تنادي
الأفق يصغر.. والسماء كئيبة
خلف الغيوم.. أرى جبال سواد

الأزمة السورية والحل السياسي

■ سمير سعيفان

بعد عامين على الأزمة السورية، فإنها تنفتح على عدة نهايات محتملة لها، ولكن أغلبها مدمر، والنهاية الممكنة التي تضع حداً للخسائر والتدمير المادي والبشري والاجتماعي هي حل سياسي يتم عبر تفاوض مباشر بين الطرفين: النظام والمعارضة.

لو أن أحد الطرفين حقق النصر على الطرف الآخر، بعد سنتين من الصراع، لحسم الأمر لصالحة ولفرض شروط الاستسلام على الطرف الآخر، ولكن هذا لم يحدث، ويبدو أنه لن يحدث في الأمد القريب، وإن حدث بعد أمد غير قريب، وانتصر أحد الطرفين فسيكون انتصاراً أسوأ من الخسارة. فالنظام يملك قدرات عسكرية كبيرة وقدرات تدمير كبيرة، ولديه إمداد مستمر من روسيا وإيران ودعم من حزب الله والعراق، وما زال يحكم سيطرته على أجزاء واسعة من سورية ويحظى بتأييد فئات غير قليلة، وجزء كبير من هذا التأييد هو خوف من البديل، والمعارضة لم تستطع هزيمته حتى الآن. من جهة أخرى تملك المعارضة قدرات كبيرة على الصمود والقتال والتقدم البطيء، ولديها دعم مالي من السعودية وقطر والكويت وغيرها، وتسهيلات لوجستية واسعة عبر تركيا، ودعم سياسي دولي غربي كبير، وتسيطر على مناطق ومساحات واسعة من سورية، ولديها تأييد فئات غير قليلة من المجتمع السوري، وثبت أن النظام لم يستطع دحرها، أما إسرائيل فستكون سعيدة باستمرار القتال إلى أن تهدم سورية كلياً كما العراق، لأن شعبي سورية والعراق هما العدوان الحقيقيان لإسرائيل. وبالنتيجة فان الذي يدمر هو مدن سورية وبلداتها وقراها ومجتمعها، ومن يقتل هم سوريون على يد سوريين. وأي طرف يعتقد أنه سيكون المنتصر في النهاية مهما طالت الحرب، فإن انتصاره، إذا حصل، سيكون أسوأ من الهزيمة.

حتى الآن أكثر من مائة ألف شهيد من الطرفين ومليون مهجر لخارج سورية ونحو مليونين داخلها ودمار أكثر من نصف مليون منزل وعشرات آلاف المدارس والمستوصفات والمباني العامة والمنشآت الحكومية، ونهب آلاف الشركات وتدمير ونهب مئات آلاف السيارات والمعدات الهندسية، وخراب حقول النفط وخراب البنية التحتية ودمار الاقتصاد وبلوغ البطالة نحو 50٪ ومعدلات الفقر أعلى من ذلك وهتك كرامة السوريين في معسكرات إيواء مهينة، وتهتك النسيج الاجتماعي وضرب فكرة المواطنة السورية الواحدة وغيرها، والقادم أدهى وأعظم.

ثبت أيضاً أن استمرار القتال يؤدي لمزيد من التطرف، ويؤدي إلى توسيع نفوذ المتطرفين والجهاديين وجبهة النصرة، ونمو أمراء الحرب من الطرفين، ونمو التمذهب القاتل في المجتمع السوري، وتراكم أحقاد ستنفجر انتقاماً في المستقبل عندما تجد فرصة مناسبة، وستفتح أبواب الجحيم. حينها ستكون سورية انتقلت "من تحت الدلف لتحت المزراب". فالشعب السوري يريد الانتقال إلى نظام سياسي ديمقراطي تعددي مدني حديث، تسوده المساواة والعدالة وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، يستمد مرجعيته من المستقبل، لا أن يعود ليكون تحت نظام "ثيوقراطي" ديني قروسطي، ينبش قبور الموتى كي يحكموا الأحياء.

لذلك الحل مطلوب الآن قبل الغد، والرؤوس الحامية التي مازالت تصر على "كل شيء أو لاشيء، فإنها تنتحر وتقتل الآخرين.

المتطرفون لدى كل طرف يرفضون ذلك ويصرون على مبدأ "كل شيء أو لا شيء" وهذا يسمى في علم السياسة "بالحل الصفري" أي "إما أنا وإما هو"، وهذا بالضبط وصفة لدمار ما تبقى من سورية.

المتطرفون الذين لا يريدون يزعمون أنهم وحدهم على حق كامل لا تشوبه شائبة، والآخر على ضلال كامل لا تشوبه شائبة، ثم يضعون شروطاً مسبقة تمنع التفاوض، مثل بعض أطراف المعارضة التي تشترط رحيل الأسد أولاً، وهذا استسلام لم يسمح به التوازن على الأرض، أو مثل اشتراط النظام أن ترمي المعارضة سلاحها وتعود لبيت الطاعة كي يحاورها، وهذا استسلام لم يسمح به التوازن على الأرض، فموازين القوى على الأرض بعد عام ونصف من الصراع المسلح لم تسمح بفرض مثل هذين الشرطين، وبالتالي ستستمر الحرب وسيستمر الدمار على كافة الصعد.

أي من الطرفين يعتقد أنه سيدخل المفاوضات وهو يعتقد أن الطرف الآخر سيوافق على كامل شروطه، فأنه لن يقدم أي تنازل جوهري، بل فقط سيعيد ترتيب الأمور لصالحة، أو إعادة تغليف البضاعة القديمة بغلاف جديد، فهذا يعني أنه يدخل المفاوضات كمناورة سياسية، ولكنه في الواقع يرفض مبدأ التفاوض.

أي من الطرفين سيدخل المفاوضات ولكن يرفض وقف كامل للعمليات العسكرية ويستمر في القتال فهو يرفض التفاوض عملياً.

أي من الطرفين يرفض الحل الوسط بمعنى يرفض تشكيل مؤسسات حكم جديدة يمثل فيها الجميع ويعتقد أنه سيقدم فقط بعض الإجراءات الشكلية فهو يرفض الحل السياسي ويرفض الحوار ويرفض التفاوض.

المشكلة أن دور المجتمع السوري ما زال غائباً، ودور المواطن العادي، الذي يدفع الثمن، مازال غائباً، رغم الكوارث التي لحقت به حتى الآن. ولم يستطع القوى العقلانية الديمقراطية السورية أن تقيم مؤسسات سياسية تمثل مصالح الفئات الواسعة من الشعب السوري وتؤدي دورها في الأزمة السورية، وهذه القوى مازالت مشتتة، وهذا أمر غريب.

سوريا وشعبها أكبر من الجميع، أكبر من أي فرد من أفرادها مهما علا شأنه، ودون استثناء، ومصلحتها فوق الجميع دون استثناء.

أساس الحل السياسي موجود وجاهز، وهو اتفاق جنيف الذي أبرم في 30 حزيران 2012 ووافقت عليه دول مجلس الأمن الخمسة بما فيها روسيا، ووافق عليه كل من النظام والمعارضة، ولكن تم تعطيله بحجة الموقف من بشار الأسد كرئيس، ولكن في الواقع هذه حجة، فكلا الطرفين قيادات النظام وقيادات المعارضة كانت ترفض هذا الاتفاق.

تنفيذ اتفاق جنيف بسيط إن أراد الطرفين الوصول إلى حل، ويتم عبر وفدين مفوضين كاملي الصلاحية للنظام والمعارضة، بحضور ممثلين عن مجلس الأمن ودوله الخمس، يضع الطرفان اتفاقاً يصدر بقرار عن مجلس الأمن ليكون ملزماً للطرفين، يشكل الاتفاق ثلاث هيئات تمثل فيها المعارضة (معارضة سياسية وجيش حر) والنظام (السلطة السياسية والجيش النظامي) كما يمثل فيها الفئات التي لم تنخرط في موالآت النظام أو المعارضة، أي يجب أن تمثل فيها وبثقل وازن مختلف مكونات المجتمع السوري، وهذه المؤسسات الثلاث هي: 1) حكومة مؤقتة، 2) مجلس عسكري مؤقت، 3) مجلس وطني مؤقت، كما يتضمن الحل وقف القتال وعودة المهجرين وإطلاق سراح المعتقلين ثم جملة من البنود التنفيذية الأخرى التي تنفذ خلال مرحلة انتقالية قصيرة قدر الإمكان، يتم خلالها التحضير لانتخابات حرة بإشراف عربي ودولي على أساس دستور 1950، ليستطيع شعب سورية أن يقول كلمته بعيداً عن أجندات أية قوى خارجية (سواء التي تدعم المعارضة أو التي تدعم النظام)، وهذا هو الأهم، أي أن يملك شعب سورية قول كلمته عبر صناديق الاقتراع الحر والنزيه ليقرر ما يريد، وعلى كل من يزعم أنه يحتكم لشعب سورية أن يعمل فوراً على تمكين هذا الشعب من قول كلمته.

إن أي عاقل لا يمكن أن يرفض حلاً سياسياً واقعياً ممكناً يحفظ ما تبقى من سورية، ويضع مصير سورية في يد شعبها. والآن يوجد ميل أكثر في صفوف الموالاة والمعارضة لقبوله، كما تدعمه إرادات عربية ودولية، ولكن الأهم من الموالاة والمعارضة والإرادات العربية والدولية هو الشعب السوري بأكمله الذي يؤيد معظمه مثل هذا الحل العادل، لأنه هو من يدفع الثمن، عدا قلة متطرفة متحكمة حتى الآن، وفرض هذا الحل يتطلب تحركاً مجتمعياً واسعاً، يفرض نفسه على الجميع، تحركاً يدعم السلام ويقول للرؤوس الحامية: كفى.

الجميع تعب عدا المتطرفين وهم قلة يختطفون الكثرة، وهذا يجب ألا يستمر، وذلك من أجل سورية وشعبها ومستقبلها الذي تهدده مخاطر بشعة فظيعة مرعبة.

والحل مازال ممكناً.

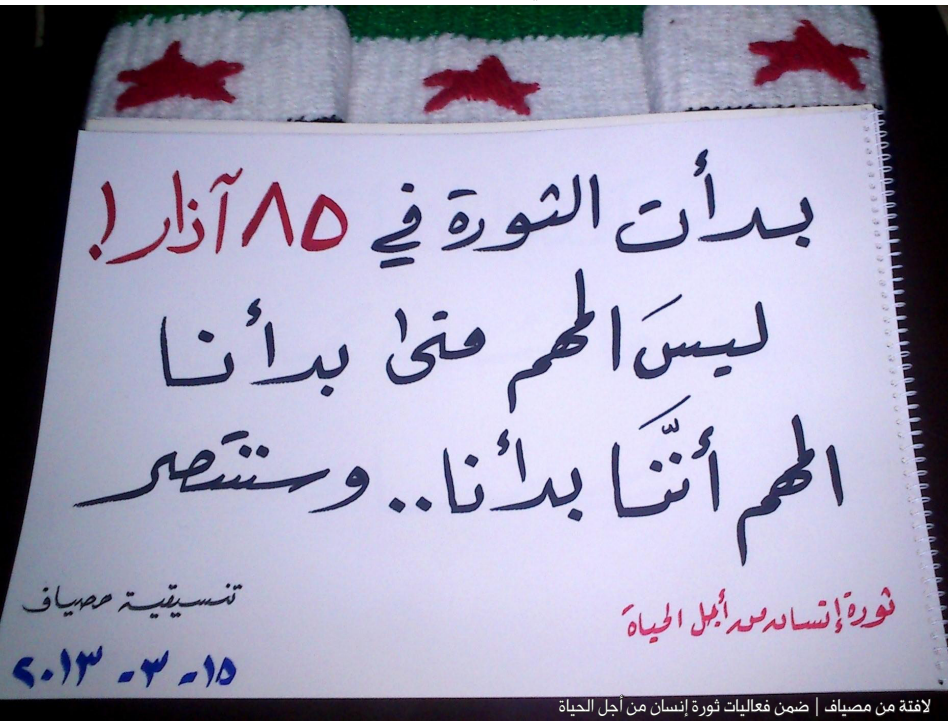

لافتة من مصياف | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

تحديات الثورة السورية في عامها الثالث

■ ماجد كيالي

منذ بدايتها كان واضحا أن الثورة السورية انطلقت من نقطة الصفر تقريباً إن بالنسبة لعلاقة معظم السوريين بالسياسة أو بالنسبة لطابعها العفوي، كونها انطلقت من دون ممهدات سابقة، ومن دون هياكل تنظيمية محددة، أو هيئات قيادية ظاهرة ومتمرسة، إضافة إلى افتقادها إلى رؤية سياسية واضحة؛ إذا استثنينا شعارها الجامع: "إسقاط النظام".

هذا يعني أن الثورة السورية اندلعت كردة فعل على تراكم الظلم والإحباط واليأس وانعدام اليقين والامتهان والغضب، وليس نتيجة مطالبات سياسية أو اقتصادية أو قانونية واضحة، لكأنّها جاءت مجرّد تلبية لحاجة وجودية، بدليل تركيزها على أوليات الحرية والكرامة والمساواة والمشاركة السياسية، وكأن هدفها تأسيسياً بحتاً، يتوخّى قبر الاستبداد والتهميش إلى الأبد، والتأسيس لقيامة المواطن والشعب والدولة.

ومع دخول الثورة عامها الثالث، وبعد كل ما جرى، وبعد كل هذه التضحيات والبطولات والمعاناة، لم يعد من المفهوم ولا من المقبول بقاء هذه الثورة عند حيز العفوية والتجريبية والمزاجية، في المفاهيم أو في أساليب العمل، ولم يعد كافياً الحديث عن مجرّد إسقاط النظام، مثلاً، رغم أن ذلك يشكّل كسراً لا بد منه للخروج من حال الاستعصاء التاريخية في البلد.

في هذا الإطار، وبمناسبة دخولها عامها الثالث، ثمة عديد من التحديات التي مازال أمام الثورة السورية، وقواها المحركة، واجب العمل على الاستجابة لها، وإيجاد أجوبة على التساؤلات التي تطرحها.

هكذا ثمة التحدي المتمثل بتوضيح مآلات الثورة السورية، وشكل سوريا المقبلة، فهل هي، مثلاً، دولة مدنيّة للجميع أم دولة دينية؟ هل هي دولة «قومية» أم دولة لكل مواطنيها، من دون أية تمييزات إثنية أو دينية أو عقائدية؟ هل هي دولة ديمقراطية أم دولة استبدادية جديدة؟ وهل سيتأسّس النظام الجديد على إطلاق حريات المواطنين، ومساواتهم أمام القانون، وفي الحقوق والواجبات، أم عكس ذلك؟ هذا التوضيح مهم جدا للثورة السورية، لضبط خطاباتها، وضبط المشتركات بين أطرافها، وهو مهم جدا للسوريين، لمختلف أطيافهم، لتطمينهم إزاء المستقبل، ولصياغة الاجماعات الوطنية السورية الجديدة، وأخيرا فإن هذا التوضيح مهم للعالم، كي يعرف مع من يتعامل، وكيف يتعامل.

التحدّي الآخر الذي ما زالت تواجهه هذه الثورة يتمثل بمدى قدرتها على مخاطبة وتحريك مختلف مكوّنات الشعب السوري للخروج من كونها ما زالت تمثّل لوناً معيّناً ولو إنه يشكّل أكثرية في المجتمع. وهنا قد يمكن القول إن هذه المشكلة فرضتها الخريطة الجغرافية والبشرية للثورة، لكن مع ذلك فهذه المعضلة تفترض من المعنيين البحث عن حلّ أو عن أجوبة مناسبة لها. وبهذا المعنى فإن الثورة السورية مطالبة بتوسيع حيزها الاجتماعي، وهذا يفترض منها تبني خطابات سياسية جامعة، ونبذ الممارسات المستفزة، والتي تخرج الثورة عن مسارها، وتشوه صورتها، وتضر بصدقيتها.

أيضاً، ثمة التحدّي المتعلّق بكيفية تفعيل الطابع الشعبي والسلمي للثورة، لا سيما على ضوء غلبة طابع العسكرة، وهو أمر ينبغي الحذر في التعامل معه، بالنظر إلى أكلافه وحساسيته، وتأثيره على مستقبل سورية، ووحدتها الوطنية، لا سيّما في ظروف ثورة شعبية عفوية، وتفتقد لهيكلية ولقيادة ولبرنامج. ومعلوم إن تآكل الطابع الشعبي للثورة يمكن أن يفضي إلى خلق مراكز قوى، ونشوء ظواهر وسلوكيات وثقافات تغذي العنف بين أطراف المجتمع، وهو ما يمكن أن يفتح على منازعات مذهبية وطائفية وإثنية تحدث تشقّقات عميقة في المجتمع، وهو وضع لا يخدم بناء مستقبل مشترك لكل السوريين، ولا قيام سورية المستقبل كدولة مدنية، لا دينية ولا عسكرية، لمواطنين أحرار متساوين. هذا يفترض أيضا التمييز بين الدعوة إلى التسلّح وبين الانتفاضة المسلحة، التي تأتي في إطار الدفاع المشروع عن النفس وكسر الآلة العسكرية للنظام.

يبقى أخيراً أن الثورة وهي تدخل عامها الثاني ما زالت من دون كيانية سياسية واضحة، ومجمع عليها. وهذا يفرض من الكيانات المعنيّة، التي باتت بمثابة هيئة قيادة للثورة، التواضع، واعتبار نفسها مجرّد كيانات موقتة، هدفها تمثيل الثورة والتعبير عنها في المرحلة الانتقالية. وهذا التواضع يفترض من هذه الكيانات، أيضاً، الارتقاء بدورها، وتناسي خلافاتها وحساسياتها ومكاسبها الآنية، للبحث في المشتركات، ولتعزيز الجهد الجماعي، باعتبارها بمثابة قيادة للثورة، ومرجعية سياسية لها، وكممثّل شرعي للشعب. ولعل أكثر ما يربك الثورة السورية هو تعدد مراكزها ومرجعياتها السياسية، وتضارب خطاباتها السياسية، وغياب هيكلية واضحة لتشكيلاتها العسكرية، وهو ما ينبغي وضع حد له، من خلال حسم مسألة القيادة والمرجعية، على الصعيدين السياسي والعسكري، ومن خلال توضيح الرؤية السياسية لسوريا المستقبل. وبالتأكيد فإن سوريا هذه ستكون حتما لكل السوريين، أي دولة مواطنين أحرار ومتساوين، فهذا هو المعنى الحقيقي للثورة السورية، وهذا هو معنى الثورة ضد الاستبداد والفساد، ومن أجل الحرية والكرامة.

بعض الصعوبات التي واجهت الثورة السورية

■ مروان زكريا

اقتبست العنوان من إحدى دروس كتاب "التربية القومية" في صفوف الثانوية التي أذكرها في المدارس السورية: "بعض المنطلقات النظرية لحزب البعث" والمقصود أن تلك المنطلقات لا تنتهي ولا يمكن الإحاطة بها جميعاً في وقت من الأوقات.

وأرد في هذا المقال على مقولتين منتشرتين مؤخراً على صفحات الفيسبوك: الأولى: أن الطائفية موجودة بالأساس ومن قبل استلام الأسد للسلطة، وذلك صحيح إلى حدّ ما، وأدّعها فقط انكشفت عند بدء الثورة – مع تقليل أثر نظام الأسد - وذلك ما يستدعي الرفض ويحتاج الردّ. والثانية: مجموعة مقولات تلوم الشعب السوري الثائر ذاته مؤدّاها أن (ما حدث في الثورة من مشكلات متوقع بسبب طبيعة الشعب المصاب "بالجهل والفساد والعنف والطائفية بتأثير نظام الأسد الطويل عليه") وذلك أيضاً جزء من الحقيقة، لكن طبيعة وواقع الثورة منذ بداياتها ظهرت رداً على كل ذلك معاكسة له وثائرة عليه.

بدأت الثورة السورية بطبيعة جوهرية أساسية استمرّت حتى وقتنا هذا بخفوت تدريجي، بدأت سلميّة جريئة نظيفة اليد، وضد الطائفيّة. على نظام شديد العنف والفساد استخدم الترهيب وسيلة لإخضاع الشعب وعمل طويلاً على تعميق تقسيم المجتمع وتشتيته إلى انتماءات عديدة. لكنّها واجهت صعوبات كبرى يجب النظر إليها قبل إطلاق أحكام كالمقولات المذكورة.

1 - صعوبات داخلية:

تتمثّل تلك الصعوبات في سلوك النظام، وتأثيره في المجتمع منذ نشأته بالدرجة الأولى. النظام الذي حكم سوريا لأكثر من أربعة عقود خلق خلالها ثقافة كاملة من الخوف، وبنى على التمايزات الطائفية والقومية وعمّقها بشكل ممنهج، واعتمد في حكمه منذ البداية على القوّة العسكرية وعلى صلاته الدولية التي أسّسها بحذر وعمّقها لتثبيت حكمه، على حساب الشعب السوري وحريته وكرامته وأرضه، لينتج شكلاً من نظام "عبادة الفرد" مع احتلال يمثّل أطرافاً خارجية عديدة تجذّر مع مرور تلك العقود.

- العنف: هو الردّ الأساسي لدى النظام على أي احتجاج، إلى جانب بعض الأكاذيب الهزيلة والمكشوفة عن "الإصلاح"، فكان يردّ بالعنف على أي شكل من الاحتجاج ويشدد العنف مع زيادة حجم وخطورة الإحتجاج، بغض النظر عن شكله، ومهما كان سلمياً. لم يكن حجم العنف ردّاً على عنف مضاد بل كان يتناسب فقط مع استشعاره بالخطر، والضوء الأخضر المسموح له دولياً، وأوضح مثال عن ذلك هو اقتحام حماه ودير الزور بالدبابات في نهاية تموز 2011.

- إشكالية الطائفة العلوية (ينطبق الحديث على أغلبية أبناء الطائفة لا كلّهم): من بين سلوك النظام الطائفي منذ نشوئه، وبراعته في السيادة على مجموعة من الطوائف المنعزلة والمتحاربة (حرب لبنان مثالاً)، وسلوكه العام تجاه المجتمع السوري الذي أدّى إلى تجهيله وإفقاره، تميّز في سلوكه الممنهج تجاه أبناء الطائفة العلوية بالذات في سوريا، ليستخدمها أداةً لحكمه بين أدوات كثيرة.

منذ مجيئه إلى الحكم: عمل على تجنيد معظم شباب الطائفة في الجيش والأجهزة الأمنية مقابل "تكرّمه" عليهم برواتب زهيدة وامتيازات سلطوية، وتوظيف آخرين (من النساء خاصة) في مرافق "الدولة"، مع السماح لفئة أخرى بالتهريب والتجارة "الممنوعة" من لبنان الذي احتلّه بالمناورة والتآمر والقوة العسكرية، ولكن مع إبقاء سجلّات الفساد مفتوحة لضرب أية جهة أو شخص قد يبتعد عن الطاعة والولاء لشخص الأسد وإن كان من عائلته. وقام أو سمح ببناء تجمّعات سكنية مخدّمة بنسب متفاوتة ولكن عشوائية (لا تسجّل في الطابو) بحيث لا يتملّك أصحابها تلك البيوت فيذهبوا إلى بيعها أو استثمارها، ليبقى على تفضيلهم للالتحاق بالجيش والأجهزة الأمنية عن إتمام الدراسة أو الاستثمارات الحرّة فيحقق بذلك انعزالهم النسبي عن بقية المكون السوري وتجهيلهم وإفقارهم وبالتالي ارتباطهم بوجوده وتحقيق ولائهم.

ومع بدء الثورات العربية: واستشعار النظام بالخطر القادم الذي يهدد وجوده نحا إلى استخدام ورقة الطائفية التي رأى فيها احتمال بقائه بمجموعة من الإجراءات قبيل بدء الثورة، وبعده، بلمّ شمل زعامات الطائفة المشتت، والتفاهم على الخلافات ووضعهم في مركب واحد قبيل الثورة مستبعداً الأشخاص ذوي التوجّه الوطني ومقرّباً ذوي التوجّه الطائفي. وبعد الثورة قام بنصب الحواجز على مداخل التجمعات السكنية المذكورة، بالإضافة إلى تمثيليات قامت بها عناصر تابعة له في بداية الثورة، تخبر أهل كل طائفة أنها من الطائفة الأخرى وتنوي الهجوم عليها مع بعض الأفعال العنيفة بغرض تأكيد فصل وانعزال أبناء الطائفة وارتباطهم به. ورافق ذلك تغيير تحالفاته الخارجية بسرعة بتعزيز علاقاته مع إيران وحلفائها، والذي استدعى معاداة تدريجية للسعودية (خصم إيران) وقطر (خصم الروس).

- حكم البعث: الذي نمّط فئة واسعة من الشعب وخلط الأوراق، وأدخل الأكاذيب العديدة والادّعاءات اللفظية عن المقاومة والقومية والعروبة إلى عقول الكثير من السوريين، ليحاول تجميل نظام لا يقاوم في جوهره إلا من يهدد حكمه، ولا يدعم إلا من يقوّيه.

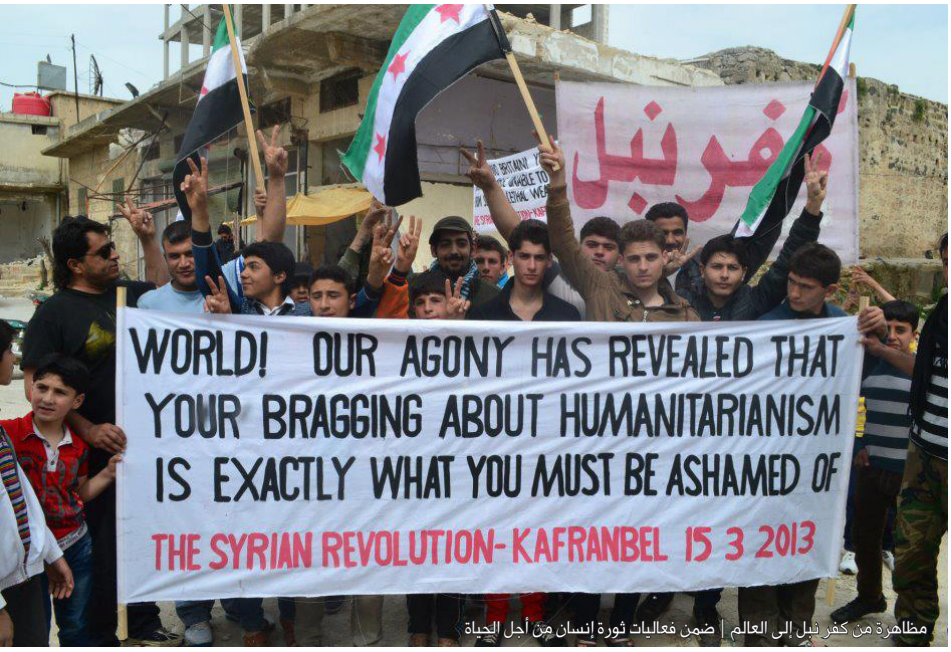

مظاهرة من كفرنبل إلى العالم | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

- الفساد والفقر: لا مكان للخلاف على الفساد الذي مارسه النظام كل تلك العقود، حتى مؤيدوه لا ينكرونه، وذلك سبب أساسي في إفقار معظم أبناء الشعب السوري، ما أدى إلى سلوكيات فاسدة في صفوف الثورة ذاتها تدريجياً خاصة مع إنهاكها.

2 - صعوبات خارجية:

تلخصت في المواقف الدولية من الثورة والإعلام الممثّل لها. مواقف تخفي مصالح ومخاوف مختلفة وعديدة، تجتمع كلّها على "إفشال الثورة". وسأذكر باختصار الأجزاء المهمة من مصالح كل لاعب فاعل في الوضع السوري وأخص منها "الإمبراطوريات" التي اتخذت من الثورة السورية مناسبة لتصفية حساباتها، ومعها تصفية الثورات الخطيرة عليها.

- الموقف الإيراني: لدى النظام الإيراني مشكلة داخلية بما يخص شرعيته، يغطيها بالمكاسب الخارجية عن طريق توسّع "الإمبراطورية" التي تمتد من غربي أفغانستان إلى لبنان، وتملك أذرعاً في البحرين وشمالي اليمن وتسعى إلى تقويض خصمها (المصلحي) الأساسي في المنطقة: السعودية. وأعتقد أن تصريحات رجل الدين الإيراني "مهدي طائب" التي تعتبر سوريا محافظة إيرانية يجب الدفاع عنها أكثر من بقية المحافظات، تعبّر عن موقف النظام الإيراني نفسه. وهذا ما يكمن وراء تمسُّك النظام الإيراني بحليفه (أو تابعه مؤخراً) الأسد تمسّكاً شديداً ودعمه سياسياً ومادياً وأمنياً وحتّى عسكرياً، ضد أي خطر يحيق به، لأنه يرى في سقوطه تهديداً عميقاً لوجوده.

- الموقف الروسي: يبدو أن روسيا تخوض صراع بقاء كدولة عظمى في العالم عبر محاربة الثورة السورية، بعد أن خسرت كثيراً من مواقعها العالمية على إثر انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة. إذ يحاول بوتين استعادة أمجاد الإمبراطورية السوفيتية، وهو الزعيم الحقيقي لروسيا منذ 14 عاماً. وفي هذا الإطار يدعم النظام الروسي حليفه

الإيراني، ويعملان معاً كل ما يستطيعان لحماية نظام الأسد. وأظنّ أن تمسّك الروس بشخص الأسد مرتبط بتمسك الإيرانيين به، كما يرتبط أيضاً برعاية مصالح استراتيجية متصلة بإفشال خط إمداد الغاز القطري إلى أوروبا. وكذلك يسعى النظام الروسي إلى إفشال الثورة السورية ووقف الثورات التي قد تنتشر إلى بعض الجمهوريات التابعة لروسيا وإلى دول مجاورة لها.

- الموقف السعودي: من مصلحة النظام السعودي إضعاف الخصم الإيراني على الأراضي السورية، ولكن وفي نفس الوقت وقف انتشار الثورات العربية خوفاً من امتدادها إلى أراضيه، فمصلحته تكمن في إضعاف إيران وإسقاط الأسد، ولكن وهو الأهم: فشل الثورة في تحقيق تحوّل ديمقراطي.

- الموقف الإسرائيلي: لا يبدو أن الإسرائيلين يأبهون بشخص الأسد وأن ما يهمّهم بالدرجة الأولى حماية الجولان وعدم وصول آثار الفوضى إلى أراضيهم وذلك ما فهمه الأسد (الأب ثم الابن) جيداً وما حرص على تحقيقه طيلة فترة حكمه عموماً، وبعد قيام الثورة خصوصاً لأن "عدوه" الإسرائيلي قادر على إسقاط نظامه في أي وقت. ولكن من مصلحة إسرائيل إفشال الثورة التي إن حققت أهدافها لن تسكت طويلاً عن احتلال أراض غالية في بلادها، وكذلك وقف المدّ الثوري العربي الذي قد يخلق مشاكل وجودية لها.

- الإمبراطورية الخفيّة: لست أتحدث هنا بعقلية "المؤامرة" فهناك شكل من الإمبراطورية العالمية يمكن الاستدلال عليه، تجمع مصالح عامّة بين شركات كبرى وقيادات في أنظمة قوية في العالم، وافتضحت الكثير من الأسرار عنها بعد الأزمة المالية العالمية التي تهدد بقيام احتجاجات أو حتى ثورات عالمية على أداتها الأساسية: النظام المالي العالمي كلّه. ما يهم أباطرة تلك الإمبراطورية هو توقّف ظاهرة الثورات الشعبية المطالبة بالحرية والعدالة بشكل عام وفي كل العالم، ووجدوا في نظام الأسد ضالّتهم علّه يقبر تلك الظاهرة المخيفة ودون تحمّل مسؤولية كبيرة من أحد إذ سيتبرّع هو بتحمّلها.

- الموقف الأمريكي وعقدة الاعتراف بالمعارضة السورية: ما يهمّ النظام الأمريكي بالدرجة الأولى هو ما يهم حلفاءها الأساسيين والاستراتيجيين في المنطقة (إسرائيل والنظام الملكي السعودي)، وكذلك الإمبراطورية الخفية التي تتماهى معها في كثير من الأحيان والتي تؤوي معظم مؤسساتها وقياداتها. لذا فمن مصلحة الأمريكان إسقاط الأسد في النهاية ولكن ليس قبل إفشال التحوّل الديمقراطي وقبْر ظاهرة الثورات التي تحاول عبثاً الظهور إعلامياً بمظهر الدّاعم لها. ومن أساسيات الاعتراف الدولي بأية هيئة أو مجلس للمعارضة السورية هو الحفاظ على احتلال إسرائيل للجولان الذي يكتب بصيغ مختلفة مثل: "الالتزام بالمعاهدات الدولية" وما شابه. وكانت تلك بالذات واحدة من العقد الأساسية للمعارضة السورية لمدة طويلة، فهي بحاجة إلى الاعتراف الدولي من جهة والشعبي من جهة، فإذا رفضت "البند الأساسي" خسرت الاعتراف الأمريكي وبالتالي الدولي، وإن قبلته خسرت الاعتراف الشعبي. فكان من مصلحة النظام الأمريكي إنهاك أو إنهاء الثورة وإشغال السوريين بمشاكل داخلية تبعدهم عن التفكير بنقض "المعاهدات الدولية" أو البحث فيها بالإضافة إلى ضرورة وقف المدّ الثوري.

وبذلك رأى الأسد في تلك المواقف ضوءاً أخضر لإفشال الثورة بأية طريقة يراها ويعرفها. وضرب عرض الحائط بكل منظمات حقوق الإنسان والإعلام المساعد للثورة (الموجود على الانترنت غالباً) - يساعده في ذلك وسائل الإعلام المرتبطة بكل الأنظمة المذكورة وحلفائها - فأنزل كل بشاعته في ثورة ما زالت حيّة رغم كل تلك الصعوبات، ثورة تستحق دراسة أعمق بكثير من الاستسلام إلى المقولات السطحية عن "مشاكل مستعصية في الشعب السوري". دراسة تسعى لنقل المعرفة إلى العالم، علّها تبقي على الثورة في قلب كل ثائر فيه، وتشعلها في قلب من لم تشتعل لديه بعد.

تحطيم العلبة

■ زياد ماجد

في مطلع التسعينات، نشر سجين سياسي سابق في إحدى دول أوروبا الشرقية مذكّراته.

قال في واحدة من يوميّاته واصفاً "لعبة" مع النمل حاول من خلالها هزيمة الوقت والوحدة والوحشة في زنزانته الإفرادية: "كنت كلّ ما صعد النمل من قاع علبة الحلوى إلى أعلاها ناقلاً بقايا السّكر، أعيده إلى أسفل. أفعل ذلك مرّة بعد مرّة إلى أن يوقف محاولاته ويعتاد الدوران في جوار القاع".

هكذا، وبكلمات قليلة، وصف ذاك السجين كيف دفع النملَ للقبول بشروط لعبته الساديّة: الحركة في مكان محدّد في أسفل العلبة والاستسلام لفكرة أن كل محاولة خروج تعني قمعاً أو إرغاماً على العودة إلى المكان الأوّل. وطالما أن خطر القمع موجود، فلا جدوى أصلاً من استمرار المحاولة.

وهكذا أيضاً، وصف ذاك السجين ما يحاول الاستبداد، كل استبداد، فعله: إلزام الناس بالطاعة، بالقبول بما يريده لهم، والكفّ عن محاولات التمرّد أو الرفض.

ولعلّ السوريين والسوريات هم أكثر من يُدرك معنى أن يُلزَموا بالانصياع والتكيّف مع شروطه. أن تُمارس عليهم الضغوط المادّية والمعنوية وأن يُسجنوا وأحياناً يُقتلوا إن هم حاولوا التمرّد والخروج إلى الضوء في مملكة فُرضت فيها العتمة واحتلّتها التماثيل وأجهزة العسس.

ومع ذلك، خرج منهم على مراحل رجال ونساء لم يقبلوا الانحناء ولا الدوران في "قاع العلبة". ثم خرج منهم منذ عامين من لم يكتف برفض الدوران فقط، بل قرّر تحطيم العلبة نفسها كي لا يبقى أي احتمال "قاع" يتيح الاستكانة من جديد. قرّر الخلاص من الخوف. وقرّر العودة إلى الزمن، إلى الحياة التي ذُهبت سنواتها السابقة منه ومن أهله قبله. وها نحن نشهد منذ 730 يوماً كيف تحفر الأظافر السورية شقوقاً في العلبة لتُزيل جدرانها وتُجوّفها، فلا يبقى قاع ولا إمكانية دوران "أبديّ" حوله.

واليوم، بعد سنتين، لا يسعنا ونحن نراقب كيف تتآكل العلبة - السجن وكيف تُنهكها الأظافر المدماة سوى أن ننحني، إعجاباً ودهشةً، لأولئك الذين تمرّدوا وثاروا على الدوران رافضين "العادة" والطاعة ومتخطّين أنفسهم شجاعةً وقدرة أسطورية على المثابرة والتضحية.

كل عام وهم بخير. وكل عام وسوريا، ملؤها الحرية والسلام، بألف خير..

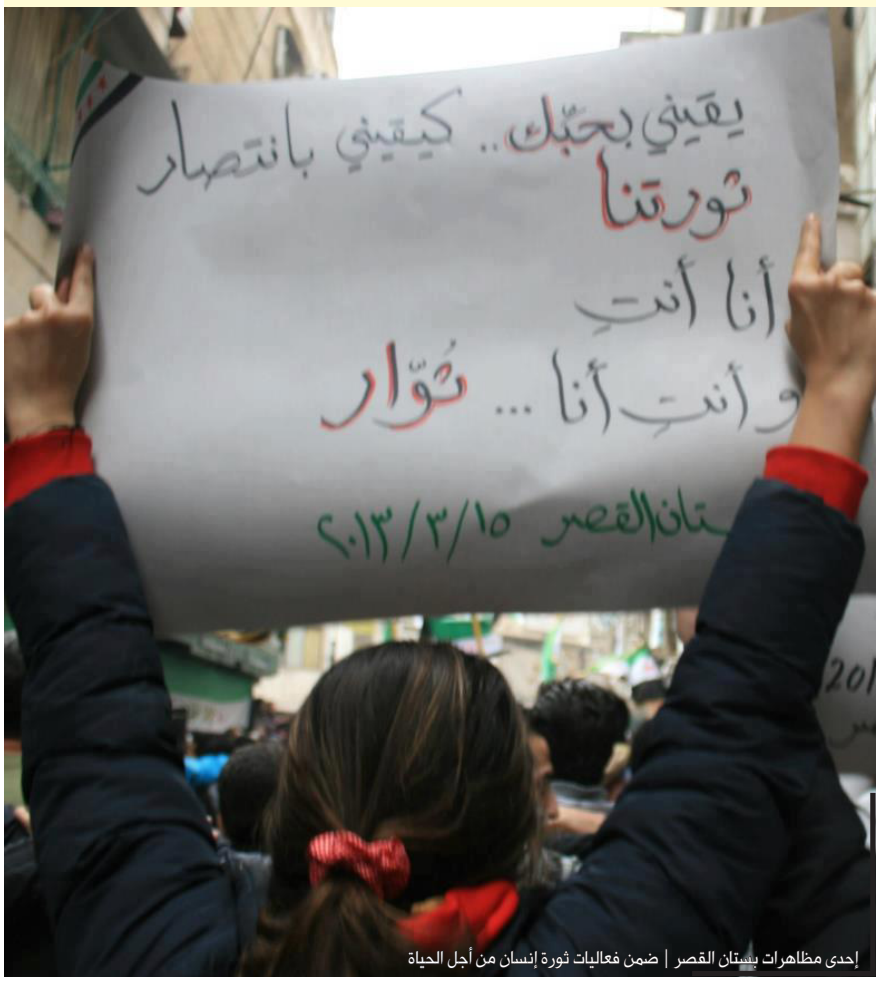

إحدى مظاهرات بستان القصر | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

مؤتمر كلنا سوريون..
لا للكانتون الطائفي.. نعم للوطن

■ بشار عبود

الرائي للواقع السوري منذ تسلم حافظ الأسد للسلطة في سوريا، لا يستطيع القفز عن مشاهدة براعة آل الأسد في أسْر الطائفة العلوية وجعلها رهينة لهم، ولا أعتقد أن اثنين على الأقل يختلفان على سيطرة آل الأسد من خلال أجهزتهم الأمنية، على مجمل الطائفة التي ارتضى الكثير من أبنائها أن يكونوا دروعاً بشرية لكرسي عائلة آيلة للسقوط قريباً.

ولا يستطيع المراقب من داخل أو خارج سوريا، أن يتجاوز نجاحات آل الأسد في إيهام الكثير من أبناء هذه الطائفة ـ مع الأسف ـ، بأن وجودهم ضمن نسيج المجتمع السوري مرتبط بوجود عائلة الأسد على رأس السلطة، وهو ما رسّخ عند البعض من الطائفة العلوية وبإيعازات أمنية، أن حافظ الأسد وابنه من بعده ليسا رؤساء لوطن اسمه سوريا بكل مكوناتها الإثنية والطائفية والمذهبية، بل أصبح النظر إليهما على أنهما رؤساء للطائفة وحسب، رغم أن الطائفة العلوية يعرفون قبل غيرهم من أبناء سوريا مستوى وحجم وتأثير وقيمة عائلة آل الأسد الضئيل داخل تركيبة الطائفة العلوية قبل حكمهم لسوريا.

وهذا بالتأكيد ما دعا حافظ الأسد إلى تهميش جميع المرجعيات العلوية ورجالات الدين التاريخيين في الطائفة وإلصاق هذه المهمة المذهبية على رجال أمن يوالون تماماً لعائلة آل الأسد، ما ساهم في تفريغ الطائفة من رجالاتها الوطنيين مثلما ساهم في تفريغ سوريا كلها من رجالاتها الوطنيين، انطلاقاً من أن النظام في سوريا لم يكن في يوم من الأيام علوياً خالصاً بالمعنى الطائفي، وإنما هو خليط من حفنة منسجمة فيما بينها من حثالات المجتمع السوري الذين تشاركوا في المفاسد الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية الدنيئة كي لا ننسى الشيخان البوطي و الحسون.

وحين تعرض النظام لأقسى هزة منذ تسلم آل الأسد صولجان الحكم في سوريا التي تكنّت باسمهم لاحقاً، لم يتمكن النظام الأسدي من تنفيذ أيّ من إصلاحياته التي وعد بها فالأمر ـ أي الإصلاح ـ ليس من صنعته، وكذلك تركيبة النظام لا تسمح بتصدير هكذا بضاعة، ولا تتيح له ممارسة سلوك ليس من أدبياته في شيئ، فما كان منه إلا أن أعاد استخدام ما تمرّس عليه أيام الثمانينيات من عنف ومجازر، وإن كانت هذه المرة بطريقة أبشع وأشرس بما يصعب على تاريخ البشرية أن تتصور مثيلا له.

ومع كل هذا التكريس للعنف ومحاولة لصقه بالطائفة العلوية، ومع كل هذا الصمت المطبق من قبل شيوخ الطائفة العلوية الذين تحولوا لرجال أمن في عهد آل الأسد، كان لا بد لرجال وطنيين ولدوا من رحم تلك الطائفة أن يفكروا في إيجاد حالة ترسّخ اللحمة الوطنية ضمن النسيج المجتمعي السوري، وتؤكد انسلاخ الطائفة بشكل كامل عن هذا النظام الأسدي الذي لا يمثلها من قريب أو بعيد، مسترجعة لحظة استنهاض الحس الوطني على أساس الهم الواحد والأمل الواحد والشعب الواحد، منطلقين من شعارات الثورة الثلاثة "حرية.. كرامة وعدالة اجتماعية".

إذ لا يمكن في ظل هذا التصعيد الخطير الذي يتهدد النسيج الاجتماعي السوري يوما بعد يوم، أن تبقى الطائفة بمنأىً عما يحدث من أهوال تهددهم قبل غيرهم، فكان أن تمت الدعوة إلى مؤتمر "كلنا سوريون.. معاً لبناء وطن للجميع"، كفرصة للتأكيد على أن جوهر الثورة السورية يكمن في الوقوف ضد الاستبداد والقمع بحق جميع السوريين بلا استثناء، ومن بينها الطائفة العلوية، التي تعرضت قبل غيرها من الطوائف الأخرى في المجتمع السوري لأقسى أنواع القمع والتعذيب والإفقار والسجون لأبنائها من قبل النظام الأسدي الذي لا يمثل في حقيقة الأمر سوى شخوص بعينها من جميع طوائف وإثنيات ومناطق سوريا، الذين باركتهم تقارير أمنية متأكدة من ولاءاتهم العمياء.

وبعيداً عن السجالات التي دارت ولا تزال حول المؤتمر، فإن انعقاده ينطلق من جملة مبادئ خلص إليها القائمون عليه ليعلنون من خلالها خلع الثوب الطائفي الذي يتستّر به النظام الأسدي، وإيصال هذا الصوت إلى الداخل السوري بكل أطيافه وتحديداً الطائفة العلوية، وهو ما يؤكد التزام المؤتمر بأهداف ثورتنا والعمل مع الآخرين من أبناء شعبنا من أجل إقامة النظام التعددي الحر البديل لنظام التسلط والاستبداد، ودولة العدالة والمساواة والقانون والمؤسسات، والتي تعتبر حقوق المواطنة الحامل الأساسي لحضارة سوريا وتاريخها الطويل.

كما يقوم المؤتمر وبوضوح شديد، على مبدأ العمل على حماية الاستقلال الوطني ووحدة سوريا أرضاً وشعباً والوقوف بوجه كل محاولات ودعوات التجزئة والتقسيم، فضلاً عن نبذ كل ما يفرّق السوريين أو يحرف مسار الثورة والنظر إلى التنوع الطائفي والإثني الموجود في سوريا على أنه وسيلة قوة وإغناء وليس ضعفاً ومهاترة.

وبدل الانتقادات التي نحترمها انطلاقاً من حرية التعبير، والتي تم توجيهها للمؤتمر، وخصوصاً من قبل بعض أبناء الطائفة العلوية أنفسهم في النظر إليه على أنه يؤسس لكانتون علوي، أو دويلة علوية، وهذا غير صحيح على الإطلاق، فإنه كان الأجدر بهم أن يساهموا وانطلاقاً من التزاماتهم الوطنية، في محاصرة النار المذهبية التي تكاد تحرق الأخضر واليابس فيما لو لم يتم إطفاءها من المنظور الوطني نفسه. ولكن مع الأسف ذهب البعض منهم لوضع الزيت على النار داخل وخارج سوريا، فمنهم من خوّنه وخوّن المؤتمرين قبل انعقاده ومنهم من راح أبعد من ذلك في تشبيهه بمؤتمر هرتزل الصهيوني، رغم أن معظم القائمين على المؤتمر وحتى المؤتمرين اكتووا بنار الأسدين وهم من رحم تلك الطائفة.

ورغم كل ما قيل عن الصبغة الطائفية للمؤتمر، انطلاقاً من الداعين إليه وصولاً إلى المدعوين الأساسيين له، فإنني أحب أن أؤكد على حقيقة أن جوهر عقد المؤتمر ينطلق أساساً من أن الصراع في سوريا هو بين الحرية والاستبداد، وحدود عقد المؤتمر لا تقل عن حدود الوطن السوري بكل جغرافيته المعروفة لنا جميعاً، حيث يصر المؤتمر على تفنيد طائفية النظام وانعزاليته من خلال أدواته التي باتت معروفة للجميع والتي يستخدمها من أجل تأبيد وجوده وعلى حساب الجميع، كذلك فإن مؤتمر "كلنا سوريون.. معاً لبناء وطن للجميع"، يعتبر فرصة حقيقية وجدية، للتأكيد على عدم قبول انجرار شريحة واسعة من السوريين وراء الطغمة الحاكمة التي تعمل وبشكل ممنهج على تقسيم سوريا وشعبها لدويلات متعددة.

إذا نجح الأسد في رفع درجة العصب المذهبي، من خلال تحييد جزء مهم وأساسي من العلويين، فإنه لن يعفي البقية الباقية منهم ممن آمن بسوريا الوطن، وهذا لا يمكن أن يتم لك بدون العودة خطوة إلى الوراء للدفع بالعامل الوطني أولا وأخيراً.

لقد دفعت الطائفة العلوية ثمن استقواء بعض أبنائها بنظام التشبيح الذي عممه آل الأسد على كل سوريا بعد أن كان الضرر حكراً على أبناء الطائفة العلوية نفسها، وساهم هؤلاء الشبيحة وحثالة المجتمع، في إيهام البقية من أبناء الطائفة بأنهم سيدفعون أثماناً باهظة من لقمة عيشهم وحياتهم، ما ساعد على تضخيم مخزون الحقد لديهم، ليسهل على النظام الأسدي استثمارهم في خطط لا علاقة لها بلقمة العيش وإنما في قضية وجودهم، ومن هنا تأتي أهمية المؤتمر المزمع عقده في تفادي كل هذه الإيهامات، وسط صمت مطبق من قبل رجالات الدين أو عقلاء الطائفة العلوية وهم كثر على أية حال.

حتى لو لم ينتج كل هذا تحوّلاً في مواقف هؤلاء العلمانيين من أبناء الطائفة الذين يقفون ضد عقد هذا المؤتمر الذي أسميه أنا بالمؤتمر الإنقاذي للنسيج السوري ككل وليس للطائفة العلوية وحدها، وحتى لو لم يساهموا في مساعدة شعبهم السوري في تأكيد حقه بالحياة الكريمة والحرية والعدالة، إلا أن هذا لا ينفي أن تتوحد الجهود من خلال هذا المؤتمر وغيره من المبادرات والمؤتمرات اللاحقة حتى لا يدفع السوريون ثمن مواقف خاطئة مهما كانت دوافعها، لأن سوريا ستبقى موطناً للجميع، وإضعاف جزء منه أو شريحة من شعبه هو إضعاف للآخرين انطلاقاً من المعنى الجوهري لحديث الرسول الكريم: إذا تداعى منه عضو تداعى كامل الجسد بالسهر والحمى.

لا يمكن الوقوف على الحياد في سوريا. الدماء التي تسيل يوميا والدمار الهائل الذي يقع، يفرض أخذ موقف، إما الانحياز للضمير الإنساني والالتزام بقضايا الحرية وإسقاط الديكتاتورية مهما كانت دعاويها القومية في المقاومة والممانعة، أو الانخراط في معركة حساباتها أبعد وأكثر تعقيدا من حدود سوريا وتحريرها من ربقة الاستبداد، وهي تضع اللاعبين الصغار في موقع صعب مستقبليا، لأنه عندما تصاغ الحلول وحتى التسويات سنكون جزءاً من مدفوعات وليس أكثر من ذلك.. فهل نكون وكلاء شرعيون عن أنفسنا في هذه المرحلة الحرجة.

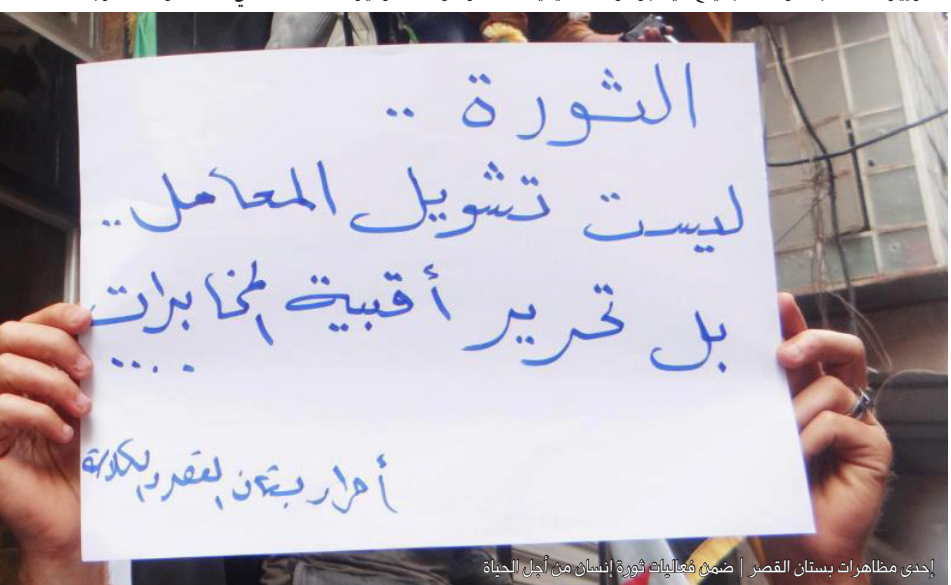

إحدى مظاهرات بستان القصر | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

إحدى جداريات سراقب | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

لا وقت للحزن ولا وقت للحياة

■ شيرين حايك

كنتُ أعتقدُ بأنني استطعتُ، و خلال عامين من الثورة و القتل اليوميّ، أن أعقدَ صفقةً نفسيّةً مع الموت تقتضي بأنّ لا يفاجأني و أن أتصالحَ معهُ ما يكفي لأن نستطيع التعامل واحدنا مع الآخر بشكلٍ يوميّ على أن يبقى هذا التعامل سطحيّ قدر المستطاع. مع هذا، كنتُ دائماً أخشى على الإنسان في داخلي أن يموت، أن يفقد القدرة على أن يشاركَ الآخرين جزءاً من آلامهم التي لا تمتّ للثورة في سوريا بشيء فبمراحل كثيرة ماضية كانت الصفقة التي عقدتها مع الموت كفيلةً بأن تجعل كلّ الأخبار السيئة التي أسمعها في الحياة تقاسُ بالمقارنة مع الوضع في سوريا حتّى تعتبر سيئة أو جيدة.

الجمعة 15 شباط 2013 مساءً، استيقظت من تلك الكذبة التي أعتقدتُ أنني عقدتها مع الموت؛ توفي أحد الزملاء في الجامعة. "ماجشيك" (1990 - 2013) أصيبَ بالسرطان في المرّة الأولى و استطاعَ التغلّب على المرض ليعاود المعركة معهُ و ينتصر الموت بينهما.

بعيداً عن كلّ مشاعري الشخصيّة المتعلقة بموت زميلٍ لن تستطيعَ الصدفة أن تجدَ لهُ شبيهاً، فقد عشتُ في الأيّام الماضية صراعاً فكريّاً مع الموت كفلسفة. الحالة التي كنتُ أعتقد أنني أعيشها لم تكن صفقة مع الموت، بل هي، ببساطة، إعتياد الموت حتّى ما عاد مفاجأة مؤلمة، و بالتالي عندما يأتي خارج السياق المعتاد لهُ فإنهُ يحافظ على المعنى الحقيقيّ للموت.

عندما ذهبتُ إلى جنازة ماجشيك كنتُ أكرر و أنا في الطريق بأنّ مشهد الموت هو جزء من المشاهد اليوميّة التي يشاهدها أيّ سوريّ يعيشُ في سوريا او يتابعُ الفيديوهات التي يتمّ رفعها على اليوتيوب.

كانَ من السهل جدّاً الحديث عن أمرٍ جلل كالموت، لكن كلّ شيء أختلف عندما وصلتُ إلى تلك القاعة المكتظّة بالصمت، كانَ هناكَ صمتٌ لا تقطعهُ سوى تمتمات البكاء. دخلتُ القاعة و نظرتُ إلى تابوتٍ مفتوح و تغيير كلّ شيء.

أقتربتُ من الجثّة، وقفتُ أمامها، نظرتُ إلى يديه، عينيه، تفاصيله. كانت كلّ ملامحهِ نظيفة و لوهلةٍ بدا لي الامر غريباً، فكلّ صور الموت القادم من سوريا مطرزة بالدم و الحجر و الرصاص و الغبار و الورد. عرفت في تلك اللحظةً أننا، كمجتمع ثورة، مهما حاولنا أن ندعي بأنّ شهدائنا ليسوا أرقاماً إلّا انهم كذلك، بكلّ ما في هذا من ألمٍ، فنحنُ نقيس الألم اليوميّ للموت حسب الرقم كبيراً كان أو صغيراً. الموت السوري لم يعد يشبه الموت. نحنُ نعرفُ في كلّ صباحٍ أنّ عدداً معيّناً من الناس في سوريا سيموت اليوم، نحاولُ أن نهيئ نفسنا قدر المستطاع على تحمّل وقع الصدمة و نصلّي لأن لا يكون بينهم صديقاً أو قريباً نعرفهُ كي لا نضطر للتعامل مع الموت المجرّد و نكتفي بالتعامل مع الموت السوري. فالموت المجرّد ليسَ حالةً يوميّة بطبيعته، إنّهُ استثناءٌ جلل يقع بين الحين و الآخر و يهزّ عرش الحزن في داخلنا كأشخاص و يعيشُ طويلاً في مفاصل الأحاسيس التي نستنشقها من داخلنا، أمّا الموت السوري فقد باتَ جزءاً من العمليّة الروتينيّة لليوم العادي، لا وقت للحزن و لا وقت للحياة!..

ماجشيك، أشعل رحيلك نجمةً جديدةً في السماء و أسميتها باسمك، أبلغ سلامي لشهداء سوريا.

ثـورة إنسان مـن أجـل الحياة
كـي نعيـش بحـرية
15 - 18 آذار 2013

■ تقرير: سعاد يوسف

تعـرف نفسـها بأنهـا مبـادرة تطوّعيّة شـبابيّة ثوريّة مسـتقلّة تهدف إلى توحيد قاعـدة العمل الثوري والمدنـي على امتداد خارطة سـوريا. انضـمّ إليها عدد كبير من تجمّعات الحراك السـلمي والثوري في سوريا. وشـارك في تغطيـة الحملة الكثير مـن الجرائد الثورية والراديوهات والصفحات الإعلاميّة.

هـذه الحملـة ذات الطابـع التوثيقـي والفني تعيد الحـراك المدني للواجهة فهي ليسـت مجرد دعوة عادية بل هي نتيجة لتعاون بين مجموعات ميدانية ومنها لجان التنسيق المحلية وغيرها وبعض الفرق التابعة للجيش الحر للتشـجيع على العمـل السـلمي والاحتفال بذكرى الثورة السورية بعد عامين على انطلاقتها.

أربـع ألوان لخصـت رؤيـة المنظميـن للحملة عبر نشـاطات عـدة، كل يوم منها يعبر يحمل رسـالة خاصة عبر نشاطات خاصة به.

اللّون الأزرق يشـكّل هويّة هذا اليوم إشـارة للّون المعتمد في شـعار الأمم المتّحـدة للتذكير بدورها في حماية حقوق الإنسان والدّفاع عن حريّته.

فـي حين تخلّـت المنظمات الدوليّة الإنسـانية عن دورها الحقيقي تحت الضغوط اللوجيسـتية والسياسية لتصبـح فـي حالة صمـت وعجز غيـر مبرّريـن أمام ما يحدث في سـوريا. توجّـه الحملة صوتها إلى الإنسـانية أجمـع لتقف معنا صفاً واحداً فـي مواجهة الظلم والعجز العالمي.

اللـون الأحمر لون شـهداء الثـورة السـورية: " ألم تشـبعوا مـن دمائنا بعد.. إلـى أين"!! رسـالة تهدف إلى دعوة عامة لإيقاف حمام الدم، إلى متى تستباح سوريا.

اليوم الأصفر "أوطاننا لا تبنى بالنكايا" رسالة لكل من يعمل للثورة السـورية للتكاتـف والتعاضد والابتعاد عـن الفرقة والتخوين فوطننا لهو أحـوج اليوم لنا لأجل البناء أكثر من أي وقت مضى ولضمان استمرارية الثورة.

اليـوم الأخضر" ثـورة الربيع ثـورة الكرامة" تطلق الحملـة في هذا اليـوم صرخة حرية علـى كامل التراب السـوري معلنة ولادة الربيع من جديـد وانطلاقة الأمل لتعيد سوريا الأجمل سوريا الحرية.

"أربع رسـائل ضمن أربع ألوان تلقفتها المجموعات المشـاركة والتنسـيقيات كل بحسـب رؤيتهـا ودورهـا وقامت بالتعبير عنها بدورها أيضا بفعاليات عدة وتتنوع بين المظاهرات والمناشير والغرافيتي وعروض الأفلام وعدة أنشطة أخرى.

ثـورة إنسـان لأجـل الحيـاة انطلقـت لتؤكـد على رغبة الثورة الأولى، تقول جفرا المتحدثة باسـم اللجنة المنظمـة للحملة: "خرجنا في البداية كي نعيش بحرية، لأجل استمرارية الثورة ينبغي أن نعيش، لأجل الوصول إلى الهدف ينبغي أن نعيش، للحرية نفسها".

مجموعات الحراك السلمي والعمل المدني الثوري المشاركة:

أيام الحرية
الحراك السلمي السوري
حبة قمح
الشعب السوري عارف طريقه
قمح
المترجمون الأحرار
أحرار بستان القصر والكلاسة
كوميك من أجل سوريا
كش ملك
أحرار ثورة الكرامة
الهيئة الإعلامية لمنطقة دوما
حركة 17 نيسان
حركة وعي - نحو الوطن الذي نستحقه
الشباب السوري الثائر
بنا تسمو سوريا
تجمع نبض للشباب المدني السوري
استوديو ياسمين بلدي
فريق ملهم التطوعي
تنسيقية الثورة السورية في ببيلا
تنسيقية بلدا
تنسيقية عامودا
تنسيقية قدسيا
جامعة حلب الثورة
تنسيقية الجلجلة
تجمع حرائر داريا
تجمع ثوار دمشق
لجان الوصل العربي الكوردي في سوريا
تجمع حبة قمح
لافتات الزبداني
لافتات كفر نبل
حيطان سراقب
عدسة من عامودا
تجمع بنات الشام
فريق تظاهر
مجلس قيادة الثورة
المجلس المحلي في برزة
تنسيقية القدموس
تنسيقية محافظة السويداء
تجمع أحرار القابون
تجمع عشرين
تجمع ثوار دمشق

حملة بخ غرافيتي في بلدنا | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

تنسيقية دوما - لجان التنسيق المحليّة
تنسيقية مدينة الأتارب
تنسيقية باتبو
تنسيقية السلمية
تنسيقية مدينة مصياف
حلب ألوان الطيف
حلاوة وزيتون - تجمع المعتقلين السوريين
بيتنا السوري
شباب مصياف الثورة
شباب السويداء الثورة
بصمة سورية
تنسيقية الثورة السورية في حي المهاجرين
كتيبة شهداء المرجة
تجمع حرائر التل
لست مجرد رقم
تنسيقية الثورة السورية في حي العسالي
تنسيقية الثورة السورية - حي دمر
تنسيقية مخيم اليرموك - الثورة السورية
حملة لست مجرد رقم
بيت قامشلو
فنون من الثورة
تنسيقية حي الميدان
تنسيقية قدسيا وما حولها
تنسيقية الثورة السورية في نهر عيشة
تنسيقية الثورة السورية في حي الزهور والزاهرة الجديدة
أحرار الشام في حي الشاغور وما حوله
تنسيقيه المزه
نجده ناو
اتحاد الطلبة الأحرار - فرع دمشق
تجمع سوريا للجميع
المركز الدولي للدفاع عن حقوق الإنسان والحريات العامة
نسيت تنسيقية مدينة الطبقة
غرافيتي الحرية
تنسيقية أريحا
حرائر التل

وبتغطية مجموعة من الإعلام الثوري السوري:

جريدة سوريتنا
جريدة سوريا بدا حرية
جريدة أوكسجين
كبريت
حريّات
سوريا فوق الجميع
أحفاد الكواكبي
فريق روح الإعلامي
مجلس قيادة الثورة دمشق
إتحاد الطلبة الأحرار
راديو الكل
راديو ياسمين الشام
راديو بلدنا
ياسمين سوريا
جريدة الغربال (كفرنبل)
جريدة ولات (القامشلي)
جريدة بصمة حلب (حلب)
جريدة ضوضاء (السويداء)
جريدة عين المدينة (دير الزور)
جريدة حنطة (السلمية)
إعلاميون بلا حدود - دير الزور
مجلة إيميسيا
مركز السويداء الإعلامي
جريده بوح الغرب دير الزور
إذاعة أنا الإخبارية
إذاعة نسائم سوريا
تغطيه إعلامية من الأورينت وسوريا الغد
مجله منبر الحرية
جريدة زيتون (إدلب)
مجلة ميسلون "المكتب الإعلامي للائتلاف الوطني

حراك العاصمة

في يوم الخميس 14 آذار خرج أحرار وحرائر دمشق في مظاهرة بشارع برنية وسط العاصمة دمشق تحت عنوان:

"ثورة إنسان من أجل الحياة" تم فيها تزيين الأرض بعشرات آلاف المناشير الثورية، وطالبت بالمعتقلين وحيت الجيش الحر ونددت بجرائم النظام.

كذلك خرجت يوم الجمعة مظاهرات في عدة أحياء وبلدات من دمشق وريفها وأكدت على مضي الثورة حتى إسقاط النظام.

قام تجمع سوريا للجميع برفع شعارات في شوارع مدينة دمشق تزامناً مع اليوم الأحمر من حملة ثورة إنسان من أجل الحياة - الذكرى السنوية الثانية للثورة السورية.

وضمن الحملة أيضا قام شباب من تجمع نبض وبالتعاون مع مجلة سورية بدا حرية ببخ غرافيتي في شوارع رئيسية من مدينة دمشق كما وزعت ملصقات في باب توما تنادي بالحرية وتخلد ذكرى الثورة.

وأيضاً قام تجمع بنات الشام بربط شرائط حمراء في شوارع دمشق إكراماً للشهداء وتم ذلك في عدد من الشوارع "الميدان، الزاهرة القديمة، الزاهرة الجديدة، شارع برنية، الطلياني، المزرعة عند حزب البعث، ساحة الشهداء، ركن الدين".

وضمن فعاليات اليوم الأزرق نفذ التجمع لافتة من كلمة "حرية " وتم ذلك ببصمات الحرائر براحات أيديهن عبر الألوان السائلة على القماش حتى إنجاز اللافتة.

الجولان المحتل وطائرات ورق

قام ناشطون برفع طيارات ورقية ضمن فعالية اليوم الأحمر حملت رسالة من أهلنا في الجولان المحتل لنظام الديكتاتور بشار الأسد تحت عنوان "هؤلاء قتلهم نظام الطاغية".. طائرات النظام تحمل الموت لسوريا وطائراتنا ذاكرة تحفظ أسماء الشهداء أسماء شهداء الثورة وأرواحهم حلقت في سماء الجولان المحتل، حيث تمت كتابة أكبر عدد من أسماء الشهداء الذين التحفوا تراب سوريا "أكثر من 33 ألف اسم"، وحلقت الطائرات الورقية من سفح جبل الشيخ.

مصر

تقام مجموعة من النشاطات منها بخ غرافيتي وتوزيع مناشير ورفع لوحات جدران سراقب ولافتات مختارة من كفرنبل ضمن وقفة في القاهرة وكذلك ضمن حفلة للفنان خاطر ضوا.

الأردن مخيم الزعتري

بدأت يوم الجمعة فعّاليات كرنفال الأمل 6 لأطفال مخيم الزعتري ضمن الحملة وقد تضمن الكرنفال فعاليات عدة منها الرسم على وجوه الأطفال ومسابقات وجوائز، كما سيتم مشاركتهم الرقص واللعب مع شخصياتهم الكرتونية المحببة على مدى الأيام القادمة.

غازي عينتاب:

جرت وستجري مجموعة من الفعاليات بهدف إيصال صوت الثورة السورية للعالم. تتضمن هذه الفعاليات معرض لمنتجات ثورية يدوية تم تصنيعها في الداخل، ويعود ريعها للداخل، توزيع كنزات تحمل شعار واسم الحملة، توزيع مجلات ثورية، رسومات على وجوه الأطفال، توزيع رسائل تضم لمحة عن الثورة السورية، غرافيتي لصور الشهداء، سكيتشات ثورية بالإضافة إلى رفع لافتات تحمل العديد من العبارات التي تتناسب مع يوم الحملة.

حملة "كفرنبل ضمير العالم"

رفع لافتة موحدة من كفرنبل فيها رسالة موجهة إلى العالم بأسره رفعت وسترفع في العشرات من المدن السورية وبلدان العالم:

"أيها العالم! عذابنا كشف أن الإنسانية التي تتفاخرون بها هي وحدها ما يجب أن تخجلوا منه"..

World! Our agony has revealed that your bragging about humanitarianism is exactly what you must be ashamed of.

كما شاركت عامودا وقامشلو بفعاليات حراك ثورة إنسان ورفعوا لافتات كفرنبل وشعارات الحملة,

كما أحيا بستان القصر الذكرى السنوية الثانية للثورة السورية بمظاهرة كبيرة جمعت كامل الأطياف والتجمعات في حلب ورفعت خلالها لافتة كفرنبل وشعارات الحملة وهتفوا للشهيد وللوطن.

الدوكس بوكس و"يوم عالمي" لسوريا:

حجب أيام سينما الواقع دورته الخامسة التي يفترض إقامتها في آذار 2012 احتجاجاً على انتهاك حقوق المدنيين في سوريا، وجاء "يوم عالمي" بديلاً لختام دورة المهرجان المحتجب والتي تتزامن مع ذكرى الانتفاضة السورية. حيث يقدم DOX BOX أفلاماً من سوريا قبل آذار 2011 وبعده، وعروضاً مختارة من يوتيوب السوريين خلال العامين الماضيين، هي "صورة السوريين لحياتهم وتعبيرهم عن أنفسهم في هذا الشرط الإنساني القاسي".

تقام عروض "يوم عالمي لسوريا ٢٠١٣" في العديد من المدن حول العالم، فمن القاهرة والإسكندرية وبيروت وعمان والدار البيضاء إلى مدن في الولايات المتحدة وألمانيا وإيطاليا وسواها العديد، كما ستقام العروض كذلك في مدن سورية محررة (لن يتم الإعلان عنها قبل انتهاء الحدث لأسباب جليّة) وللمرة الأولى في مجدل شمس بالجولان المحتل ورام الله.

مظاهرة في مجدل شمس بالجولان السوري المحتل | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

كما تترافق العروض هذه مع عروض تلفزيونية على كل من قناة آرتيه الفرنسية الألمانية وقناة العربية. وتصبح الأفلام جميعاً متوفرة حول العالم من خلال العروض الالكترونية المجانية على أقنية مهرجانات شريكة (قناة مهرجان أمستردام التسجيلي الدولي، قناة مهرجان كوبنهاغن التسجيلي، وقناة تحالف التسجيلي – دوك أليانس).

ففي الجولان المحتل تعرض في مركز فاتح المدرس للفنون والثقافة، مجدل شمس، مجموعة من الأفلام يوم 17 آذار، وقد كتب القائمون على الفعالية على موقع الفيسبوك: "يوم عالمي لسوريا 2013 سيقدم مجموعة أفلام سورية قصيرة بالإضافة إلى مجموعة من لقطات الفيديو التي صنعها المواطنون السوريون أنفسهم. سيكون عرضاً استثنائياً في المتعة والألم والأفق المفتوح من خلال اختيار مجموعة من لقطات الفيديو المصنوعة والمعروضة على يوتيوب من قبل ناشطين ومواطنين سوريين خلال العامين الماضيين.

حققت سوريا مرتبة متقدمة جداً على اليوتيوب خلال عام 2012 حيث تم تحميل أكثر من 300 ألف فيديو وحققوا ما يقارب 350 مليون مشاهدة من جميع أنحاء العالم، مما صعب رؤية الجمهور الدولي لما هو مميز وأصيل من بين هذه الكمية العملاقة من المقاطع خاصة مع وجود حاجز اللغة.

برنامج "يوم عالمي لسوريا 2013" سيتألف من مجموعات من لقطات اليوتيوب تحت ثيمات محددة تظهر بمجملها المواطن او الناشط وهو يوثق لحظات لا تنسى من تاريخ الشعب السوري في العامين الماضيين".

وفي بيروت تعرض عدة أفلام في ميترو المدينة منها "صباحاً أخاف مساء أغني" للمخرجتين سلمى الديري وورولا اللاذقاني، "أربعة أسئلة مع كاسة شاي" للمخرج إياس مقداد، "دمشق قبلتي الأولى" للمخرجة لينا العبد و"ميلاد مجيد" للمخرج الشهيد باسل شحادة.

أما الإسكندرية تشارك هي وفنانيها في إقامة أيام سينما الواقع لمشاركة السوريين ودعمهم في ثورتهم وتذكيراً بأن الثورات تحيا بالشعوب وتنتصر للإنسانية جميعاً وتأكيداً على دور الفن والثقافة في دعم نضال الشعوب في نيل حريتها وكرامتها الإنسانية. حيث سيتم عرض أفلام مختارة لعدد من صناع السينما والنشطاء السوريين وعدد من مقاطع الفيديو وكذلك ستقام عدة نقاشات وجلسات حوار حول الفن والثورة السورية والتنسيقيات السورية المحلية بالإسكندرية وشهادات حية وتجارب وأمسيات فنية.

وفي القاهرة تقام عدة عروض في "مصرين" يوم الأحد 17 آذار، كذلك في إيطاليا يوم 15 آذار.

كما تعرض على قناة "آرتيه" عدة أفلام ضمن " يوم عالمي لسوريا على التلفزيون".

كرنفال الأمل لأطفال مخيم الزعتري
ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

مهرجان طيارة ورق | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

الشعب يريد.. أصبح عمرها عامان

■ شام داود

فاشوش بستان القصر في حلب

حانن للحرية حانن لسوريا التي ترفع لافتاتها وأعلامها وتغني في عرس ثوري غير مسبوق، عمره اليوم عامان، عامين من تعانق الأكتاف والأنفس، عامان من صعود للأرواح إلى السماء في عرس شهيد، عامان من الفرح والحزن والقيامة السورية.

أهازيج الثورة السورية وأيقوناتها، وأيضاً حكاياها. تروي عن شعب أراد الحرية، غنى لها، كتبها وصلى لها مراراً وتكراراً ولم يزل يغني في معبد سوريا الأجمل.

هذه الأقصوصة تتحدث عن الفرح في "الثورة" السورية، حيث لا يمكن للأخطاء أو العثرات أن تكون فرحاً.. هي لا تعدو كونها نقط سوداء تزيد من الفرح إنسانية " ثورتنا كانت سلمية يا غصن الزيتون".

ارحل بشار عندما خط أطفال درعا بعض كتابات متأثرة بالربيع العربي في شباط منذ عامين ونيف.. لم يتخيل أحد في سوريا أن بطش النظام وتعنت بعض شخصيات مسؤولة في درعا ستقود إلى قيامة سورية تحمل شعلتها من درعا وسط الرصاص وتمتد إلى سوريا بأكملها من أقصاها لأقصاها.

تتوالى الجمع الثورية وتتوالى أسماءها، يجمعها على امتداد الأراضي السورية هتافات تشق عنان السماء ومظاهرات لا تنتهي، بدأت بخجل وتسارعت حتى وصلت في جمعة ما إلى أكثر من 900 نقطة تظاهر. "أكثر من 700 ألف متظاهر في ساحة العاصي"

بين مظاهرات لا تكاد تتجاوز العشرين ثانية إلى مظاهرات تمتد يوماً كاملاً في ساحات سوريا، إلى اعتصامات تصل ليل سوريا بنهاراتها. تشهد عودة الثورة إلى القلوب، إلى الواجهة، يخرج الكثيرين في مختلف المدن السورية ليكونوا جزءا من التغيير المحتمل "الشعب يريد إسقاط النظام".

ما حصل وما يحصل خلال الثورة السورية سنتمكن من فهمه بعد أعوام عدة، وبالتأكيد ليس الآن وما تزال راجمات الصواريخ يتردد صداها في أرجاء المدن السورية ويرصد سكانها صواريخ سكود تطلق باتجاه شمال لم يفرح بعد بحريته، ويكاد صوت الرصاص يخنق ما تبقى من مظاهرات وحراك مدني يسعى أن يؤكد أن الثورة هنا في سوريتنا وأن التحول إلى العمل المسلح لا يعني بالضرورة أننا فقدنا مدينتنا وأصواتنا. تلك الأصوات التي تزدحم بها تفاصيلنا بكلمة "كرامة".

"الشعب السوري ما بينذل" تلك القيامة، لن تركع كم نحتاج من الورق، وكم نحتاج أيضا من الهواء السوري كي نعيشها أيضاً وأيضاً.

العمل المدني عودة العمل الطوعي إلى الواجهة

هؤلاء الشباب أنفسهم ضمن المساحة نفسها، عادوا اليوم ليجدوا أنفسهم أمام المواجهة مع الرصاص والقمع متراصين درئا للعنف وللتهجير والتجويع، ينظمون أنفسهم في تجمعات إغاثية وتجمعات طبية وغيرها، يعملون لتوفير المأوى والملبس والدواء والغذاء لناس لم يشاهدوهم قط في حياتهم، لنازحين أو قاطنين في نفس الشارع الذي طرقوه يوميا طوال حياتهم، يشاركون الماء القليل مع رفاق الزنزانة، ويختلفون معهم أيضا على بضع من خبز أو مساحة للنوم، يتجادلون حول السياسيين والمنطق والفقه والكتب والشخصيات، يتحاورون حول المبادئ. "ياسوري وينك وينك".

هذا العمل المدني الغير موجود في سوريا ما قبل القيامة سوى بتوجيه من السلطة وبرعايتها للترويج لشخوصها وسياستها المنقوصة والمريضة وكثير من حالاتها لتبييض أموال فاسديها.

ولد العمل الطوعي وعاد ليتصدر المشهد أيضاً، آلاف القصص والحكايا المنقوصة التي لا نعلم عنها شيئاً لكنهم هم يعيشونها بدقائقها وإنسانيتها اليومية وأحياناً كثر أوجاعها أيضاً وإحساس بالعجز يخنقها في أحيان أخرى.

هذه القصص ما يزال أمامها الكثير كي تحكى وتروى، وكي تندثر أيضاً، فهي لا تعدو كونها "إنسانية" نعيشها دون أن نعي أننا كنّا لها فاقدين في يوم من الأيام قبل القيامة. "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد".

الرأي والرأي الآخر

تفسح المظاهرات الكثير من المساحة كي نقول ما نريد، كي نناقش ما ستكون عليه سوريا، كي نرفع لافتاتنا التي توحد والتي تفرق أيضاً، كي نسمع صوتنا للآخر القريب والمختلف أيضاً. "كاذب كاذب الإعلام السوري كاذب".

كما أعادت الثورة السوري لقرى سوريا ومدنها روابطها، كذلك اليوم تعيد لها تفردها وحضورها وفي وسط التنافس والمناطقية والتعصب الذي ترسخ خلال سنين القمع، يعيد المتظاهرون اكتشاف أصواتهم وسماعها، تعري هذه الثقافة الجديدة من حرية التعبير مساوئنا وأمراضنا وتكشف لنا ما لدى الآخر من ألق ومن تشابه أيضاً.

عائدون

مشاهد العنف والدمار التي تفيض بها حياتنا في كل تفصيل ما، حاراتنا التي اندثرت، أهلنا الذين فقدنا، أصدقاءنا الذين رحلوا، قلقنا على القريب أو الحبيب المغيب في سجون الموت، كلها لا تغدو كونها تفاصيل أمام قيامة الثورة السورية، هذا الألم يزيحه بثوان أهزوجة واحدة، أو عرس أو دبكة ثورية ما على الحطام والدمار، يقف شباب كفرنبل بلافتات ساخرة من الإنسانية فوق مناطق القصف "أردوغان شفناك فوق وشفناك تحت"، ويعيد خطاط سراقب الحياة لجدران هدتها "ميغ" عنوانها موت. "كلما حاصرنا الموت، ابتكرنا الحياة" فوق ذاك الحطام يكتب علها تتحدث أكثر عن حياة من سكنوها يوما ما.

يحتفل شباب الرقة بموت الطاغية "يلعن روحك " ويرسمون على أشلاءه "باجر أحلى"، تتراشق الصبايا في العاصمة الزغاريد وهن ينثرن المناشير وروداً خلال ثوان، يتحدين القصف المتردد في جنبات دمشق بإرادة لا تهزم "بدنا المعتقلين بدنا المعتقلين"

ترتفع أصابع الأطفال بإشارة النصر أمام زوار المخيمات ونظرات غير مترددة، تغني الأم على قبر وليدها وهي تستودعه شهيداً لدى باريه "أم الشهيد كلنا ولادك"، ويدندن شباب الجيش الحر أغاني الساروت والقاشوش، "وسوريا بدها حرية"، مستنداً إلى سلاحه وحالماً باليوم الذي يستعيد فيه كونه إنساناً.

تغني نسمة للجموع في الباب في حلب "ثورة عز وحرية"، وينشد ما تبقى من الدرعاوية أغان تراثية على وقع الدبكة المحلية لرجال أضناهم طول الطريق وأحياهم نور الحرية "يا حمص درعا معاكي للموت ". ويشدو قاشوش حلب الصغير بصوته الدافئ "حرّ حرّ حرية نحنا بدنا حرّية".

تلك المظاهرات من قامشلو إلى الجولان المحتل، هذه الأغاني من اعتصام الساعة إلى ساحة العاصي إلى الصليبة وبانياس، إلى سهول تفاح الزبداني، إلى مسائيات دوما، وتحدي عنب داريا، إلى أعمدة معبد بعل التي تصمد تحت القصف، وأغاني حلب التي لا تزال تتردد أصداءها في أحياءها القديمة، إلى بابا عمرو الحاضرة دوماً، والخالدية الخالدة، وأجراس كنائس الحميدية، وآباء قدسيا وجسر دير الزور المعلق وكرتونتها الصاخبة. هذا المسرح. هذه الغنائية.

سوريا بالألوان في لافتاتها وفي مظاهراتها، تظاهر أم مقاومة؟ أيهما أهم فكرياً ومعنوياً "وهي شرعيتك سقطت عنّا".

يبدو لي اليوم بعد عامين من الكثير من الحراك أن التظاهر مقاومة والمقاومة استمرارية للتظاهر بحد ذاته.

التظاهر لا يعني بأي حال من الأحوال فوضى، هو حالة من التعبير تطلبها الشعوب "أي شعوب" لإعادة الحرية والحق إلى مهده الأول، لتعيد خلقه من جديد، هو مقاومة كي لا تغدو الدكتاتورية والاستغلال هي القاعدة، والحريات استثناء.

لا بد أن لسوريا من اسمها نصيب ولتاريخها أيضاً

عادت الحقوق والرأي لتكون حاضرة على مائدة السوريين اليومية مع قهوة صباحاتهم، في خيامهم وفي نزوحهم وفي قلقهم المترقب صوت الرصاص القريب..

لا بد لسوريا أن تحيا، لا بد لسوريا من أن تكون.

يبقى لنا أن نأمل أن يكون هذا العرس هذه الثقافة، هذا الفكر، راسخ في كل ما يخص السوريين في غدهم، في مطالبهم في دولتهم في شؤونهم، أن يغدو عرس حرية الرأي هو ما يزيّن جباهنا وعقولنا تحت أي ظرف.

وشدو الهمة الهمة قوية شعب بينده للحرية.. يا حرية هيلا هيلا..

عامان من الإعلام البديل في ثورة الحرية السورية

■ شام داود

ليست الحرية أن تختار بين الأسود والأبيض، الحرية هي أن تبتعد عن الاختيارات المحددة مسبقاً

"تيودور أدورنو"

عود على بدء

يبدو من الصعوبة بمكان تلخيص عمل الأعلام في الثورة السورية خلال عامين من العمل الثوري المكثف لإيصال ما يحصل في سوريا على صعيد الحراك الثوري والسياسي ومعارك الثوار مؤخرا. والأصعب أيضاً أن تكتب عنه بتلخيص دقيق وهو قد استهلك عامان من العمل والمشاهدة والترقب من قبل العالم بأكمله بمختلف تطلعاته لسوريا.

سوريا الثورة التي بدأت بالنسبة لكثيرين منّا بمقطع على اليوتيوب قام بتصويره بكاميرا هاتف محمول ما عرفوا بعد مدة بنشطاء إعلام الثورة السورية.

لا يخفى على الجميع محاولة النظام السوري منذ البداية التضييق على عمل الإعلاميين وشباب الحراك الثوري ومنع خروج التقارير الصحفية ذات الخبرة ومنع دخول الصحافة الحرفية تقوم بنقل الوقائع بحيادية وبالتالي كي يسهل عليه حرف الوقائع وتكذيبها وضخ البروباغندا المعارضة لها من قبل إعلامه الموجه بشكل كبير لتلميع صورته لدى الغرب والعالم العربي وتجنيد المزيد من الموالاة حول آلة القتل المبرمجة لمدة أربعون عاما من قبله.

أين نحن اليوم من هذا الإعلام الذي بدأ كضرورة وكانطلاقة لصوت السوريين المكبوت والمقموع لأعوام من آلة المخابرات السورية التي لا تسمح لأي رأي كان أن يخرج من نطاق سيطرتها خوفاً من الترويج لمفاهيم يمكن لها أن تقلب النظام السوري من مطالبة بحقوق وحريات وتعبير لا يعجب الطغمة الحاكمة والمستفيدين من الحكم بديكتاتورية يصفها اليوم أغلب المراقبين والكتاب بديكتاتورية غير مسبوقة، ونظام يقتل شعبه بشهوة دموية للقتل دون رادع أو رقيب

هذا الإعلام نفسه الذي تحول خلال عامين إلى شبكات إعلامية تكاد تغطي كل شارع وكل حارة على الأرض السورية وجرائد وإذاعات مبشرة مختصة وإخبارية وموجهة وغير موجهة ومستقلة وغيرها.

يكاد هذا الزخم الهائل والتعطش الإعلامي يعكس تماماً مدى الفقر التعبيري الذي كانت تعاني منه سوريا على صعيد أربعين عاما من حكم الأسد الأب وبعده أثناء حكم الوراثة لابنه بشار الأسد.

الثورة السورية التي فرضت نفسها على المشهد الإعلامي العالمي بفضل جهود ما يسمى بالمواطن الصحفي، عبر مدونات وصحافة انترنت ومواقع التواصل الاجتماعي في تعطش لنقل الحدث، لنقل المشهد وأحداث يومية يتلقفها السوريين وغيرهم بشغف لا مثيل له.

بالإضافة إلى دورها الأساسي في توثيق جرائم الحرب والانتهاكات الممارسة من قبل النظام تصعد اليوم تلك الوسائل الإعلامية متخبطة كي تكون نواة للإعلام السوري في محاولة لإعادة تشكيل مؤسسات الإعلام دون قيد ودون شرط ضمن ظروف عمل وخبرات منقوصة لشباب أنهكت الحرب الدائرة منهم الكثير وغيبت بعضهم في المعتقلات وفقد العديد منهم حياته ثمنا لمشهد أو فيديو مظاهرة سواء تحت التعذيب أو في الشارع السوري.

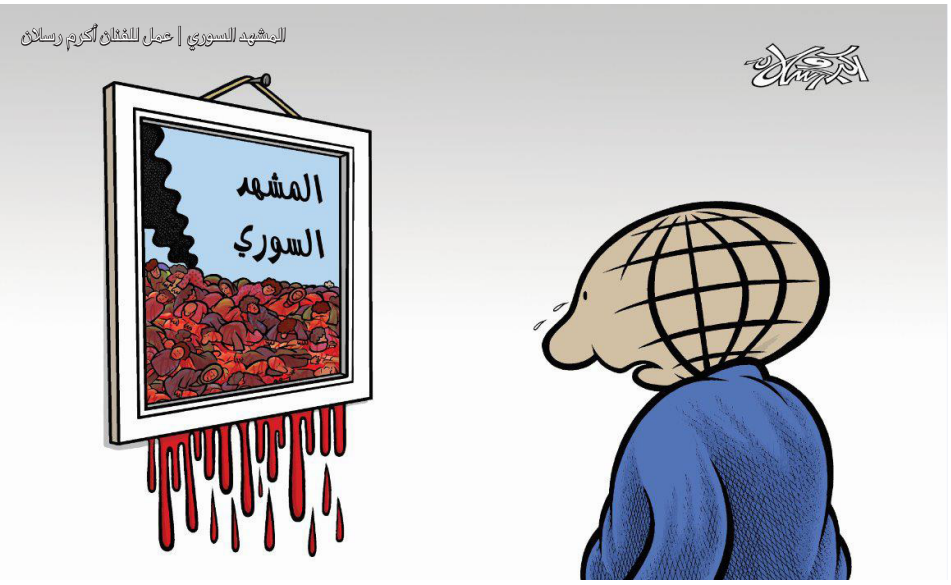

استقلالية وحرية أم لا رقابة

تكاد الساحة السورية اليوم تعج بأكثر من أربعين مطبوعة ثورية ولدت من رحم الحراك السوري وآلاف المدونات وأكثر من عشر راديوهات على الإنترنت وفضائيات تعمل كل منها بظروف متنوعة لا يمكن تلخيصها بمقال ولا يمكن تعميم تجربة أي منها على الأخرى.

هذه الوسائل التي تعمل وفق قدرات كل فريق وكل مجموعة بعضها نجح بتأسيس مشروع كامل له تصور ورؤية وهدف وبعضها ما يزال يعمل بطريقة التجميع آملاً أن تتحسن الظروف كي ينطلق بوضع أفضل.

يكاد ما يجمع بين هذه المجموعات هوة الاستقلالية والحرية وسط ظروف الحراك الثوري وكهدف أساسي من أهداف الثورة فانطلقت الأقلام لتعبر عما يدور في خلد الكثيرين وليفسح المجال أمام كل سوري لينشغل في العمل الكتابي، ويعيد بدوره للصحافة ألقها الأول كوسيلة لإيصال الرأي وكمؤثر مباشر في القراء والشعب السوري سواء عبر إعلام مطبوع أو بصري أو مجرد فيديوهات تصور من قبل هواة لتوثيق مظاهرة أو عمل مدني أو فعالية ما.

هذه الحرية والمجال الذي أتاحه الفضاء الافتراضي والرغبة في المشاركة في الثورة عبر الإعلام هي ما جعلت من هذه الوسائل الإعلامية خطوة جبارة ضمن المشهد السوري المهمش على مر السنين.

هذا الإعلام نفسه إذ يتجه اليوم نحو مشاريع رائدة في مجال الإعلام بخطى متعثرة وغير واضحة المعالم في كثير من الأحيان يصطدم اليوم بعوائق عدة، التناقض بين محاولة إيصال صورة ما يحصل، أو نقل إنسانية أو دموية البعض أمام شرف ومواثيق العمل الصحفي الدولية والعالمية، وحيادية العمل الصحفي التي تطلب من خبرات الصحفيين التحلي بالموضوعية والعمل على نقل ما يحصل على كامل الأرض السورية دون تعديل، هذا العمل الصعب للغاية وخصوصاً من قبل المواطنين الصحفيين الذي ينخرط غالبيتهم في الحراك الثوري وفي الثورة السورية على أكثر من صعيد ولا يتمكن في كثير من الأحيان بالتحكم في انفعالية أو مبالغة أو رقابة من المجموعة التي تحيط به وتعرقل عمله كصحفي.

انعدام الرقابة أيضاً فسح المجال أمام الكثير من الاختراقات تحت شعارات حرية الرأي وفرض مفاهيم وحالات غريبة عن المجتمع السوري وقراءات لا تخلو من بروباغندا مضادة للنظام السوري لا تعدو كونها بروباغندا ومبالغات لا تساهم في تثقيف أو توعية أو إيصال معلومة بقدر ما تساهم في الإيغال في حالة الانقسام والتفرقة كنوع من التجييش ضد الموالاة وترسيخ مفاهيم انتقامية وطائفية.

كما أن نقص الموارد وظروف العمل السيئة ساهمت بتسرب بعض المستفيدين من وجود هذه الوسائل الإعلامية ضمن الحاضنة الشعبية للثورة كي تقوم بنشر أفكارها والترويج لبعض من التكتلات والمتسلقين على حساب العمل المدني لشباب ثوري لا يبحث عن شهرة أو اسم بقدر ما يبحث عن منبر لإيصال فكر أو مساعدة أو حالة ما تساهم في دفع أهداف الثورة قدما.

إعلام موجه ونخبة غير كافية

هذا الإعلام نفسه تم استغلاله من قبل وسائل إعلامية كبرى تبحث عن السبق الصحفي وتبحث عن زيادة عدد متابعيها فقامت أيضاً بتشويهه عبر سرقة مقالاته ونسبها لنفسها ولكتابها وتحريفها أحيانا تحت ستار حرية الرأي كي تقوم برسم تصورها الخاص للثورة السورية أمام جمهورها.

إعلام الثورة اليوم الذي يقف عاجزاً بدوره أمام انتهاكات مورست ضده من قبل وسائل إعلام كانت البارحة تتدافع على أبواب سوريا لتحصل على تغطية ما. أو تترفع عنها بشكل أو بآخر من تعتيم أو تضخيم لبعض الحالات وتهميش بعضها الآخر وفقاً لأجندات أو توجهات مالكيها.

بالإضافة إلى تعرية صحافة سورية غير مهنية تتجلى اليوم في بعض المثقفين والكتاب المترفعين عن إعلام الثورة وتكاد لا تساهم به إلا بالقليل من وقت وجهد لا يفي الثورة السورية حقها من التزام وانخراط لمثقفيها في بناء إعلام متماسك يقوم بدوره في سوريا التي يتشدقون بما ستكون عليه في صحف عربية وغربية وقنوات عالمية بذريعة إيصال الصوت السوري إلى الخارج وتجاهل تام للسوريين العاملين في وسائل إعلام الثورة بزخم وحب وإخلاص من صميم العمل الثوري نفسه.

في الصورة: نقيب الصحفيين العرب وصاحب جريدة الأيام الدمشقية نصوح بابيل مع جميع العاملين بجريدة الأيام في دمشق عام 1936. عمل نصوح بابيل صاحب جريدة الأيام نقيباً للصحفيين في سورية من عام 1943 حتى اغلاق جميع المطبوعات وتراخيص الصحف من قبل مجلس قيادة الثورة يوم 8 آذار 1963.

من أرشيف الصحافة السورية

كي لا نظلم الكثيرين من المتعيشين من الكتابة، لا بد من أن نذكر أن الشباب السوري اليوم لا ينفك يتطلع نحو نخبته ويطلب منها الدعم والتوجيه، والأهم يطلب منها أن تكون له رافداً متواضعاً أمام تضحيات لا يمكن لها أن تقدر بثمن أمام ضرورة إيصال الصوت والفكر أي كان.

كما أن الشللية والانغلاق في الأوساط الثقافية السورية تجعل من العمل الجماعي في هذا المجال صعباً للغاية بين نخبة وهواة أو نشطاء وجدوا أنفسهم في موقع نقل الحدث وخصوصاً أن الصحافة السورية المكبلة عبر عقود بقيود غير مرئية حولت المنشغلين فيها إلى أفراد تجد لها مأوى في صحف عربية ومواقع محجوبة في سوريا جعلتها بعيدة عن القارئ السوري والمواطن السوري البسيط.

يضاف إليها شبه انعدام في خبرات إدارة العمل الصحفي وتحسين وتطوير إستراتيجية الإعلام والوسيلة الإعلامية ووضع رؤى وتصور واضح لها وخطط مرحلية ومستقبلية تساهم في تطوير عملها ودفعها قدماً كمؤسسات وليس كوسيلة ناجزة للضرورة الثورية.

ماذا نريد من السلطة الرابعة اليوم؟

الإعلام والصحافة لدى النظم الديمقراطية وأنظمة قائمة على الحريات وحقوق الإنسان يتعارف عليها باسم السلطة الرابعة، هذه السلطة التي تقوم على أسس نقل المعلومات ونشرها وتداولها والعمل أيضاً كرقيب مساند لسلطة القضاء في كشف الانتهاكات وتسليط الضوء على قضايا تهم الرأي العام الداخلي لشعوب الدول التي تنتمي لها وأيضا تساهم في انفتاح شعوب الدول على بعضها البعض والتعريف بثقافاتها وحضاراتها ولغاتها أيضاً.

في ظل انحياز وسائل الإعلام الغربية لاحتكارات عالمية وارتباط الإعلام في العالم العربي بأنظمة ديكتاتورية حاكمة في غالبيتها كما هو حال الواقع في سوريا يبقى سؤالنا اليوم في ظل الربيع العربي الغائم منذ عامين ونيف تظلله إشارات استفهام كبرى تجيب عليها الثورة السوري في واقع كسر جدار الصمت وفسح المجال لحريات التعبير والرأي والصوت كي يصل إلى مختلف أطياف الشعب. هذه السلطة نفسها برغم كونها سلطة إلا أنها ينبغي أن لا تخشى من العوائق في مجتمع يحترم القوانين ويعمل بموجب دساتير تحفظ لكل ذي حق حقه أيا كان في جو من ثقافة الحق والواجب من دولة تجاه مواطنيها ومواطنين تجاه دولتهم وبيئتهم ومجتمعهم، كما لا ينبغي على ذي حق أن يخشى منها بدوره.

في سوريا الثورة بينما لا يزال اليوم إعلامها يلعب دوراً أساسيا في توثيق انتهاكات النظام وبطشه لا بد منا أن نذكر أن الإعلام في سوريا الغد ينبغي أن ينتقل من حالة كونه وسيلة كي يكون هوة الغاية نفسها وعاملاً فاعلاً في المجتمع السوري إن كنا نرغب لهذه الثورة أن تحقق أحد أهم أهدافها وصرختها الأولى ألا وهي "الحرية".

في هذه المعادلة الصعبة للانتقال من عمل إعلامي وتغطية لأحداث يومية إلى دور فكري وثقافي وسياسي فاعل وعامل في مجتمعاتنا نطرح كثيراً من التساؤل حول غياب عمل مؤسساتي فاعل اليوم عن الساحة السورية في مجال الإعلام بعد كل هذه المدة وتراكم الخبرات.

ولا شك أن للمصالح والتجاذبات السياسية دور أساسي في تعثر مثل هذه الخطوة الجبارة برغم الجهود واستمرارية عمل النشطاء على واقع الإعلام وتهافت المنظمات اللاربحية لدعم إعلاميي الثورة ورفدهم بخبرات هم في أشد الحاجة إليها.

كما أن الحاجة للتمويل والموارد والتطوير المستمر يجعل من الكثير من إعلاميينا فريسة سهلة للحكومات والجهات التي ترى في سوريا كبش فداء ومورداً لكتابة تقارير سنوية حول عمل فاعل في مجال حقوق الإنسان هو لا يعدو في الكثير منه سوى هدر للطاقة والموارد في غير أماكنها الصحيحة واستغلالا لحاجة الكثير من السوريين اليوم لأبسط مقومات العيش كي يصنعوا لنفسهم مجداً على حساب دماء تسفك يومياً ولا تزال تسفك لصحفيين لا نعلم عنهم شيئاً.

ليست هذه حالة نادرة أيضاً ضمن السوريين أنفسهم، يتهافتون على موارد الكسب السريع إعلامياً وصحفياً ويعتبرون من الثورة السورية حالة أخرى لمشروع يبتعد بالعمل لسوريا دولة المؤسسات أكثر عن الهدف. ويطيل عمر الصراع الدائر ويجعل من خطوات إنشاء مؤسسات "سورية" مستقلة وفاعلة عملاً أكثر صعوبة وأكثر كلفة.

مستقبل حرية التعبير

ما يملأ نفوس السوريين اليوم من أسى وهم يراقبون تحول المشهد السوري اليوم في الإعلام الغربي إلى مشهد هزيل يكاد لا يعكس سوى واقع دمار وحرب قائمة وتضخيم لمعارك في أغلبها مجرد اشتباكات عابرة مقابل نقل إنسانية الكثيرين وعملهم الدؤوب وتضحياتهم من مدنيين وجيش حر على السواء والاستمرار في تنميط ممنهج لصراع طائفي بين نظام مسيطر على السلطة وإسلاميون ذو توجهات طائفية ومتطرفة وتناس مقصود لمعاناة شعب بأكمله وسط حصار لا ينتهي.

يقابله في الوقت ذاته استمرار النظام السوري على ضخ إعلامه ضد العنف وضد المتشددين وكأن العامين الماضيين من حصار وتجويع وتهجير كانا من فعل مجهول، ويتابع تكريس هذه الفكرة لدى داعميه في الداخل والخارج على حد سواء تحت ستار ممانعة لم يعد يخفى على احد مقدار زيفها وريائها.

الثورة السورية تتطلب منا الكثير من الإخلاص والكثير من العمل، لا شك أن بعض العاملين اليوم في وسائل إعلام الثورة هم من المخلصين ومن يشكل بالنسبة لهم إصدار مطبوعة مستقلة حرة أو إذاعة أو غيرها حلماً أتاحت تحقيقه الثورة السورية لدى انطلاقتها.

إلا أنه لا شك أن انخراط الشعب السوري الثائر بغالبيته في العمل الإعلامي هو أكبر محرض وأصدق دليل على أن الثورة السورية إن لم تكن من مؤسسي إعلام حر بحق، على الأقل ستشكل لدى الكثير من إعلاميي المستقبل نواة وركيزة أساسية في عمل الإعلام على صعيد سوريا وعلى صعيد العالم العربي أيضا.

هذا الشعب الذي راقب عن قرب وسائل إعلامية عدة قادمة وذاهبة ومسيطرة ومحورة ومتسلقة وصادقة وحرة، هؤلاء الناشطين أنفسهم الذين رافقوا صحفيي الوكالات العالمية وانتظروا بصبر تقاريرهم المحورة منها والصادقة على حد سواء.

نكاد نجزم اليوم أنهم بهذا العمل الجبار وحده وبقدراتهم البسيطة ولصوقهم بالمشهد السوري المؤلم والفرح على حد سواء هم الأقدر على تحديد ملامح إعلام الغد. وبقدر ما نقلق ونعتبر أن طرق حرية التعبير ما تزال مملوءة بالكثير من الحفر وهذا ما يتجلى اليوم ببعض التجاوزات ضد الإعلاميين في المناطق الواقعة تحت سيطرة الثوار في كثير من الأحيان، إلا أن النشطاء أنفسهم يعودن كي يؤكدوا أن الصوت قد ارتفع يوما في آذار 2011 ولن يخمد أبدا تحت أي سطوة وأي مواجهة كانت.

الإعلام هو هوية الدولة، هو صوتها، هو قوانينها، هو دساتيرها، هو أطيافها ومعتقدات شعبها وحضارة أوليها، الإعلام هو صوت مهمشيها وصوت فئاتها أجمع من صغيرها وكبيرها، هذا ما نقرأه اليوم في المشهد الصحفي السوري وهذا ما نريد له أن يكون مستقبلاً، ثقافة ومنبر لحرية الرأي تدافع دوما عن حق الشعب بقول كلمته والدفاع عن هذا الحق في دولة تعلي شأن الفرد فيها أمام الظروف التحديات وسط احترام متبادل للآراء والحريات وضمان عدم تعدي أي كان عليها وتحت أي مسمى.

استعير ختاماً قول غاندي عن حرية التعبير: "إن المجتمع الفاضل يقتضي تبادل الثقة بين أفراده وتوفير حرية القول والرأي، وإن البحث عن الحقيقة يقتضي الاعتراف بأن الحقيقة الكاملة ليست ملكا لشخص معين أو طبقة معينة أو جنس معين، وأنه ما دامت آراء الناس جميعا جزئية وليست شاملة مطلقة وجب أن يتمتع كل شخص بحرية التعبير عن وجهة نظره بالرفض والمقاومة".

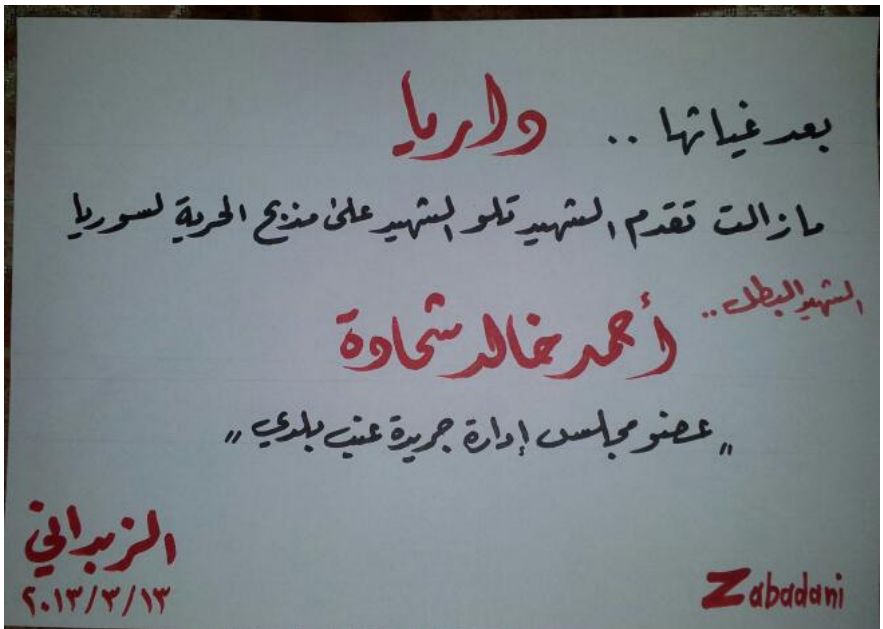

سنتان من عمر الثورة السورية العظيمة.. ذكريات لا تنسى

■ زليخة سالم

لن أنسى ما حييت اللحظات التي شاهدت فيها فيديو مظاهرة الحريقة (الشعب السوري ما بينذل) على إحدى المواقع الالكترونية وأنا خارج سورية قفزت من مكاني لم أصدق أن الربيع وصل أخيراً إلى سوريتنا، مشاعر اختلط فيها الفرح بالخوف من القادم لأن من يعرف هذا النظام يدرك جيدا عواقب الثورة عليه.

وكان قد سبقها إقدام أطفال درعا الأبطال بالكتابة على جدران مدارسهم (الشعب يريد إسقاط النظام) وتم اعتقالهم وتعذيبهم بوحشية لا مثيل لها لتأتي مظاهرة الحميدية في 15 آذار واعتقال عدد من المتظاهرين والمتظاهرات واعتصام أهاليهم في اليوم التالي أمام وزارة الداخلية.

وفي مظاهرة جمعة الكرامة 18 آذار من درعا بلد الكرامة اندلعت الثورة بارتقاء الشهيدين البطل حسام عياش والبطل محمود الجوابرة بعد أن واجه النظام المتظاهرين السلميين بالرصاص الحي لتتدحرج من مدينة إلى أخرى ككرة الثلج لتشمل كل أطياف الشعب السوري وفئاته وإن بنسب مختلفة.

مواجهة التظاهرات السلمية على مدى ستة أشهر بالرصاص والمدافع ساعد باتساع نطاقها لتشمل كل بقاع سورية، وبدلاً من التوجه لإيجاد حلول سلمية تحقن دماء السوريين فقد صعد النظام من دمويته ومجازره مستخدماً كافة أنواع الأسلحة وصولاً إلى البراميل المتفجرة وصواريخ سكود في ظل صمت وتواطؤ عربي ودولي مؤيد للنظام كان جلياً منذ البداية.. ما دفع إلى تسلح الثوار لحماية المتظاهرين وللدفاع عن الأهالي وإيقاف هذا القاتل المفلوت من عقاله، وما هيأ البيئة الملائمة لدخول مقاتلين أجانب من إيديولوجيات مختلفة للقتال في سورية علماً أن البعض منها استقدمها النظام وزرعها بين الثوار لتشويه سمعة الثورة وحرفها عن مسارها.

وبالتوازي مع العمل العسكري يصر الثوار على استمرار مظاهراتهم السلمية التي تحولت إلى يومية بدلاً من أسبوعية في الكثير من المناطق الثائرة، يخرجون من تحت الدمار والقصف نساءً ورجالاً ومن كل أطياف الشعب ليؤكدوا للعالم (الذي يعلم جيداً ويدير وجهه عن الحقيقة) بأن الشعب السوري أراد ثورته سلمية والنظام الساقط أجبره على حمل السلاح.

كنا ندرك أن وهج الثورات ستصل إلينا لأننا الأكثر حاجة إلى اقتلاع الظلم والاستبداد وأنها ستكون الأصعب لأن النظام (الإخطبوط) زرع أذرعه الفاسدة في جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية وأسس جيشاً لحمايته وليس لحماية الوطن وعمل على مدى تاريخه على تهميش وقتل واعتقال كل من يعترض أو يفكر مجرد تفكير بالاعتراض على استبداده

وكنا نعلم أننا سندفع ثمن صمتنا غاليا ولكن تفكيرنا وخيالنا لم يصل إلى هذا المستوى من الإجرام والحقد والقذارة والوحشية وللآن لم نستوعب أي حقد وغل يحمله هؤلاء أشباه البشر ممن كنا نعيش معهم كأهل.

أولى وأهم انجازات الثورة هو كسر حاجز الخوف وتعرية نظام المقاومة والممانعة وحلفائه وعهر المجتمع الدولي ودول الغرب التي ارتكبت جرائم في عدد من الدول بذرائع مكافحة الإرهاب وتطبيق الديمقراطية وحقوق الإنسان وهي تتغاضى عن أعتى الأنظمة شراسة وإرهاباً وانتهاكا لحقوق الإنسان والإنسانية لمصلحتها في تدمير سورية وإنهاكها لعشرات السنين لتأمين استقرار ربيبتها إسرائيل.

فجرت الثورة الإبداعات الكامنة أو المغلولة داخل شبابنا في مختلف المجالات

وأظهرت مدى وعيهم السياسي من خلال لافتاتهم وشعاراتهم وأعمالهم الأدبية في القصة والشعر والرواية، والإبداعات المسرحية وأناشيد الثورة واللوحات ورسوم الكاريكاتير وغيرها من الأعمال، وخلقت عدداً كبيراً من الإعلاميين والإعلاميات الميدانيين والمصورين الذين نقلوا بدقة وموضوعية صورة ما يجري على الأرض إلى العالم أجمع ووثقوا بالصوت والصورة حجم الجرائم التي ارتكبها النظام، وأصدروا الصحف والمجلات الإلكترونية والورقية المميزة والتي نافست وتفوقت في سنتين على ما كان يسمى إعلاماً سورياً خلال أكثر من خمسين عاماً.

سنتان على عمر الثورة ومازال العديد من الناس لا يصدقون أن من استكان أكثر من نصف قرن رفع رأسه ليتنسم عبير الحرية ويعيشها بجوارحه لأنهم لم يروا شبابنا الأحرار يتحدون القمع بصدورهم العارية وبعزم لا يلين على إكمال الطريق مرددين اللّه سورية حرية وبس.. الموت ولا المذلة.

حاول النظام ومنذ اللحظة الأولى إضفاء طابع الفتنة الطائفية على الثورة وأدعى أنه حامي الأقليات متناسياً المجزرة التي حرض على ارتكابها في السويداء عام 2001 والمجزرة التي أرتكبها بحق أهلنا الأكراد عام 2004.. إلا أن الشعب السوري العظيم أثبت أن حضارته وتاريخه ووعيه أعمق وأكبر من أن يجر إلى اقتتال أهلي أو طائفي على الرغم من بعض الحوادث المتفرقة هنا وهناك التي حصلت كرد فعل على همجية ووحشية النظام وساعده في ذلك بعض الكتائب التي زرعها بين الثوار.

تحقق الحلم أخيراً وانفجرت الثورة لتطال شظاياها السوريين بطريقة مختلفة فمنهم من أيد الثورة منذ اللحظة الأولى وشارك فيها ومنهم من وقف على الحياد ورأى فيها مجرد انتفاضة على الأوضاع الاقتصادية متناسين حجم القهر والاستبداد والاستغلال الذي مورس على السوريين جميعا باستثناء أزلام وأتباع النظام من جميع الطوائف، والقلة ممن عارض الثورة هم من أصحاب المصالح ببقاء مناخ الفساد أو ممن تلطخت يده في دماء أهلنا أو أموالهم ويدركون أن في انتصار الثورة نهايتهم.

وتنسحب هذه الحالة على الكثير من المثقفين الذين كانوا يبررون حيادهم بتكرار تبريرات النظام نفسه بأنها ثورة سلفيين وعصابات مسلحة ومؤامرة كونية علما أنهم كانوا بالأمس القريب يدّعون معارضة النظام ويظهرون كأبطال بين المستكينين وأمطروا الثورة بانتقادات خلت من أي فهم للتاريخ ولحركة الشعوب والتي كانت تصب لإثبات وجهة نظر مؤيدة وليس لتصويب مسار الثورة.

سنتان من قتل عشرات الآلاف وممارسة أبشع وسائل الإجرام واعتقال مئات الآلاف والتعذيب والاغتصاب والتدمير وتهجير الملايين داخل وخارج سورية والاختطاف ونهب البيوت وحرقها ويقف احدهم ليقول هذه ليست ثورة ليبرر للنظام أعماله الإجرامية هذه، وليكشف القناع عن ضحالة الكثيرين وسلبيتهم.

خرج علينا الإعلام الرسمي وأبواق النظام ومنذ اليوم الأول بوصف المتظاهرين

كلمة حرية تجمع بنات الشام | ضمن فعاليات ثورة إنسان من أجل الحياة

الشعب السوري.. مو جوعان سِوَى لِحُرّيته

■ نجم الدين سمّان

لـم يهتف السـوريون من أجـل الرغيف.. لأنهـم زرعوا القمـح قبل 10 آلاف عـام؛ وهم الذين كانوا يُطعمون حكوماتهم التي تسـرق جُهدهم بالفساد والرشوة وخطط اشتراكية الحزب الواحد الخمسيّة الرديئة.. ثم بعد مافيا الفساد الحكوميّ.. جاءتهم مافيا الأسرة الحاكمة لتخطف الاقتصاد والمجتمـع والحكومـة ذاتها؛ وحين هتفنا: الشـعب السـوري.. مو جوعان؛ كنّا نردّ على مستشـارة الطاغية؛ التي اعتبرت "مَكرُمَة" رفع الرواتب كافية لانصراف الناس عن المظاهرات السلميّة التي خرجـت تُطالب بإصلاحـاتٍ جذريّة؛ فردّ عليهـا النظام بالرصاص الغـادر وبالاعتقالات؛ حتى رفع السـوريين سقف شعاراتهم إلى حدّ إسـقاط النظام الذي يقتلهم؛ لأنه ليسَ بالخُبزِ وحدَهُ.. يحيا الإنسان؛ وليسَ لأجلهِ

وحدَهُ.. يموتُ برصاصِ الطُغَاة.

نعم كُنّا جَوعَى ولكن.. للحرية؛ بعد خمسـين عاماً من اختطافها بالانقلابات العسـكرية التي لها مجالسُ "ثورة" بشـعاراتٍ فَضفَاضَة وخُلّبيّة؛ ومن ثَـمّ.. اختطافُهَا بالتوريث من الأب للابن؛ وكأنّ سوريا قد باتت.. جمهوريةً ملكيّة!!.

نحـنُ جَوعَى.. لعدالة توزيع الثروة الوطنية؛ وجَوعَى لانتخابات برلمانية ورئاسـية حقيقية؛ ولحريّة التعبير؛ ولحريّة تأسيس أحزاب ونوادٍ ثقافية وفنية؛ ولصحافةٍ حُرّة؛ ولحقوق مُتساويةٍ بين المرأة والرجل؛ ولِنَسفِ الفسادِ مِنْ جذوره؛ وللخَلاص من مافيا العائلة الأسديّة الّتي استولت على ثُلثيّ الاقتصاد السـوريّ الرسـميّ وشـاركت رجال الأعمال في رأس مالهم من غيرِ أن تدفعَ قرشاً واحداً.. سِوَى وصَايَتَها.

لـم نكن جَوعَى للخُبز وحـده؛.. لأنه ومنذ الرومـان كانت الإمبراطوريـات الغازية وحكوماتنا سَـواءً بسَواء.. تستبيح قمحنا القاسي الأسمر مثل صبرِنَا ولونِ بشرتنا.. بأبخس الأسعار؛ وكذا.. تشـتريهِ حكوماتُ الثـورة القوميّة الاشـتراكيّة؛ وحكومَاتِ الاقتصاد المفتـوح عَلى اللصوصيّة؛ لتشتري لنا قمحاً مُنتهيَ الصلاحية.. ليس فيه سوى النشاء؛ بل.. وتَخلِطُهُ بالشعير؛ وهي تتمنّى أن نتحوّل إلى مُجرّدَ حيواناتٍ مُجترّةٍ ومُدَجّنةٍ ومُطيعَةٍ لحاكمها الأوحد؛ فإذا ماتَ بعدما قد تأبّـد فـي حُكمهِ؛ فلابنه من بعدِهِ.. أيضـاً؛ وربما.. لحفيدهِ على طريقة كوريا الشـمالية.. لو لَم تَصدَحَ حناجُرنا:

الشعب السوري.. مو جوعان / سِوَى لِحُرّيتِه.

بالمندسين ثم بالسلفيين وبعد ذلك بالعصابات المسـلحة والجهاديـة مكرريـن أن سـورية تتعرض لمؤامرة كونية تسـتهدف نظـام المقاومة والممانعة وهذا لـم يمنعهم من الدعوة لاحقاً إلى الجهاد لإنقاذ النظـام عبر أبواقـه الدينيـة والذي أتضـح لاحقاً أن المؤامرة الكونية تسـتهدف الشـعب السوري وتدعم بقـاء نظام القتـل والإجرام، وأمعـن إعلاميو النظام بتزوير الحقائق وتشويهها واستمرار الكذب وتضليل النـاس إلا أن إعلاميـي الثـورة كانوا لهـم بالمرصاد لكشف أكاذيبهم وتضليلهم.

المعضلـة والعائـق الحقيقـي في هـذه الثورة كانـت المعارضـة التقليدية التي فاجأتهـا الثورة كما فاجـأت النظام بنفس القدر والتي سـاهمت بشـكل أو بآخر بإطالة أمد الثورة حيث بدت معارضة مشـتتة ضعيفة ومتناقضة تكيـل الاتهامات لبعضها البعض ومنهـم من أراد قبض ثمن معارضته سـابقاً ومنهم مـن أرتهـن لدول تريـد أجنـدات خاصة لهـا بتمويل كتائب محددة على حسـاب العمل العسكري الجماعي والموحـد ومنهم كما في كل الثـورات العربية يحاول سـرقة الثورة وتعطيل أي اتفاق يمكن أن يرتقي إلى مستوى تضحيات ودماء الشعب.

فـي البدايـة كانـت تصرفاتهـم مبـررة نتيجة التصحر السياسـي الذي عاشـته سـورية خلال أكثر مـن نصف قـرن إلا أن سـنتان كانـت كافيـة لإعادة حسـاباتهم ومجـاراة الثـوار علـى الأرض طالمـا أن الهـدف الأول والأهـم بالنسـبة للجميع هو إسـقاط النظام وإعادة بناء سـورية القانون والحرية والعدالة وطنـاً لكل السـوريين، وعليهم أن يدركـوا أن ذاكرة الشعب قوية وحاضرة وأن سـورية الحرة لن يحكمها إلا صناديق الاقتراع.

احتضن الشـعب بعضه البعض وكان للكثير من رجـال الأعمال والمغتربين مواقف مشـرفة في دعم الثـورة وتمويلهـا إلا أن هذه الصـورة الوردية تخللها صـور لتجـار الحروب الذيـن وجدوها فرصـة للإثراء على حسـاب أهلهم، واسـتغلال حاجتهـم وهجرتهم من بيوتهم واستغلال الفوضى التي تعم البلد نتيجة سقوط النظام وتمترسه خلف القوة العسكرية فقط، وصور أشد قسـوة لبعض الكتائب المتشددة وخاصة فـي المناطـق المحررة مـن قتل وخطف لناشـطين وأطبـاء فقط لأنهـم يخالفونهـم الـرأي ويرفضون أساليبهم في فرض إيديولوجيتهم قسراً على الناس تنفيذاً لأجندات الدول الممولة مثل قطر وأخواتها.

إن حتميـة انتصـار الثورة وتغيـر موازين القوى علـى الأرض يجعـل سياسـات بعـض الـدول ممـن يسـمون أنفسـهم أصدقـاء سـورية متأرجحـة بين مؤيد للتسـليح ومعارض لها بانتظار قرب السقوط.. وبيـن داعـم للمعارضة وفق شـروطه وبين متخوف من سـقوط الأسـلحة بأيدي المتشـددين الذين في معظمهم صنع أميـركا.. وتناقض هذه المواقف كان أفضل هدية للشـعب السوري الذي يحقق انتصاراته بنفسه مهما طال الزمن.

الثورة السـورية العظيمة التي أسقطت الأقنعة عن التحالفات الدولية العلنية والمستترة وعن الدعم المنسـق للنظام من قبـل أميركا وإسـرائيل وإيران وروسـيا وعن زيف الإدعاءات الدوليـة بالديمقراطية وحقـوق الإنسـان، سـتكون نقطة تحول فـي تاريخ المنطقـة والعالـم كما كانـت الثورة الفرنسـية في حينها.. وسـتكون سورية المسـتقبل منارة للشعوب المقهورة.

لـن ننسـى أول من انشـق عن نظـام العصابة المجند البطل وليد القشمعي والمقدم البطل حسين هرموش.

لن ننسى أطفالنا الشـهداء تحت التعذيب حمزة الخطيب وتامر الشرعي.

لن ننسـى المعتقلات والمغتصبـات والمعتقلين والجرحى والمهجرين والنازحين.

لن ننسى شهدائنا من الأطفال والنساء والرجال والشـيوخ الذي رووا بدمائهم الزكيـة الطاهرة تراب سوريتنا ليزهر حرية وكرامة.

أفكار بسيطة عن النجاة

■ محمد أبو لبن

I

كفاي يحملان نهديك
يموجان شهوةً
بينما بلادٌ بكاملها تغيّر عناوين سكانها.

أرى الشهوة لحظة نشأتها
وحياً قادماً من بعيدكِ..
ثمة شعبٌ يرثي زمانه تحت قوس التاريخ.

لشهوتكِ صوتٌ وإيقاعٌ
من أول ترددٍ في تنفسكِ حتى امتداد الآه..
الحقيقة ترفٌ أمام معضلة النجاة من القصف.

الموج يعلو ويصطخب بروائحنا،
أولُ رذاذكِ زبدُ البحر على أصابعي..
للفناء رواةٌ وطللٌ واهٍ لن يقُصُّوا بعده يقين الحياة.

تأخذني مياهكِ،
بعيدكِ قُربي، ولا أصرخ:
كيف ننجو من خذلان الموت؟
هل من أثرٍ هناك في النهاية؟
إن جملةً خُطّت على جدارٍ مثقّبٍ
تُولِّد الخوفَ من تردد المعنى:
"إنه ينظر إليكِ، وسيجدكِ يوماً"

II

عينٌ دقيقةٌ على لحظة حياة
تكفيها لمسةٌ ناعمةٌ محترفة..
وبعدها
لن تجد في اللغة صوتاً
كالسير على حطام البيت.

قناصٌ على سطح
قائد الطائرة المقاتِلة
أو صاحب صدفة التفجير..
طرقاتٌ وعابرٌ
ما عادا يعرفان بعضهما من أول خطوة!
معالم المكان مهدمةٌ،
وحده الموت يحفظ خريطته الجديدة.
حيٌّ هاربٌ..
يُمسِك نَفَسَه
ويُنصت.
لإن أمسكه هنا
ليس حوله سوى الهدم ليُسفح عليه.

دمٌ ناعمٌ لامعٌ
يُفلت من أصحابه
على إسفلت شارعٍ مغلق.
أمٌ حائرةٌ بأولادها!
كيف تبعدهم عن جهة موتها؟
وكيف تُوسِّع ظلها لتخفيهم عن الكاميرا؟

شاعرٌ خلف شباك
خياله قميصٌ خفيفٌ على هذا الطقس!
يتعلم الخوف عارياً
يَضُجّ باضطراب الإيقاع وتصاعده
بصوت الغضب الأعزل مقطعاً بالرصاص..
..
الريح تُخفي وتُظهر
كالضوء،
كإستعارة متقنة تقترب نحوه..

III

اتركي أصابعكِ النحيلة على أي شيء يحفظ رسمها،
انحناءات الأغطية والوسائد تحت جسدك،
ما تخطّينه على هوامش الأوراق والمناديل،
قبلةً على كتفي قبل أن تمضي..
في الليل متسعٌ لقراءة الأثر
شهادةً أو حدساً أو بوحاً مرتبكاً
غموضاً شفيفاً..
أغطي به فجاجة اليأس ونشرة الأخبار

عمل للفنان غريب قادري بعنوان الشهيدة

وصوت عمق الهاوية.
أرقب بعده معنىً ما لكل هذا العنف،
للحظة انكسار الزمان الصلب،
للمسة الهلامية على الخيال الأول.
أعتذر بلا ندم حادِ النصل
لصورٍ لم ألتقطها،
لمواعيد لم تنقضِ،
لأسرارٍ منتهية الصلاحية،
للحياة قبل قليل
وهي تُغلق الباب خلفها..
للناس،
وللحكايا الفائضة عن حاجة التاريخ.

في الليل متسعٌ للتمني..
يمر الوقت الفتيّ أمام امرأةٍ؛
أصغر من عمرها،
تنحت القسوة ملامحه،
وتضرب الحياة لحظاتِه بالقشعريرة..
حدس المرأة في الرجل الكامن أمامها
ضبابٌ عما كانت ستقول له
لو أُمْهِلَت حتى يكبر الفتى..
امرأةٌ تدخل في الضباب
تُضيئها معجزةٌ
تُكمل متعتها الناقصة.

في الليل متسعٌ لأقنع نفسي بالنجاة..
أهرب من قاتلي
من انطباعه العاطفي على جثتي،
غضبِه ورائحة سلاحه،
تعبِه ورذاذ عرقِه المالح،
خيال غريزته مفتوح الحدود،
ومن صورة خوفه
يتركها عليّ..
أهرب من ضحيتي
من صورتي وحيداً مع الموت
أمامها..
زئبقٌ ما أحسه
أقلّبه فيمّحي
هناك في الجهة الأخرى معنىً
كلما اكتمل اختفى!
ألف خطوةً في الفراغ،
الواحدة بعد الألف
في الفراغ أيضاً
هكذا..
حتى اكتمال الهوس!

في الليل متسعٌ لأكون..
الآن؛
كأن قبله أو بعده
فراغٌ في الزمن!
هنا
في العتمة؛
شاعرٌ وحيد
لا يميّزه عن الليل
إلا حدسه فيه.

سلّم مكسّر الدرجات

■ ياسر خنجر

يتلعثمُ التاريخُ من فرطِ التشابُهِ
في مَداهِ المُنكسر.
أخطأتَ فكَّ نُبوءَتي
- يا سيّدَ الحَرب - وأخطأتَ الرهانَ،
لا تُدرِكُ الأشياءُ في غَيهَبِ
الجَسَدِ المُدلّى من رُموشِ النَصّ،
قَبلَ تَفَتُّحِ الرؤيا،
ولا تؤتَ المعاني عبرَ مُديَتِكَ المُخَضَّلَةِ.
فاقرأ رسائلَ من أتوكَ بحَرفِهم،
وانطق بغَير سيوفِكَ
حينَ تتلو الشمسُ بَسمَلَةً على وجهِ الصباح.
مَهورةٌ بالدمع بعضُ سُطورنا،
والبَعضُ بلّلَها الدمُ.
يا سيّدَ الحَربِ ألَم تَقرأ عيونَ الطفلِ شاخِصَةً
إلى أفقٍ يَفضُّ شِراكَ لعبَتِكَ؟
ألَم تَقرأ شِفاهَ امرأةٍ
وقَفَت تُشيّعُ مَن ثَقَبتَ سماءهُم برماحِ سَطوَتِكَ؟
طويتَ عُبابَ زُرقَتِهِ
وظَلّ بيَقظَةٍ يَستَدرِجُ الحلمَ،
ما شئتُ يوماً أن أعودَ إلى أنايَ
فُتاتَ أمسٍ مُثقَلٍ بالخَوفِ من نَصلِ التثاؤب،
لكنّهُ الوَقتُ،
لكنّهُ الوَقتُ يُغافِلُني قليلاً
ثُمّ يَجتَرُّ احتِمالاتِ الوصايَةِ كُلّها.
لا يأبَهُ الوَقتُ لرَغبَتِكَ الدَفينَةِ في حطامِ الروحِ،
لا، لا يأبَهُ الوَقتُ لأدراجٍ مُكَسّرةٍ،
فقَد دَرَّبتَهُ أن يَصعَدَ القلبَ طواعيَةً
إلى ما يَشتَهي من هاجسِ المَعنى.
سَجيّتَهُ لهاثُ غارقٍ في الغَيبِ،
يا سيّدَ الحربِ،
فهَل تقرأ؟
مَنسيّةٌ في عتمةِ الوَحي يداهُ،
أساورَ قَلبِهِ موغِلَةٌ بالرنينِ،
تؤرّخُ كُلَّ نشازٍ
نافرٍ في سيرةِ القلب.

رُسل آرتس

لذكرى 15 آذار؛
ذكريات فايسبوكية بلهجة سورية

■ يحيى جابر

1

أي ثورة في العالم القديم والحديث رفعت شعارا بليغا شفافا من مثل "صمتكم يقتلنا".. الشعب السوري يريد وقف إطلاق النار عليه ووقف إطباق الصمت حوله.

2

الإحباط من ثورة شعبية أشرف وأنقى وأغنى من انتصار نظام نخبوي استبدادي.. الكابوس ممر إلزامي لنستيقظ من منامات الديكتاتور..

3

الموضوعي السمج يبدأ جملته " بغض النظر عن المذبحة أو العنف الذي يرتكبه النظام.. ولكن.. "كم أكره غضّ النظر.. العمى بقلبك وعينيك.. وبي رغبة لأفسخ" لكن "من لسانك.

4

يحدث في شارع الحمرا.. أن تمر سيارة بورش حمراء اللون وعليها نمرة سورية وسائقها اللاجئ ينظر شزرا لطفل سوري لاجئ يبيع الورد الأحمر.. ثمة فرق بين لاجئ بأمواله ولاجئ بوروده..

5

المثقف الحساس المرهف ينزعج من صراخ امرأة كسورية على مشارف الولادة.. يصمّ أذنيه ويبلع لسانه.. شعب يولد.. ومثقف يتوحم.

6

يجب أن أصدق أن أطفالا سوريين ماتوا من الجوع والبرد في مخيم الزعتري.. يجب أن أصدق أن نار المذفأة ونار المطبخ تصرخ بألسنتها " لا ذنب لنا إنه العقل البشري العار.. النار تلتهم الأطفال وهم يحلمون بالنار

7

وسألت نفسي.. ما هي مصلحتي بالوقوف مع الثورة السورية وأخواتها؟.. لاشيء!.. لأن التعلق بالشيء يعني العبودية.. اللاشيء بالنسبة لي يعني الحرية.. اللا شيء يعني الروح.. يا سورية حرية الروح لأجل روح الحرية

8

ويجمعون شمله أطفال حمصيين في تابوت مفتوح.. بانتظار أمهم الحمصية التي دخلت في الغيبوبة لتسأل روح زوجها الحمصي القتيل هل أنت في انتظارنا.. قريبا ويجتمع شملنا يدا بيد. وبعدها أقفلوا باب التابوت.

9

كل ثورة لا تستفيد من أخطاء وخطايا ثورات سبقتها من مثل "الثورة في خدمة الثروة".. ستصبح الثورة كالروث تحت عجلات التاريخ..

10

حلل ولا تناقش: هل الشعب السوري أول شعب تسلح في الوجود؟.. وهل الشعب السوري عاشقا للعنف منذ طفولته وكان يتوالد ويولد وفي فمه كلاشنكوف..؟..

11 ..

احترمني.. احترمني.. أنا إبن ذلك الرحم الراحم الرحيم.. احترمني.. يا بلا رحمة كأنك مولودا من مؤخرة وليس من رحم.

.. الثورات ليست فقط لقتل الأب المستبد.. وإنما لوقف قتل الأرحام.. هي معركة بين الرحيم والرحيم

سينتصر الاحترام على الاحتقار.. سينتصر

12

كذب من قال أن العالم صار قرية صغيرة.. دمشق تنادي ولا أحد يسمع.. العالم خربة كبيرة

13

الموت من فعل اللّه.. القتل من فعل الإنسان.. إنهم يقتلون حتى الموت يا اللّه.

14

أصل الثورة أولاد درعا..
لا تسكن الحرية سوى في منامات الأطفال الصغار والأطفال الكبار..

15

منذ أربعين سنة والنظام البعثي يتحضر لتحرير الجولان.. وكانت ساعة الصفر ليلة 15 آذار 2011 في تلك الليلة قام الشعب العميل عدو الداخل و بثورته كشف الخطة للعدو.. الموت للشعب العميل

16

لا تورّثوا الندم لأولادكم.. لأن جبان اليوم.. مغرور اليوم.. صامت اليوم.. سيلعنه ابن الغد وحفيد ما بعد بعد الغد.

17

الاستبداد ليس رجلا.. الاستبداد فكرة.. ليس المهم إسقاط المستبد عن شجرة النظام.. المهم قلع فكرته من جذورها.. وأحيانا.. من عاشر قوم المستبّدين صار منهم وفيهم.. احذروا فنون الاستعارة وأدوات التشبيه..

18

والذين يهتفون للزعيم بالروح والدم لماذا لا يضيفون له البول؟

19

يمكنك قطع الإنترنت ولكن ماذا ستفعل بالهواء.. من يخنق الهواء سيلف الهواء حباله حول رقبته.

20

المدينة التي رايحة على الثورة غصباً عنها بلاها وبلا ثورتها.. والريف اللي نازل يدمر مدينة ويسميها ثورة بلاه وبلا ثورته..

21

قبل الثورات كنا نشم رائحة كريهة ونتأفف فكان النظام يعطر الجوّ قليلا.. وحين انفجرت الثورات كأنها مجارير الماضي انفتحت.. جورة خرا.. هذا خرانا من المحيط إلى الخليج. فلتنفتح كل الحفر العميقة.. لابد من سنكرية وسبّاكين وعمال مجارير لهذا الماضي السحيق العميق بالروائح الكريهة.. سيمر زمن طويل ليعود الياسمين والقرنفل والجوري.. سنحفر ونعزّل وننظف لنستقبل عطر المستقبل..

22

المثقف الشعبّوي والمثقف النخبّوي العربي يلبسان من ثوب واحد هي" الانتهازية".. من مثقف الرثاثة الفائضة إلى مثقف الأناقة الفضفاضة. كلاهما لا ينتظران ثورة ولا يشاركان بها.. ولكن لحظة النصر هما أول الواصلين للتهنئة.. أعوذ من المثقف المُلتبسي الإبليسي اللبيسي التلبيسي.. لا فرق مثلا بين أدونيس وعلي الديك..

23

حبيبي يسوع في مجزرة أطفال في دير العصافير.. هي فرصتك لتعود وتلمسهم وتشفيهم.. ألست حبيب الأطفال؟.

24

بعض الكبار حين ينهزمون يحتجبون مثل ديغول فيكبرون أكثر.. و الكبار حين ينتصرون يتواضعون وينسحبون كمانديلا فيكبرون أكثر وأكثر.. أما هنا حين ينتصرون أو ينهزمون لا يتواضعون لا ينسحبون فيصغرون ويصغرون ويصغرون..

25

الثورات لا تعرف فن الأتيكيت.. ولا تعترف بآداب المجاملات والضيافة والمائدة واللبس.. هل رأيتم يوما ناراً تلبس ربطة عنق أو بحراً يطوف يرتدي بدلة رسمية أو مطراً يأكل الأرض بالشوكة والسكين.. الثورات كالمولود طازة من الرحم نحبه رغم خراه وبوله وصراخه من مغص أو من وجع أسنانه ونومه العميق العميق العميق على صدر شعبه.

26

وتقول الأساطير أن آدم وحواء هبطا في بلاد الشام وتحديدا في جبل حرمون.. جبل الشيخ.. ونصبا أول خيمة لجوء.. وأن قابيل قتل هابيل على قمة جبل قاسيون.. وسميت الموقعة "دم شق " أي دمشق..

27

كل ثورة لا تعتذر عن أخطائها اليوم هي ديكتاتورية غداً.. هكذا علمنا البارحة..

28

نقرأ الثورة السورية كمانشيت على الصفحة الأولى من الجريدة العالمية.. ولا نعرف التتمات في الصفحات الداخلية.. تابعوا التتمات من التمتمات.. شفاه لا تنام من تمتمة أسماء قتلى البارحة.. شفاه لا تنام من ذرف الحروف.. سوريا مهد الأبجدية أهز سريرها.. ويلا تنام ويلا تنام بين الشفاه واللسان.. تمتمات..

29

المستحيل يقف حائرا من الذين يدقون بابه الآن.. يفتح الباب ويسأل من أنتم؟ يجيبونه"أيها المستحيل نحن أولاد الميدان! نحن شعب الأبد..

30

وإن تخفّي الديكتاتور تحت قبعة أو عمامة أو تاج أو بيريه أو كوفيه أو قلنسوة أو طاقية.. الحرية حين تهبّ رياحها ستخلع وتخلع وتخلع وتخلع..

31

كل ثورة لا تستفيد من أخطاء وخطايا ثورات سبقتها من مثل "الثورة في خدمة الثروة".. ستصبح الثورة كالروث تحت عجلات التاريخ..

32

يا غبي.. قبل أن تعتقل عود الثقاب وتستجوبه.. كان عليك أن تنتبه لهذا القش الجاهز للحرائق.. من يبّس البشر والشجر والحجر لا يحق له اتهام الشرّ..

33

أنا الافتراضي أفترض.. إذا كان صديقي أنقذ حياتي مرة ماذا أفعل به إذا أقفل الباب على أولاده الصغار وراح يضربهم أمام أمهم العاجزة حتى الموت طفلاً طفلاً طفلة طفلة.. سأندم على اللحظة التي أبقاني فيها على قيد حياة لأسمع صراخهم وطرطقة عظامهم.. سأخلع الباب لأنقذ سورية وأولادها..

34

النجم الصديق السوري والذي اختلفت معه بعد الثورة شاهدته في الحمرا.. وقال لي "معقول يا يحيى ادفع ثمن الشقة المفروشة 3000 دولار بالشهر" قلت له "وين" فدلني على اسم بناية شقق مفروشة فخمة وهي ملك أحد النواب الوزراء الممانعين. قلت له "ولكنه يعرفك كنجم ويعرف موقفك مع النظام "الممانع " كيف يأخذ هذا المبلغ" قال "لا أعرف" أجبته ضاحكا "أعتقد هذا المبلغ سيعود ريعه للمجهود الحربي ضد إسرائيل"..

35

عن السلفيات والأصوليات: كل مجتمع يخجل من ابنه المعوّق عقليا أو جسديا أو دينيا ويخفيه أو يتحاشاه أو يلعنه أو ينكر أبوته له.. هو مجتمع مريض بمرض عضال لا شفاء له يدعى "ما خصني".. هؤلاء المعوّقين بأفكارهم هم أولادنا فلذات أكباد أفكارنا البالية عن الدين والدنيا.. اعترفوا بالمرض والمريض أولا وثانيا افحصوا أنفسكم كناقلين للوباء..

36

للمذعورين من الاختلاف والمدلوقين بمصطلح الربيع الثوري. الربيع درس في الديمقراطية اللغوية.. وردة واحدة لا

تصنع ربيعا. لا تخافوا من تعدد الأصوات.. إنه السلم الموسيقي في سيمفونية من نحاسيات المدن إلى تايات الريف.. ومن كورال إلى تراتيل إلى همهمات.. قليلا وينفتح المشهد السوري صوتا وصورة وعطرا.. أصل اللغة صوت وصورة.. ملاحظة أنا لا أحب فصل الربيع.. يقبرني الخريف..

37

يسألها ديمقراطياً للحرية " أحبكِ هل تتزوجيني "تقول له" نعم قبلت بكَ "وبعد العرس يبدأ بالاستبداد هكذا هم الإخوان هنا وهناك يعشقون ويتزوجون الديمقراطية لليلة دخلة واحدة وفي اليوم التالي.. ممنوع الخروج.. ممنوع الحكي.. ممنوع.. ممنوع

38

الأقليات الخائفة تحمي نفسها بانتحارها.. كأن تصوّب المسدس إلى رأسها وتسأل "من سيقتلني ".. وتضع الزرنيخ في كأسها وتسأل "من يسممني".. وتمد الحبل حول رقبتها " من يشنقني ".. يا أقليات من ينام بين قبوره طبعا سيرى منامات موحشة..

39

أيها السوريون.. أيها الحالمون بالطيران لن تسعفكم أجنحة عباس بن فرناس العربي ولا سوبرمان الغربي لترفرفوا.. لتطيروا تعلقوا بالحبال الصوتية لإبراهيم القاشوش.. تابعوا الطيران عبر أجنحته..

40

نقد ذاتي لذاتي السورية:

1 - خطأ فوق خطأ فوق خطأ وبلا اعتراف بالخطأ تصبح مع الوقت خطايا لا يمكن غفرانها.. اصطفل إنت "حر".

2 - كل ثورة أو مقاومة أو انتفاضة تركب البحر"الطائفي "الشعبي عليها أن تخشى من الغرق.. البحر الطائفي لا أمان له.. الصخور العشائرية في انتظار حطامه..

3 - تسلح دفاعا عن نفسك.. وانتبه من تسلل المعادن إلى نفسك..

4 - من كتيبة يزيد بن معاوية إلى كتيبة صدام حسين.. النكايات لا تصنع ثورة منتصرة..

5 - من عاش وعاشر وقاتل الأعداء أربعين سنة صار منهم وفيهم ويشبههم.. احذروا من لصوص الثورات الذين يتنكرون كضيوف..

6 - احذروا.. الثعالب حين ينشقون عن ملوك الغابة..

50

أربعون عاما وهم يقولون "أن الشعب غير ناضج لاستلام السلطة وللديمقراطية "وجاء الجواب أخيرا" لماذا لا دُكبّر عمره لهذا الشعب ويصبح الشعب السيد الرئيس.. وما حدا أحسن من حدا.. عندها قرروا قصف عمره من الجنين إلى الجنين..

51

وسيقولون عنك أمريكي أو إيراني تابع سيرك.. وسيقولون عنك عندك أجندة خارجية تابع روزنامتك.. وسيقولون عنك أصولي إسلامي أو حاخامي إسرائيلي تابع سيرك.. وسيقولون عنك مخرب أو إرهابي أو عميل غربي تابع سيرك وسيقولون عنك شيوعي أو شيعي خميني أو إخواني بن لادني أو ليبرالي قذر.. تابع سيرك.. الحرية دائما تولد عارية ويظنها كل قوّاد أنها عاهرة..

52

هل الحرية تولد من الثورة؟هل الثورة تولد من الحب؟ أم أن الحب يولد من الحرية والثورة؟ الحرية والحب والثورة من أسماء "الحياة" الحسنى..

53

بالإذن منك يا يسوع.. أيها القائل. "بيت بمنازل كثيرة".. اليوم ثمة منازل كثيرة تفتش عن خيمة مهجرين.. جدتي علمتني "يا يحيى البلد اللي ما فيه نصارى يا خسارة" ويا خسارة على نصارى لا ينصرون طفلا مصلوباً بالمسامير على صدر أمه الحامل المبقورة من بطنها تتكئ برأسها على حبال أوتار صوتية مقطوعة من حنجرة.. أنا في قلب الشام.. إذا أنا في قلب اللّه..

54

وللممتعضين من كتاباتي الفايسبوكاتي عن سورياتي.. جواب نهائي يا حبيباتي.. مع الشعب السوري حتى آخر قطرة من كومنتاتي..

55

كنت غائبا عن المرئي وعن المسموع والمكتوب،، أسبح في بحر صور.. أفتح الشاشة الآن.. أجد غياث مطر مذبوحا من غيومه ولا مغيث.. وفي لسان العرب الجديد أنحاز للغة الحنجرة ضد لغة الحنجرة.. ومن وصية غياث مطر.. تابعوا الوتر والأوتار يوما ما ستلوي الحناجر أعناق الخناجر.. يمكننا الإمساك بمقبض الخنجر.. ولكن من يستطيع إلقاء القبض على صوت حنجرة؟؟ لذلك الهزيمة دوما للخنجريين.. النصر دائما للحنجريين..

56

حمص ترقص منبوحة من الضحك الأحمر الذي يتضرج على شفاهها. كأن الدم ينوفر كالقهقهات.. كأن لا أذنين في رأس العالم..

57

بتقلوا سوريا.. بيقلك البحرين.!. طيب أنا ضد النظام البعثي الذي وقف ضد ثورة البحرين.. يا تقبرني.. أنا مع حرية الشعوب من محيط الخليج لخليج المحيط.. وإذا بدك أكتر أنا مع حرية الأرواح لتختار من جهنم الحمراء حتى الجنة الخضراء.. وبدك أكثر أنا مع اللّه لإسقاط الكرة الأرضية في سلته لأنها عفّنت من بق ودود وعث وبعث نخاعكم.

يا غراب البين أنا مع حرية بلاد مابين النهرين وما بين البحرين.. وما بين الجبلين. وما بين السهلين.. وما بين العينين ومابين النهدين.. وما بين بين.. يا ابن العين الواحدة.. لي عينتين.. يا ابن الغرابين..

58

• النهر أول مرآة في التاريخ.. والتاريخ يعيد نفسه كنهر ويتمارى بنفسه ونتمارى معه في نهر العاصي..

• من فيزياء الزمن.. من يقف في وجه التاريخ.. تلفظه الجغرافيا..

59

عن غياث غياث مطر:قالوا عشاشيق البعث يوما عن المتظاهرين ضد النظام.. أنهم تظاهروا فقط حبا بالمطر.. وحين خرج عشاشيق البعث أمطرت.. فعادوا ودلفوا بسرعة إلى بيوتهم.. لأنهم فعلا يكرهون المطر.. الأحرار بغيومهم وحدهم عشاق المطر لأنهم مولودين من النهر والبحر وماء الشجر.. راقبوا المطر الصاعد الهابط من الأرض للسماء ليولد غياث.. أليس كذلك يا ابن غياث مطر.. يا غياث غياث مطر.. الحياة ستركع يوما وتبوس التراب السوري الذي أنجب هذا الشعب من ماء غيث وغياث.. عاشت المياه الأرواح الصاعدة والهابطة بين الأرض والسماء.. لا عمر للمطر..

60

كان العالم ينقصه أسطورة.. شكرا سورية.. كل الآلهة النائمة تحت ترابك تنهض لتنحني لتماثيلك المنحوتة من الأصوات البروتزية والهتافات الفضية والصرخات الذهبية.. سورية معدن الروح..

61

إلى شعب قرية "كفر نبل":

أيها المتظاهرون.. تابعوا قذّفنا بقنابلكم المسيلة للدموع من الفرح..

تابعوا المطر بخراطيم المياه.. لنهرنا.

تابعوا رصاصكم الحيّ بنا كعطر يدوّي في قمصاننا..

البنادق المتجهمة.. لا تخاف سوى من الضاحكين للحرية..

تابعوا السير وما الخوف سوى خمس دقائق.. وباقي العمر لكم..

أيها المؤمنون بالحرية كيافطة مرفوعة بالقهقهات.. صدّقوا ما أنجزتم.. المعجزات ليست دائما من صنع الأنبياء.

أيها المتظاهر.. تابع سيرك..

أيها الغريق السوري بدمعك.. لا تنتظر منديلا أو يدا من مثقفين موتى على قيد الحياة.. لا تنتظر خروجهم من نعوشهم العاجية أو من أكفانهم اللغوية.. أيها المتظاهر الضاحك تابع ضحكتك. الحرية بانتظارك.. تقهقه لك..

62

ثمة من يتظاهر وثمة من يتظاهر أنه يتظاهر..

63

الياسمين الشامي يواصل الركض في الماراتون بين ورود العالم.. خط النهاية لن يغادر قبل وصول الياسمينة الشامية.. سورية الياسمينية تركض ببلوزتها الغارقة بالخجل الأحمر.. الياسمينة تبدو متعبة عند منعطف.. عضلاتها متشنجة.. البطء ضروري.. خُذي نفسا.. يا سوريا لا تتراجعي.. هل تسمعين تصفيق المدرجات من الملائكة الصغار يهتفون لصغيرة الورود "وإتمخطري يا حلوة يا ياسمينة"..

"الوصول" لأول مرة يغادر خطه متلهفاً ليستقبل العداءة الحافية القدمين.. صغيرة الثورات..

"الوصول" بكل خطوطه سيركض صوبك وسينتظرك يا ياسمينة على أحر من العطر.

أيتها الياسمينة العداءة الحافية كأولادك كنسائك كرجالك في البرازي.. على مهلك.. يا سوريا خذي نفسا. لك الكأس.. الكأس نفسه سيرفع نخبه.. الكأس عاليا ويرن بصوته في كل براري العالم ويقول "أنا الكأس أنا النصر لن يمسسني لن يشربني سوى ثغر الياسمين"..

64

وكانوا يذبحون أولاد الحسين من العطش على ضفة نهرك يا فرات.. واليوم يا فرات على ضفتك يذبحون الأولاد على باب الفرن.. أولاد النهر عطشانين جوعانين برداني.. يا فرات.. أولادنا صاروا خبزنا المبلل بالماء..

يا فرات ما هو تعريف المذبحة أو المحرقة أو الكربلائية أو الصلبنة.. أن تُقتل الأم وهي تُشيع ابنها.. هذا ما جرى في حمص.. الجنة تحت أقدام أمهات سورية.. أليس كذلك يا سيدة زينب؟..

65

التدجين أشرس أنواع السرطان.. من يحوّل البلاد إلى مزرعة له ويسيجها بعسكره.. يوما ما ستنتفض عليه كل الدواجن.. الدجاج سينتف ريش أوسمته.. القطط ستموء في فمه وآذنيه.. من يزرع العظام حول قصرة سيحصده العواء داخل غرفة نومه..

66

المثقف المنبهاتي:. يعبئ ساعة المنبه قبل النوم ويشحنه كشعب.. وحين يرن المنبه ليوقظه دررن دررن.. ينهض المثقف متثائبا ويقذف المنبه "إففففف شو هالشعب المزعج" ويعود للنوم..

67

الثورة عنوان.. لا تعنيني التفاصيل بعد النصر. كغيمة دُبلى لا تهتم أين تلد مولودها المائي. المطر لا يسأل القطرات عن طريقها..

68

الليل الواحد ليس نفسه في هذا العالم..

هنا الشام بأزهارها المقطوعة من الرأس في العتمة..

هنا الشام باللحم الفحمي للشجر والدمع الأسود للنهر..

يا شام.. حتى الليل يبكيك في الظلام..

69

يا شعب سوريا.. يا شعب الرائد في المسرح العربي.. يا شعب أبو خليل القباني من بديهيات مهنة التمثيل المقدسة.. أن تنسى الجمهور.. تغوص في ذاتك.. تغرق في دورك.. أيها اللاعبون بأرواحكم الراقصة على الخشبة السورية.. انسوا الجمهور الغربي والجماهير العربية.. أنتم وحدكم كشعب يلعب تحت بروجكتورات الشمس والقمر.. يا شعب سوريا فكر وركز وتقمص دورك وحدك.. ولا تفكر بجمهور الصالة والقاعة.. لا تستدر التصفيق ولا الدمعة كن أنت كما أنت كما نهرك رقراقا طوفانا هادراً صافناً.. في النهاية سيقف الجميع احتراماً وتصفيقاً.. وتصفيقاً.. وختام الثورة سنغني على ذمة الراوي أغنية من تأليف وتلحين الحبيب أبو خليل القباني..

يا مال الشام يا اللّه يا مالي طال المطال يا حلوة تعالي

طال المطال وأجيتي عالبال ما يبلى الخال عالخد العالي

طال المطال طال وطول الحلوة بتمشي تمشي وتتحول

يا ربي يرجع الزمن الأول يوم يا لطيف ما كان علي بالي

طال المطال وعيوني بتبكي وقلبي ملان ما بقدر يحكي

يا ربي يكون حبيبي ملكي يوم يا لطيف ما كان على بالي

طال المطال وما شفناهم يوم الأسود يوم الودعناهم

يا ربي تجمعني معاهم يوم يا لطيف ما كان علي بالي

70

راقبوا الجسد السوري من ريف حوران إلى ريف دمشق وريف حمص وريف حماة.. الريف الحارث المحروث الحاصد المحصود المعجون المخبوز بطحينة.. العين برموشها تلوي البرق.. الأذن تمتص الرعد.. اللسان يعلك النار. البدن يطوّع المعدن.. هي معركة الحواس الخمس وتقودها الحرية كحاسة سادسة.. هكذا يصبح الجسد السوري فرن العالم.. روح العالم.. خبز العالم..

71

وتقول ناشونال جيوغرافيك عن عالم الأدغال " لتتخلص من براثن الأسد إذا باغتك، اجعل نفسك ميتا.. أعرف شعباً منذ أربعين عاماً كان يتظاهر بالموت.. لينجو ولكنه استيقظ ليتظاهر رافعاً عنقه للهواء ".. وتقول ناشونال جيوغرافيك عن عالم الأدغال "الأسد ينقض على الفريسة ليضرب تحديداً شريان العنق لفريسته ليقطع الهواء عن باقي الجسد".. أعرف غزالة تحاول النجاة بعنقها منذ أربعين عاما.. هو الصراع بين المخالب والعنق على مجرى الهواء والهواء والهواء..

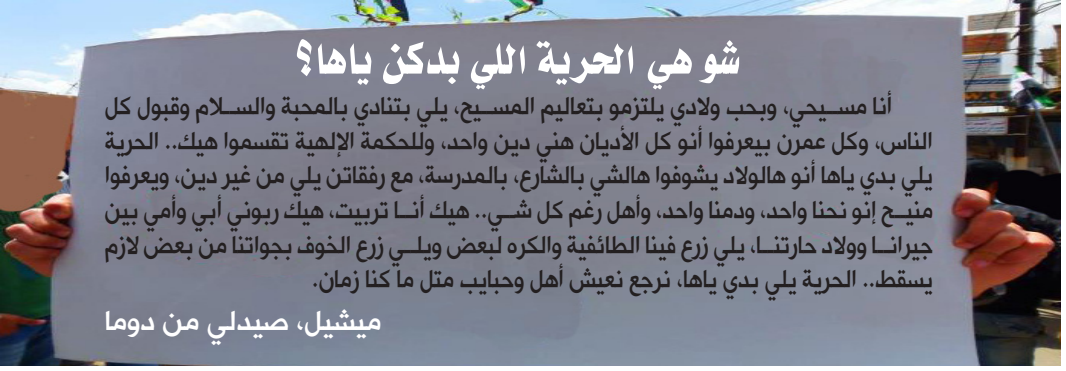

محمد العطار

بعد سنتين ثورة، بحدث أن تجلس مطولاً مع أحدهم في ورشته وهو دهان من حي القدم ترتشفان الشاي الحلو. هو مُدين يؤدي الفروض الخمسة، فقد أخيه مع أولاده وبضع من أولاد عمومه، اعتقل وعُذب، هدم بيته، من بين أشياء أخرى، يجيبني مع نفس عميق من سيجارته:"طبعاً بخاف من النصرة،"بنفس قدر خوفي من إنو الشيخ معاذ يعمل تسوية بلعبة أميركية، غير هيك معركتنا مع النظام مكفية ونحنا منتصرين". يبتسم كاشفاً عن بضع أسنان متساقطة. نرتشف سوية الشاي وأمتعض من حلاوته، ويسألني "وانت مو خايف؟" أجيب: "من شوي كنت.. هلأ.. لأ"..

أليسار قدسي

لا تدعوا الأحقاد الطائفية تصل حدّ الفجيعة لا تصلبوا المسيح كل يوم ألف مرة.

رفيق حلو

مع كل انشقاق لضابط هام، معناها عشرات الأطفال أن كتب لها الحياة وبيوت يمكن ما تنهدم.. لذلك لازم نضل نشجع المنشقين و نحتضنهم، حتى لو كانوا من المقربين كتير من المراكز الفاعلة في النظام. مهما كان اللي عملوه من قبل، طريق التوبة لازم يضل مفتوح.

هالا محمد

بمناسبة الجهاد: لعنَ اللّه كلّ من أهانَ كرامة إنسان.. وساهمَ في مذلة إنسان. لعنَ اللّه القَتَلة.

عساف العساف

بمناسبة إعلان الجهاد البعثي.. يسر أمير الفرقة الحزبية بكوم التبن أن يدعوكم لحضرة حزبية ومولد يتلى فيه بعض المنطلقات النظرية مع المنشد الرفيق عبد اللّه الأحمر على الدف والرق. ولكم أجر الحضور يا رفاق..

ندى كرامي

ولأن شبابنا يتسابقون مع حبات المطر لملاقاة تراب أرضك سوريا، أصبح على هذه الأرض ما يستحق الحياة أكثر..

زياد ماجد

ليس صحيحاً أن العنصرية وجهة نظر كغيرها. وليس صحيحاً أن عرض عنصريّين بُلهاء (أو قاصرين) في تحقيق صحفيّ مصوّر عمل مهنيّ مشروع. إلا إن كان هدف التحقيق هو عرضُ بعض الظواهر المرَضيّة اللبنانية. وعندها، يكون في ما وقع عليه قد حقق نجاحاً غير قليلة.

مصطفى حديد

إضافة للتخريب المنهجي المدروس منذ مجيء البعث على الدبابات فإن المستويات الحالية من الأحقاد والضغائن في كل مناطق سوريا تحتاج إلى عمل شاق وواعي، بعد سقوط العصابة، لإعادة اللحمة الوطنية والثقة بين أفراد المجتمع السوري. لم أكن أتخيل نفسي فرحاً بقتل سوري.. كدنا وأوشكنا أن نفقد إنسانيتنا.

محمد السيد

أبشع نتيجة للحرب الدائرة هي خراب الإنسان والذي لن تستطيع مليارات العالم تعويضه: فكلمة وبنو بابا وماما لأي طفل يُتمَ بهذه الرحى لن يستطيع أحد فك لغزها..

جيهان المشعان

عندما نتحدث عن حرية المرأة في زمن البعث يتبادر إلى الذهن تلك الكائنات الهلامية التي كانت بلا طعم ولا جنس ولا لون و التي كانت تنتمي إلى شيء اسمه (الاتحاد النسائي العام).

أنيس كاميكازي

أف: عاجل: الرئيس الأسد يستلم برقية تهنئة عبر الحمام الزاجل من أيمن الظواهري رئيس تنظيم القاعدة بمناسبة إعلان الجهاد مؤكداً فيها على التبادل الجهادي بين البلدين و متمنياً الشهادة للرئيس الأسد..

معاذ الخطيب الحسني

أحد أسباب الانهيارات الحضارية، تحول الوسائل إلى أهداف، وأخطر ما يدمر الثورات هو تقديس الوسائل، ومن يريد معرفة أثر ذلك فلينظر أحوال المجتمعات ومنذ مئات السنين.. كم في حياتها من أمور غير مقتنعة بها ولكن تفعلها مكرهة لأنها صارت مقدسة في المجتمع.. الثورة السياسية لا تعتبر ناجحة من دون ثورة فكرة واجتماعية..

هاني فحص

أكبر هدية قدمها حزب اللّه لإسرائيل، هي وجوده رديف للنظام السوري في سوريا في مواجهة الثوّار السوريين.. وبذلك نحن ظلمنا شيعة سورية فمستقبلهم في سوريا رهن سلوكات الحزب هناك.

يامن حسين

شي ساعة وأنا بحبش بالغوغل إيرث وخريطة حمص عم شوف بيتنا بالغوغل ايرث.. عم حاول اضغط زوم كتير بس بلا جدوى.. بلكي بوصل لغرفتي.. بلكي بقدر شوف الليمونة اللي بالحديقة.. ووجهك يا أنت يا سندي.

ندى منزلجي

هيك. بآخر هالليل.. كلمتين. كل من يتهم نساء سوريات لاجئات ببيع شرفهن لقاء المال.. أقول إن صح هذا، فتساءلوا أولاً عن شرفكم.. إن تاجرن بأجسادهن فلأن النخوة والشرف حيث لجأن معدومان. ومرة أخرى تساءلوا عن شرفكم، لأن النساء لا يبعن أجسادهن لرجال من المريخ أو زحل.. بل لذكور من البلد المضيف الذي اضطرهم شح الأخلاق فيه إلى مثل هذا..

سمر يزبك

المنفى: أن يغطّ عصفور ملوّن على ركبتك فجأة، ثم ينقر بنعومة، وأنتَ جالس في مقهى، فتقف فزعاً. قلبك يطرق من الخوف. البلاد: أن تقفَ صلبا كشجرة حور، وأنتَ تراقب عين الشمس، تسمع صفير القذيفة، وتبحث عن طائرة المبغ، وظلال الموت القادم معها.

كوليت بهنا

سنتين مروا.. كأنهم ساعتين.. وكأنهم دهر.. ما مليت بلحظة.. بس عم أتوجع بكل لحظة.. وعم أفرح بكل لحظة.. وبكل لحظة عم أتأمل أنو تخلص بهاللحظة..

جمال داود

حياة المواطن أغلى من أرض الوطن، ومساجده وكنائسه وقادته.. حياة المواطن أهم من أمن الوطن، وتحدياته.. حياة المواطن، أهم من الكتب السماوية جميعها.. حياة المواطن، أهم من القومية، أهم من العرق، أهم من الطائفة، أهم من شعور الانتماء للوطن، أهم من أي حزب مشكل من أجل الوطن والمواطن.. حياة المواطن، أهم من القضية، مهما تكن القضية.. المواطن هو كل شيء.. الوطن مجرد مكان يقيم فيه المواطن.. الدين هو مجرد شريعة تنظم حياة المواطن.. القانون، الدستور، الشرائع، العسكر، القادة، رجال الدين كلهم لحماية حياة المواطن، كلهم من أجل حياة المواطن.. لا أحد منهم أكثر أهمية من حياة المواطن.. حياة المواطن أولاً.. الوطن ثانياً.. حياة المواطن هي الأعلى قيمة في أي وطن.. حياة المواطن فوق الجميع.. عندما نؤمن بهذا.. لن نقتل بعضنا من أجل كتاب أو حجر أو صورة..

خالد قنوت

يعني إذا دولة متل مالطة ما وافقت على تسليح المعارضة السورية، فإن الاتحاد الأوربي سيعتذر لكم هذه المرة. لأنهم ملتزمون بالإجماع في مقرراتهم. الشعب يقول لكم و بكل سعادة: أنتم خونة إنسانيتكم و لا نريد منكم شيء، فقط أوقفوا دعمكم للخسيس.

حنان الغربي

لا تمثلني امرأة طالعة على الشاشة حاطة طن مكياج!.. أنا امرأة وبعرف من يحزن على شعبه لا يكون بهذه السخافة.. قلنالكم اللي راكضين ورا الكراسي كتر..

سعاد جروس

بعد صفنة وتفكير سنتين كاملات في سر المؤامرة الكونية على السوريين ودفعهم للنزوح. اكتشف (حمصي عبقري) السر من حيث أن الشعب السوري سليل مزيج حضاري ضارب بالقدم ويعيش ببيئة طبيعية نموذجية. خضرة ومي وصحرا وفي. يعني جملة أسباب خلت الشعب السوري هو الأجمل والأذكى بين شعوب الأرض، وجيناته الأفضل لتحسين نسل البشرية. منشان هيك عم يقوم العالم اجمع بإدارة حملة خفية اسمها: "انزحوا وانكحوا كل الأمم".. ولا ليش هالعالم مروق ومسرور ومو فارقة معه مأسانا.!!.. تساءل الحمصي العبقري..

بشر إمام

انتفاضة أي شعب تعني أن ثورتهم قد بلغت سن الرشد ... أما عن لحظة ولادتها فهيَ ذات اللحظة التي ولد فيها الإستبداد.

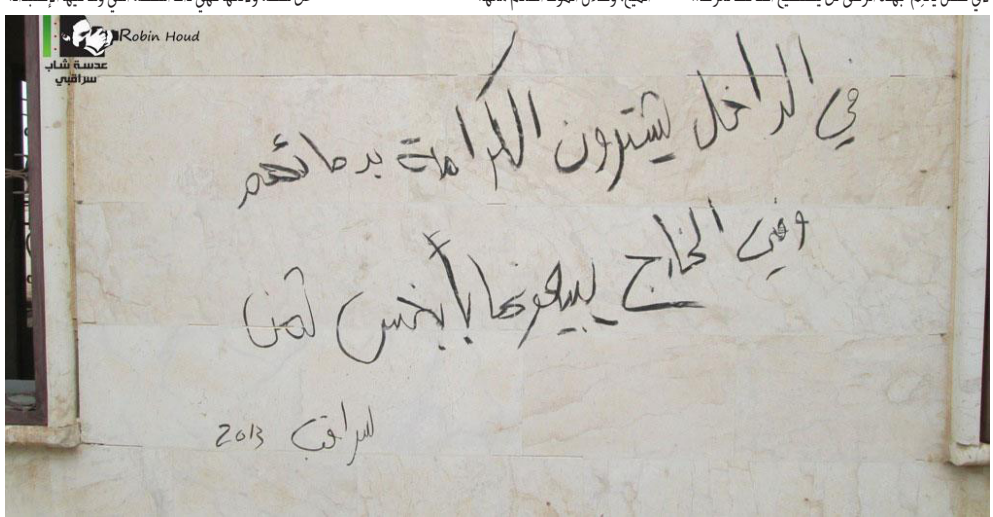

الجميع يعد العدة لاحتفالات الذكرى السنوية للثورة السورية.. بوسترات مهرجانات فعاليات شي بروس وشي بلا روس.. شي بيانات شي أسماء شي مدري مين قال بيان انطلاق الثورة اللي وقعوا عليه ثوار سوريا.. إيمت وقعوا بلا صفرة؟.. كلكن كوم، ومظاهرة صغيرة تطلع من الجامع العمري يوم الجمعة رح تكون بكوم.. تحية لساحة العمري ولساحة الجامع الاموي ولساحة العاصي ولساحة الساعة ولصلاح الدين وحي الصليبة وساحة الحرية بجسر الشغور.. لتلبيسة وداريا ودوما والزبداني وتدمر ودير الزور والرقة والحسكة وقامشلو.. تحية لكل ساحات الحرية بسوريا والغرف المسكرة والشبابيك اللي ارتفعت عليها لافتات وأعلام.. تحية لكل بخاخ ولكل مظاهرة طيارة ولكل علم ولكل زلغوطة أم شهيد.. أنتو الثورة.. أنتو سوريا.. أنتو الحياة.. الثورة مستمرة.. والذكرى بعد الحرية.. مكملين..

شام داود

بالمشرمحي السوري.. الفصيح

ربيعُ دمشقَ عام 2000 قبل ثورات الربيع العربيّ.. جميعها؛ وقد بدأه 104 مثقفا سوريا؛ بإصدار البيان الشهير ببيان ال 99؛ كردٍ رمزي على استفتاءات الرئاسة في سوريا التي يفوز فيها المرشح الأبديّ الأوحدُ بنسبة 99 فاصلة 99.. وفي سواها.

في هذا البيان.. كلٌ ما نادت به شعوب الربيع العربيّ توقاً إلى الحرية والكرامة والعدالة؛ بعد عشر سنوات من إصداره.

لم ينته ربيع دمشق بإصدار بيان الألف مثقف سوري؛ وإنما بقرار إغلاق المنتديات السياسية والثقافية التي أقامها المثقفون السوريون في بيوتهم؛ لعدم وجود أية مظاهر لحياة مدنية حرة وأية منابر لها؛ ثمّ.. بملاحقة المثقفين واعتقالهم واستدعائهم لتحقيقاتٍ مُطوّلةٍ في مكاتب المخابرات وأقبيتها.

ربيع دمشق 2000 كان مجرد شمعة في ظلام الاستبداد.. ولهذا.. تفتقد المعارضة السورية التي أساسُها شبابٌ يتظاهرون لأجل الحريّة إلى أيّة خبرة سياسية؛ كما يُعاني المثقفون السوريون الذين ساهموا في تأسيس أولى مجالس المعارضة في الخارج؛ من التشتت بين بقاع منافيهم؛ ومن بُعدهم عن النبض اليوميّ في الشارع؛ ولن أتحدث عن مُعاناة مُعارضيّ النظام في الداخل.. لأبرّرَ تشتُتَ وعدمَ تَوَحُّدِ جناحيّ المعارضة السورية: السلميّ والعسكريّ.

إنها مُحصّلة استبداد مُقيم.. ومُحصّلة مخاض عسير تشهده الثورة السورية ذاتها؛ وباعتقادي أنها ستحتاج بعدَ نجاحها إلى ثورة ثانية.. قوامُها: ائتلافُ التعدديّة والمُتعدّدين فيها.. على قيام وطنية مدنية ديموقراطية؛ وإلى تقويم يوميّ وشفافٍ لكل مساراتها.. بما في ذلك تجاوزات بعض كتائبها المسلحة.

نجم السمان

صبارة سوريتنا

صبارتنا حيث لا أحد فوق النقد..
باب ناقد ساخر يتناول مواضيع سوريتنا..
مجتمعنا وثورتنا..

لا تشلشنا مشلوشين

متل هي الأيام من سنتين: ترقب وبلبلة بالبلد..

ناس عم بتقول انو عنا ما بيصير شي لانو الناس بتحب النظام.. مساطيل.. القط ما بيحب خناقه

ناس عم تقول عنا مابيصير شي لانو الأمن ماسكها.. مساطيل أكتر.. ليش بمصر الأمن كان فلتان..

ناس بدها يصير شي بس يكون غير المسرحية تبع مصر وتونس وعم بتقول هدّو اللعب.. مشلوشين صارو هدول.. وطابور خامس ومتخاذلين وهلم جرا

ناس بتحب الاضواء ركبت الموجة.. وكان مبارح عم يسب عالشعوب "الجحشة" وصار يكتب شعر بالشعب العربي.. بحب سميهن "الاحذية"

ناس عم تقول يصير يلي بده يصير بس بلاها الحرب.. عفويين بس عالوجع.. واحد بعرفه قال.. خلي الدبابات تنزل عالشارع (بصوت جهوري).. طبعا هلق هو عم يعارض تحت المكيف بغطر.. اخو شحاطة

ناس مؤمنة عنجد بالمقاومة.. بتكره رب النظام.. وناطرة يطلع اسم اول جمعة (نعم للمقاومة) لتنزل تتظاهر.. هدول عم يسمعو هلق فيروز "نطرونا كتير"..

وناس وناس.. كل هالسنتين بختصرهن بمظاهرات 15 آذار.. هنيك كان في اتنين:

الاول.. مفكر سوري وفيلسوف عالمي (والحكي مو الي) طلع وصرخ حرية.. اعتقلوه وضربوه وطلعوه بعد كم يوم.. بعد كم شهر قال بما معناها.. الثورة عطتكن عمرها.. قام طلع متخاذل.. والحكي هون عن الطيب تيزيني

التاني.. واحدة كمان هتفت للحرية كمان اعتقلت وأكلت يلي فيه النصيب.. بس هلق عم تقبض برا بصفتها نائب للشيخ معاذ.. الفنانة سهيرة الاتاسي..

تماما.. الثورة اتنين: واحد وطني.. وواحدة قابضة من برا

الزبدة:

يا مؤيدين.. لا تحطو كل المعارضيين بكفة واحدة

يا معارضين.. لا تحطو حالكن بسلة واحدة

يا مؤيدين.. المقاوم ما بيسرق الشعب بالموبايل.. وللوقاحة لهلق عم يسرق.. مع انو الإصلاحات مليية البلد

يا معارضيين.. لا تطلع تهتف هتاف متطرف وتقول عن يلي ما بيمشي معك.. متخاذل أو جبان أو منحبكجي.. الحق عليك يلي صوتك ما كان عالي وما وصل هتافك للكل

ختام:

هلق في كم اخو شحاطة أجنبي بدنا نخلص منهن.. نصرة وتوابعها.. هلق في كم اخو شحاطة "وطني" كمان بدنا نخلص منهن.. الحرامية المقاوميين.. هلق في مجتمع مقسم بدنا نرجع نربطه.. هلق في ملايين المهجرين والنازحين بدنا نرجعهن.. هلق في شغل كتير

هلق عنجد.. لازمنا ثورة..

شلشناها عليكن

سوريالیزم

رئيس الائتلاف و ثقافة الاختلاف:

بمرور السنين اجتهد السوري بجمع خصال ايجابية و استخدمها بثورته المباركة، و كانت مبادرة الخطيب الأخيرة فرصة جد مناسبة لتجسيد هذه المكتسبات الفكرية.

- الحكمة: قسم محرز من المعارضين للمبادرة - التي اشترطت الافراج عن 160 ألف معتقل - لم يقرأها بوضوح و اكتفى بعنوان سمعه ع الماشي " انو الخطيب يحاور النظام"

- الحرص: اتهام الخطيب بالتفريط بحقوق الثوار مع أن المعتقلين بالظروف الغير لطيفة هم من الثوار أصلا.

- قبول الأخر: التخوين و التكفير و الإقصاء خط أحمر بثقافات أخرى لكنها خط شفاف الكل بيتجاوزه بثقافتنا.

- المثابرة: لا يتعب من حمل دم الشهيد و نقله معه عبر الفنادق و الشاشات و المؤتمرات و يتعامل بأمانة مع الوكالة الحصرية التي سجلها له الشهيد بالتصرف بحق الدم، و لا ينزعج من حمل كميات إضافية من دماء الشهداء تحت التعذيب.

- شيزوفرينيا: انتقاد السياسة و أهلها لا بتعا د هم عن هموم الشارع و احترافهم التنظير و بنفس الوقت انتقاد الخطيب لأنه ليس رجل سياسة، الغضب من صناع القرار لعدم صنعهم أي قرار يخفف عن الشعب المسكين و بالمقابل إفشال أي محاولة عملية للمساعدة.

- الواقعية: التعامل مع المبادرة على اعتبارها بالمراحل الأخيرة بعد موافقة النظام عليها الغير مشروطة و التفاوض جاري حول تكييف باصات المعتقلين المفرج عنهم.

- الإنسانية: يتابع يوميا قبل النوم فيديوهات تعذيب مسربة و يتعاطف مع المظلومين لكنه لا يوافق على تحريرهم لأن الموقف غير مبدئي.

صفحة سوريالیزم غير معنية بالتسويق للمبادرة أو مناهضتها و لكنها تهتم بآليات القبول و الرفض لاقتناعنا بأهمية بناء ثقافة الاختلاف

Syrrialism:

مشروع عن صور و حرية و أمل، عن سوريا السيريالية، محاولة لتكريس مفاهيم التحرر، تقبل الآخر، و توحيد الجهود، كوميديا بيضاء و سوداء..

https://www.facebook.com/orwa9

بعد عامين وبعد،
رسالة مفتوحة إلى سعد اللّه ونّوس

■ هالا محمد

مضى زمن لم نجلس فيه في الصّالون.. ونتحدّث.

لم.. تعطني مسودّة مسرحية جديدة وأنا على الباب.. ولم آتِ في الصّباح لتتفاجأ أنني سهرت الليل لأقرأها.

لم أشرب القهوة في بيتكمْ الذي لا يزال في قلبي بلا تغيير ديكور.

لكن.. المسرح تغيّر.

لن تحتاج بعد الآن إلى خلط الخشبة بالمشاهدين.

ولا إلى التعبئة لفنّ تسييس المسرحْ.

ولا إلى الصّراخ بـ: الجوع إلى الحوار في يوم المسرح العالمي.

صديقي سعد اللّه ونوس.. كلّ يوم في سوريا هو يوم مسرح عالمي.

الشارع.. منصّات الحياة والموتْ.

والخشب.. خشب سوريا ينزل إلى الشارعْ.. يحمّل الشباب إلى المقابرْ.

تغيّر المسرح.

الجميع أبطالْ.

الشارع.. أزاح مساحات الظلّ والتهميشْ وأدخلها إلى الضّوء..

الظلال في الجنازاتْ فقط..

ما عدا ذلك.. اختلط الليل بالنهار بألوان العيونْ.

شباب سوريا.. يدافعون عن سوريا.. يحمونها بأحلامهم.

الأحلامْ هيَ المنطقة الوحيدة الآمنة في الوطن الآنْ. والتي فيها يلتقي الجميع.

نادى الشارعُ: بدنا دولة مدنية. نادى من درعا إلى أقاصي الجزيرةْ.

هل.. تشعر بارتجاج التّراب!؟

الشهداء بالمئات يومياً.

شهداء ضدّ المستبدّ والاستبدادْ.

ضدّ فساد النظامْ.

النظامْ.. يتمسّكْ بالحكم.. ولا أحد يستطيع أن يفهم سرّ هذا التمسّكْ!؟

طالما أنه متأكد أنه سيزول.. لا محالة سيزول!

السؤال الأخلاقي هو: كيف يحرق نظام وطنا لمجرّد أن الشّعب طالب بالتغيير.

منذ عامين.. أعوام الثورة.. صارت سوريا مسرحا للثقافات والفنون.

تصدر فيها صحف اليكترونية.. مستقلّة يديرها شباب وصبايا البلد.

بعد رحيل النظامْ..

سنوجه شكرنا للصحف اللبنانية التي استضافتنا على صفحاتها طيلة أربعين عاماً.

وسيكون لدينا متّسعاً للجميع.

السينما.. سينما الشارع.. والنقل الحيّ المباشر لأحداث الثورة..

والجسارةْ.. يا سعد اللّه.. لم أكن أتخيّل أن جسارة السّوري بهذا الجَمال.

يريد السوريون إقامة الدولة المدنية اللادينية واللاعسكرية.. حلم صديقنا الحبيب المشترك " أنطون المقدسي: " دولة المواطنة المتساوية.

لكي تكون سوريا مهد حضارة من جديد.

لن تكون هناك بطالةٍ.. الجميع يعمل في الثورة.. تخيّلْ! مجّاناً.

الناسْ تحرم نفسها من اللقمة.. تعطيها لسوريا لكي تحيا.

الرّسم.. والكاريكاتير.. والموسيقى والغناء.. والشعر.. والرواياتْ..

لكن.. لم نبتعد بعد مسافة عن إنجازاتنا، مسافة نقدية لنرى.

الثورة لا تمتلك رفاه المسافةْ.

المسافة ستأتي فيما بعد.. كزمان. وهي موجودة مجازاً في الحلمْ المشتركْ بين السوريين.

السجون.. جغرافيا الاستبداد احتلّها المستبدّ من أرض وطننا ليسجن فيها الثوار، والشهداء صاروا.. عشرات الآلاف من جيش نظامي وجيش حرّ ومدنيين.

الجميع ضحايا.

هل أخبركَ.. عن اللاجئين!

صار لسوريا لاجئين يا سعد اللّه..

أعتقد أنّ ديمة أخبرتكَ.. بين مليون وثلاثة ملايين لاجئ.

وصار.. في سوريا طائفيّةْ.

يعتقد معظم السوريون أنّ المواطنة المتساوية هي دواؤها الشّافي.

يتساوى الجميع من جميع الطوائف والإثنيات والأجناس في دولة العدالة.

قلت لكَ.. نحن نتقاسم مواطن الحلم. نستوطنها.. نهرب فيها إليها منها.

الجنازات صارت إحدى التعبيرات الأدبية عن روح السّوري وكرمه وضيافته. عن جسارتهِ.

عن جمالياتهِ..

الجنازاتْ.. مسرح غنائي.. عميق..

سليل تراجيديا العصور.

مسرح الحياة والموت يلعب في شوارعنا كلّ يوم.. كلّ يوم.. من أقاصي الريف إلى أقاصي المدن.

النظام لعبها طائفيّة، وأرادها لكي يكسر شوكة كرامات الناس ويهينهم ويقلّل من مقدار ونبل ثورتهمْ ويكسر وحدتهمْ، يهشّمُ البديل المحتمل الذي يؤمن به الناسْ.

يرفض أن يعترف أنها ثورة عقل وقيم ومبادئ وكراماتْ..

يصرّ على إعادتنا إلى دائرة تولّد العنف يدير هوَ ماكينتها الأساسيّةْ، وهيَ الطائفيّةْ.

الشّارع السّلمي رفض الطائفية في البداية في التظاهراتْ السّلميّةْ.. ويحاول أن يقاوم ويرفضها الآن، وسوريا تموت يا سعد اللّه وتحيا بين كرّ وفرّ.

لا تهين كرامة السّوري! هذه هي الشيفرة السّحريةْ للثورة.

وكرامة السّوري تهان كلّ يومْ مع ازدياد العنفْ في المجتمع.

الفيس بوك صار مسرحاً للحوار.. وأقلام شابة وقديمة واختلطت الأجيال في تلوين حلمها.

هناك خسائر.. كثيرة.

مع الوقت.. مع اشتداد عنف النظامْ..

ظهرت حركات متشدّدة إسلاميّةْ لا تشبه حلم السوريين. والنظام يحتفي بها لأنها تؤكدُ خطابه السياسي، بأنها ثورة إرهابيين ومتشدّدين. لكن نقد الشارع ورفضه لتحويل سوريا إلى مسرح صراع طوائف.. يشتدّ كلما اشتدّ استبداد الطرفين.

نحن نقع شيئاً فشيئاً بين فكّي كماشة.. والشعب في المنتصف سينتصر لمصلحته في العيشْ المشتركْ.. وعندها سيصبح تطرّفْ كلا الطرفين هشّاً.

سمعنا أصوات بعضنا. الجولان السوري المحتل يشارك في ثورة بلاده، بكل الوسائل السّلميّةْ والفنيّة يشاركْ.

يشارك في تحرير سوريا.. في تحرير حرّية سوريا لكي يتحرّر.

تعرّفنا على بعضنا.. رأينا وجوه بعضنا.

إذا رأيتَ.. أنطون المقدسي.. أو عمر أميرالاي أو ممدوح عدوان أوْ.. غيّاث مطر.. أو سوسن.. أو هادي الجندي..

طمّنهمْ أننا سنبقى:

واحد واحد واحد.

* * *

هل سمعتَ السّاروت!

هل رأيتَ التظاهراتْ السّلميّةْ!

هل رأيت أبا فراتْ!

* * *

نسيت أن أخبركَ.. أعتقد أنني كتبت ديوان شعر.. سأرسل نسخته إلى أبي الروحي " أنطون المقدسي " هذه المرّةْ..

لا تحتمل الحياة يا صديقي أكثر من نسخة واحدةْ.

واحدة.. واحدة.. واحدةْ.

المُحبّة هالا

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (52670)

دمشق: 3894
ريف دمشق: 11649
حمص: 8522
درعا: 4596
إدلب: 6420
حلب: 8190
دير الزور: 3504
الرقة: 528
السويداء: 42
حماة: 3930
اللاذقية: 725
طرطوس: 76
الحسكة: 325
القنيطرة: 725

3864 عدد الأطفال الذكور
1696 عدد الأطفال الإناث
3511 عدد الإناث
10282 عدد العسكريين
42388 عدد المدنيين

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 16 / 3 / 2013
http://vdc-sy.org